محمد صلى الله عليه وسلم

في التوراة والانجيل والقرآن

بقلم

ابراهيم خليل أحمد

مكتبة الوعي العربي

محمد صلى الله عليه وسلم

فى التوراة والانجيل والقرآن

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة الوعى العربى

٥ شارع كامل صدقى ـ الفجالة

مكتب الرئيس
للشئون العامة

السيد ابراهيم خليل أحمد

تحية طيبة وبعد

لقد أمرني السيد الرئيس أن أبعث اليكم بشكره البالغ على هذه المشاعر الكريمة التي حملتكم على موافاته بكتابكم " محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والانجيل والقرآن" مقدرا لكم روح اليقين والايمان التي دفعتكم الى ابراز نهج رسولنا الأمين صلوات الله وسلامه عليه ليكون ذلك منارا ونورا لكل انسان يستهدف شرف الحياة وسعادتها .

مع تمنيات سيادته لكم بالتوفيق والسداد في ظل مجتمع فاضل وأمة عربية خالدة .

مع وافر الاحترام .

٤ أغسطس ١٩٦٤

مدير مكتب الرئيس
للشئون العامة

(حسن صبري الخولي)

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية الطبعة الثانية

« يؤتى الحكمة من يشـــاء • ومن يؤت الحـكمة فقــد أوتى خيرا كثيرا • وما يذكر الا أولوا الألباب » (صدق الله العظيم) •

فى عزة وكرامة يتصـدر الطبعة الثانية رســالة السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، ولى منهـا شرف عظيم وقوة فعـــالة تدفعنى فى تصميم أن أتقدم الى الأمام لتحقيق الحق وسيادته •

فأقدم بعون الله واحتسابا لوجهه تعالى وارضاءا لرســوله الكريم الطبعة الثانية مزيدة بأبحاث تحليلية فى المسيحية • حتى يتمكن الأخ المسلم الداعى للاسلام من ذخيرة علمية تبصره بما عليه العالم غير المسلم من تخبطه فى ظلمات بعضها فوق بعض •

وليس أدل على ذلك مما ارتآه الـكاردينال الألمانى بيـــا فى « وثيقــة تبرئة اسرائيــل من دم المسيح » ، الأمر الذى اهتزت له الكنيسة فى الشرق والغرب •

ومن بين هؤلاء جيران أبرياء يتطلعون الى النــور الحقيقى والأمل وطيد فى الداعى للاسلام أن ينير لهؤلاء سبيل الطريق المستقيم •

وما توفيقى الا بالله •••

المؤلف

ابراهيم خليل أحمد

تقديم للمؤلف

الحمد لله الذى هدانى الى الاسلام دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته أجمعين • أما بعد :

فقد نشأت نشأة دينية ، وكان طبيعيا أن خصصت حياتى وجهادى ومالى فى سبيل الله مخلصا متفانيا ابتغاء مرضاته •

والله سبحانه وتعالى الخالق قد خلق الانسان وفضله عن سائر خلقه بما حباه وكمله بنعمة العقل والقدرة على التعقل والادراك • وكان لهذا حق لله سبحانه أن يحاسب الانسان عما يفعله ان خيرا أم شرا •

والله سبحانه وتعالى تمكينا للانسان من العزة بالعقل لم يفرض كيانه فرضا سواء أرضى أم لم يرض • بل توخى هبته للانسان من العقل ومن العقل أراد أن يدخل الى قلب الانسان بالايمان ، لهذا قيل فى التوراة للباحثين عن الحق « وتعرفون الحق والحق يحرركم » (١) •

وفى هذا المعنى يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « رفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون حتى يفيق ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يحتلم » • رواه أحمد وأبو داود والترمذى •

ويقول الله تعالى : « **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** » • بل يتجه الله جل شأنه الى أولئك الذين لم ينعموا بنعمة البصر فيستلهمهم البصيرة بقوله تعالى : « **وفى أنفسكم أفلا تبصرون** » • وهكذا يهدى الله الانسان الى الطاقات العظمى لنعمة العقل لتكون أساس الايمان •

---

(١) يوحنا ٨ : ٣٢ •

والتاريخ شاهد صدق على رجال من كبار اللاهوتيين الذين ناشدوا الحق واستبسلوا له ، فهذا آريوس فى القرن الثالث الميلادى الذى استبسل لعقيدته عن المسيح عليه السلام بما يتقارب مع عقيدة المسلم عنه ·

وذاك لوثيروس الذى نادى بالاصلاح الدينى وحمل لواء الاصلاح فى عزم وتصميم ونادى بأن الله وحده هو الغفور الرحيم وأن البشر جميعهم سواسية أمامه لا فضل لكاهن على مواطن الا بالتقوى ·

وفى هذا يقول نبى الله داود عليه السلام : « باركى يا نفسى الرب ولا تنسى كل حسناته الذى يغفر جميع ذنوبك الذى يشفى كل أمراضك » مزمور ١٠٣ : ٢و٣ بل يؤكد أن الغفران قاصر على الله جل شأنه فيقول : « عند كثرة همومى فى داخلى تعزياتك تلذذ نفسى » مزمور ٩٤ : ١٩ ·

وبهذا يخلص الى الحقيقة التى يؤمن بها المسلم والتى يوضحها قول داود عليه السلام : « ان كنت تراقب الآثام يارب فمن يقف· لأن عندك المغفرة لكى يخاف منك » مزمور ١٣٠ : ٣ ·

اذن ، الطريق الى الله واضح المعالم · والوصول اليه رائده المنطق والعقل والرسالات السماوية جميعها تناشد الانسانية ماقاله المسيح عليه السلام « الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » يوحنا ٤ : ٢٤ ·

وفى هذا المعنى يقول الله سبحانه وتعالى : « **فأينما تولوا فثم وجه الله** » ·

والذى حفزنى الى البحث بغية النفع العام هو ما تنبأ به المسيح عليه السلام عن الرسول الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله : « الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا لذلك أقول لكم ان

ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره » انجيل متى ٢١ : ٤٢ و ٤٣ ٠

ومن دواعى الاطمئنان واليقين أن هذا السند يرتبط ارتباطا وثيقا بقوله تعالى : « **الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل** » ٠

من هنا بدأت فى اطمئنان ويقين تام أبحث عن هذا الرسول النبى الأمى الذى تنبأ عنه المسيح عليه السلام وأشار اليه بقوله « المسيا المنتظر » ٠

ومن هنا بدأت أربط بين رأى آريوس فى القرن الثالث الميلادى ، وآراء لوثيروس فى القرون الوسطى ٠ والنبوات العديدة فى التوراة والانجيل والأنبياء والمزامير عن الرسول المصطفى حتى مكننى الله الى اخراج هذا المؤلف الطيب لأمة خيرة ٠

وما استرعى ناظرى عند الولوج لهذا البحث هذه العناصر الآتية :

(١) الوحدانية ٠ (٢) الغفران ٠ (٣) المبادىء وتقويمها بالأشخاص ٠ (٤) الرسالات السماوية ٠

١ – الوحدانية

قرأت بتأمل وتفكير سورة الاخلاص : « **قل هو الله أحد ٠ الله الصمد ٠ لم يلد ٠ ولم يولد ٠ ولم يكن له كفوا أحد** » صدق الله العظيم ٠

وأخذت أتأمل الوحدانية فى القرآن الكريم ، الأمر الذى يستطيع العالم وغير العالم فهمه واستيعابه وادراكه والايمان بما يتضمنه من المعانى ، من غير اجهاد الفكر ، أو عناء الدرس والتحصيل ٠

وقارنتها بالوحدانية التى وردت فى انجيل متى فى الباب الأول والعدد الأخير : الآب والابن والروح القدس « اله واحد آمين » • وعند دراستى النص الأصلى علمت أن هذه العبارة لم ترد فى الأصل اليونانى •

هذا بالاضافة الى بلبلة أفكار عامة الناس وحيرة جهابذة العلماء فى الدفاع عن هذه العقيدة السقيمة التى كشف التباريخ عنهـا القناع • وأكد العلامة جارسلاف كرينى أستاذ الحفريات فى جامعة أكسفورد فى كتابه (ديانة قدماء المصريين) ان عقيدة التثليث مستمدة من الوثنية الفرعونية •

٢ ـ الغفـران

قرأت بتأمل وتفكر قوله تعالى : « **قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله • ان الله يغفر الذنوب جميعـا انه هو الغفور الرحيم** » [١] وقارنت بين هـذه الآية وما ورد فى الانجيل عن الغفران : « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » بالقول : « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الحبيب لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » •

قارنت بين العقيدتين :

الأولى : ان رحمة الله ومغفرته تكون لعباده بدون قيد أو شرط مادى •

الثانية : انها مقيدة بقيود : من جانب الله ببـذل ابنه الحبيب حسب ما يعتقدون ، ومن جانب المرء بضرورة الايمان بهذا الابن •

ومن هذه العقيدة نشأت فريضة كنيسية تعرف بسر الأفخارستيا، أو سر الشكر ، وفيها يؤمن المسيحى باستحالة الخبز الى جسد المسيح،

---

(١) ٥٣ : الزمر •

واستحالة الخمر الى دم المسيح حقيقة ، وبتناولهما تصير فيه حياة أبدية ٠

ومن هذه العقيدة نشأت صكوك الغفران ، وما أدراك ماصكوك الغفران ٠ انها بدعة وخروج عن الحق الالهى الذى ندد به زعماء الاصلاح فى القرن الخامس عشر وعلى رأسهم لوثيروس الألمانى ثم زوينجلى ثم كلفن وغيرهم ٠

فحمدت الله على رحمته الواسعة ومغفرته اليقينية بدون قيد ولا شرط مادى ، بل بتوبة صادقة وعزم على الحياة الطاهرة : « **ان الله يغفر الذنوب جميعا** » (صدق الله العظيم) ٠

٣ ـ المبادىء وتقويمها بالأشخاص

قرأت قول الله تعالى : « **ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » (١) ٠

وقرأت ماجاء بالانجيل : « اذن لسنا أولاد جارية ، بل أولاد حرة » ٠

وزال عنى العجب عن التفرقة العنصرية عند الأمريكيين فى أيامنا هذه بين البيض والسود ، وزاد اعجابى واجلالى للمسلمين أن سيد القوم يقف بجانب المواطن العامل والمزارع والتاجر والموظف ، كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، راكعين ساجدين ، يخشون ربهم ويرجونه الرضا والعفو ، فأيقنت أن مجد الاسلام والمسلمين فى هذا التساند الجميل ، والتآخى الحبيب، (لا فضل لعربى على أعجمى ، ولا أعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر ـ الا بالتقوى) ٠

٤ ـ الرسالات السماوية

قرأت قول المسيح عليه السلام ، ومثاله : « خرج الزارع

---

(١) ١٣ : الحجرات وردت الآية فى خطبة الرسول الكريم فى حجة الوداع أيضا ٠

ليزرع وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق »[1] . وقرأت كتابة بولس ، ومثاله : « فانى أسر بناموس الله بحسب الانسان الباطن ولكنى أرى ناموسا آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسبينى الى ناموس الخطيئة الكائن فى أعضائى ، ويحى ! أنا الانسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت » (روميه ٧ : ١٤ ـ ٢٤) .

قولان : أحدهما للمسيح يمتاز بالبساطة ووضوح التعبير ، وثانيهما يمتاز بعمق وغور المعانى ، وكلاهما ينسب بأنه قول الله .

وقرأت القرآن الكريم قوله تعالى : « **ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ...** » . وما قبل ذلك فاتحة القرآن الكريم الى قوله تعالى : « **قل أعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس** » . الخ السورة وتأملت وتدبرت ، واذا بالله العزيز الحكيم يحسم الأمر بقوله : « **أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** » ثم يتحدى الله خلقه بقوله : « **قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** » .

فازددت ايمانا ورسوخا ، وقررت قرارا ، واعتزلت الخدمة الدينية وظيفة ، وانتهجت نهج الأعمال الحرة ، فعملت بشركة استندرد ستيشنيرى بالقاهرة من سنة ١٩٥٥ الى ١٩٥٩ لكسب عيشى بالحق والأمانة ، ومازالت تربطنى بالكنيسة روابط كثيرة .

ويشاء الله أن يهدينى اليه ، أليس هو القائل : « **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام** »[2] « **أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه** »[3] .

---

(١) متى ١٣ : ٣ ـ ٨ ، ١٨ ـ ٢٣ .

(٢) ١٣٥ : الانعام (٣) ٢٢ : الزمر .

ويشاء الله أن يعقد بيني وبينه حبا وودا قائما ، فيهـــدى الى ســـيادة الدكتور محمد عبد المنعم الجمال حيث تلاقينا على تفســير القرآن الكريم ، فوسعني فى قلبه حبــا واعجابا ، ووسعنى بمنزله منزلة وكرامة فى دراسة وتفسير للقرآن الكريم ، وآليت على نفسى أن أعلنها صراحة بقبولى الاسلام دينا ، وبراءتى من كل دين يغاير ويخالف دين الاسلام .

ودخلت وأبنائى الأربعة الى دين الله أفواجا ، نســبح بحمده وتمت كل الاجراءات القانونية من تغيير شـــهادات الميــلاد بموجب قرار وزارى صـــادر من وزارة الصـــحة قسم المواليد بتــاريخ ١٩٦٠/٥/٣٠ م .

وبهذا انتهيت من الجهاد لاعتناق الاسلام حيث بدأت الجهـــاد فى سبيل الله ورسوله الكريم بحياة اسلامية مضيئة مشرقة نقيــة طاهرة ، وبالدعوة القوية المفعمة بالحب والاخلاص للقــرآن الكريم والاســلام الحنيف . وفقنــا الله لما يريد ، والعــزة لله ولرســوله وللمؤمنين .

ابراهيم خليل أحمد
سابقا : القسيس ابراهيم خليل فيلبس

تقريظ للسيد الدكتور

علي حسب الله

الأستاذ بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة

ان الدين عند الله الاسلام

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وامام المتقين ، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ففتح به قلوبا غلقا ، وأعينا عميا ، وارتفع شأنه وعلا ذكره بأولئكم الطيبين الطاهرين ، الذين سبقوا الى الايمان به ، ونصروا الرسول بأموالهم وأنفسهم ، فسجل الله ذكرهم في كتابه الكريم : « **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان . رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا . ذلك الفوز العظيم** » (١) ، « **والسابقون السابقون . أولئك المقربون . في جنات النعيم** » (٢) .

لقد أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بقواعد الحق ، ومبادىء الفطرة السليمة ، التى تصلح بها أمور الناس فى الدنيا والآخرة ، والتى يتقبلها العقل البشرى بقبول حسن اذا بعد عن التأثر برواسب الجهل ، وبواعث الانحراف والضلال ، من تقليد الآباء ، والاعجاب بمظاهر دنيوية لا تمت الى الحق والخير بصلة . واذا أراد الله بعبد من عباده الخير والهداية بصره بما فى الحق من جمال وانسجام ، وبما فى تلك العوامل والبواعث من انحراف عن الصراط المستقيم ،

---

(١) ١٠٠ : التوبة (٢) ١٠ ــ ١٢ : الواقعة

واتجاه الى سوء المصير ، فسلك الى الحق طريقه ، وبعد عن طريق الهلاك : « **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء • كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون** » (١) .

والأخ السيد « ابراهيم خليل أحمد » من المثل الطيبة للتحول من الضلال الى الهدى بتوفيق من الله تعالى، وبدراسة عاقلة بصيرة، وهو من الأدلة الصادقة على أن من توجه بقلبه الى الله قبله ، ومن تقرب اليه شبرا تقرب الله منه ذراعا ، ومن تقرب اليه ذراعا تقرب منه باعا •

لقد أثار العليم الخبير وجدانه بآية سمعها من كتابه الكريم : «**قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا• يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا** » (٢) ، فكانت مصباحا أضاء جوانب قلبه ، ووجهه الى البحث عن الحقيقة ، فأخذ يصارع ـ بارادة قوية ، وعقل واع ، ونية طيبة ـ عقيدة قديمة ، تعلقت بقلبه منذ وجد عليها الآباء ، وقد بوأته منصبا وجاها ، وأغدقت عليه رزقا حسنا ، واستمر فى نضاله العقلى والنفسى دون أن يلويه عن غرضه منصب أو جاه ، أو يفكر فيما هو فيه من سعة الرزق ، وما يمكن أن يصير اليه من حاجة • حتى شرح الله صدره وهداه الى دين الحق ، هداه الى دين الاسلام الذى أغناه عن كل ماكان فيه : « **ان الدين عند الله الاسلام** » (٣) .

لقد رأى من أول الواجبات عليه أن يضع تحت سمع الناس وبصرهم ما وفقه الله اليه من دلائل الحق ومعالم الهدى ، فقد يهدى

---

(١) ١٢٥ : الأنعام   (٢) أول سورة الجن •

(٣) ١٩ : آل عمران

الله به رجلا واحدا ، فيكون خيرا له من الدنيا وما فيها ، فجعل باكورة عمله فى الاسلام ذلك الكتيب ، الصغير فى حجمه ، والكبير فى قيمته ، « **محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والانجيل** » ، لينبه به الغافلين ، ويحفز الى التفكير همم العاقلين .

وكان من أظهر ما وجه اليه الأذهان فى هذا الكتيب أمور ، تعتبر فى الدين من أصول العقيدة والسلوك المستقيم ، وهى من الوضوح بحيث لا ينبغى أن يمارى فيها عقل الانسان ، ومن هذه الأمور :

١ ـ وحدة الاله :

ان وجود هذا الكون ـ بما فيه من نظام محكم ، وتناسق دقيق ـ يقتضى عقلا وجود موجد متصف بكل صفات الكمال التى تلائم دقة نظامه ، واحكام تناسقه ، وهذه قضية سهلة لا التواء فيها ، ومن زعم أن الكون لا خالق له فهو مكابر ، يعترف بالأثر ، وينكر المؤثر ، ومن زعم أن له أكثر من خالق فعليه الدليل ، ولن يجد دليلا على وجود معدوم ، واذا لم نكن مطالبين باقامة الدليل على نفى التعدد ، لأن المطالب بالدليل هو المثبت لا النافى ـ فقد تفضل العليم الحكيم على المنحرفين القائلين بالتعدد بالتنبيه على ما فى مقالتهم من فساد بقوله سبحانه : « **لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا** » (١) ، وبهذا يتقرر فى العقل ما قرره القرآن الكريم فى قوله سبحانه : « **قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد** » .

ويقابل هذه العقيدة السهلة السمحة فى الاسلام ـ عقيدة

---

(١) ٢٢ : الأنبياء .

(م ـ ٢)

التثليث المعقدة فى المسيحية ، التى تنزل الله من عليائه ليحل فى بعض خلقه ، أو ترفع بعض المخلوقين الى منزلة الخالق ، مما يبلبل أفكار عامة الناس ، ويحير جهابذة العلماء ٠

وقد بين السيد ابراهيم فى بحثه أن هذه العقيدة دخيلة على المسيحية ، وليس لها وجود فى الأصل اليونانى للانجيل ، بل هى مأخوذة من الوثنية الفرعونية ، والمبادىء البابلية التى وجدت فى لوحة أثرية عثر عليها فى بابل ، ويرجع تاريخها الى سنة ١٢٠٠ ق٠م٠ ولم تتقرر هذه العقيدة عند المسيحيين الا فى مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥ م بدعوة من الامبراطور قسطنطين بسبب الخلاف بين الأسقف آريوس والشماس أثناسيوس الاسكندريين ٠

قال الاسقف : ان المسيح مخلوق لله ، ومتصف بكل الصفات الانسانية ، وتعتريه كل العواطف البشرية ، من نوم ويقظة ، وفرح وحزن ، وغير ذلك ، فلا يكون الها بحال ٠

وقال الشماس : ان المسيح ابن الله ، والابن لا بد أن يكون مساويا للأب ، لأنهما من عنصر واحد ، فلا بد أن يكون المسيح الها مثل أبيه ٠

وقد صدر قرار المجمع بادانة الاسقف ، لأن فكرته تقلل من شأن المسيح ، كأن المسيح لا يرتفع شأنه ــ وهو بشر ــ الا اذا وضع ــ رغم أنف العقل والنصوص الدينية ــ فى مصاف الآلهة٠

وفى سنة ٣٣٤ دعا الامبراطور قسطنطين الى مجمع صور ، الذى قرر الغاء قرارات مجمع نيقية ، وعفا عن الاسقف ، وقبل تعاليمه ٠

ثم مازالت المجامع تنعقد ، وتقرر القرارات المختلفة ــ مما يدل على اضطراب العقيدة وعدم اعتمادها على أساس ــ حتى انقسم المسيحيون ــ بسبب قرارات مجمع القسطنطينية الرابع سنة

٨٦٩ م ـ قسمين ، وأصبح لهم كنيستان : شرقية ارثوذكسية بالقسطنطينية ، وغربية كاثوليكية بروما ، ثم كانت حركة مارتن لوثر سنة ١٥١٧ م التى نشأت بسببها كنيسة ثالثة بروتستانتية بألمانيا ، انتقلت بعد الى انجلترا والولايات المتحدة ٠

وقد اكتشف حديثا فوق هضبة بجوار البحر الميت ـ مخطوطات يرجع تاريخها الى سنة ١٠٠ ق٠م٠ فيها معلومات تصحح الفكرة الخاطئة عن الوهية المسيح عليه السلام، وقد أرسل الدكتور تريفور صورة منها الى الدكتور و٠ ف٠ ألبرايت ـ وهو حجة فى علم آثار الانجيل ، فهنأه على هذا الكشف ، وقال : « انه لا يشك أحد فى العالم فى صحة هذه المخطوطات التى ستحدث ثورة فى فكرتنا عن المسيحية » ٠

ويؤخذ من هذه المخطوطات أن عيسى عليه السلام ابن الانسان وليس ابن الله كما ادعى أتباعه من بعده ٠

٢ ـ غفران الذنوب

يقول الله تعالى فى القرآن الكريم : « **ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** » (١) ، ويقول سبحانه : « **قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ٠ ان الله يغفر الذنوب جميعا ٠ انه هو الغفور الرحيم ٠ وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون** » (٢) ، ويقول تعالى : « **فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ٠ ان الله غفور رحيم** » (٣) ، وفى الحديث القدسى أن رب العزة جل جلاله يقول : « يا عبادى ، انكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعا ، فاستغفرونى أغفر لكم » ٠ وبهذا كان باب التوبة

(١) النساء : ١١٦ (٢) الزمر : ٥٣ ، ٥٤ (٣) المائدة : ٣٩

فى الاسلام مفتوحا لكل من يطرقه من بنى الانسان ، وتقبل توبة التائب ــ بندمه على ما فرط منه ، ومعاهدته ربه على عدم العودة الى ما يغضبه ، ولا تتوقف على شيء من غيره ٠

أما فى المسيحية « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » ، و «أحب الله العالم حتى بذل ابنه الحبيب لكيلا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية » وهو كلام تظهر عليه مسحة الوضع البشرى ، لاستهواء أفئدة العامة ، وحملهم على حب المسيح ، والايمان به ٠ ولا يدرى عاقل كيف يصل العجز بالاله الى الحد الذى لا يستطيع معه أن يغفر للبشر الا بتقديم ابنه الحبيب قربانا ، فالى من يتقرب ؟ والى من يتقدم بالرجاء ؟ وكيف تغفر ذنوب السابقين واللاحقين بتقديم ابنه قربانا ؟ وهل هذا الا فتح لباب المعصية فى المستقبل اعتمادا على هذا الغفران ؟

وقد نقل الينا السيد ابراهيم فى هذا الموضع كلام العلامة روى ديكسون سميث فى كتابه « ضوء جديد على البعث » اذ قال : « لا يوجد متدين مهما كان مذهبه أو فرقته يعتقد ان الله العظيم قد أرسل ابنه الوحيد الى هذه البشرية التى لا تساوى ــ فى مجموعها منذ بدء الخلق الى نهايته ــ كوكبا من الكواكب المتناهية فى الصغر، لكى يعانى موتا وحشيا على الصليب ، لترضية النقمة الالهية على البشرية ، ولكى يساعد جلالته على أن يغفر للبشرية على شرط أن تعلن البشرية اعترافها بهذا العمل الهمجى ــ ألا وهو الفداء ــ الذى لا يستسيغه عقل ٠٠٠٠ ولماذا لا نقول : ان الله العالم بما سيكون سمح بتضحية رسوله لا ليغفر للبشرية جرائمها ، بل لتكون هذه الحادثة سببا فى انتشار الانجيل » ٠

وقد ذكر السيد ابراهيم أن الصليب اتخذ شعارا منذ آلاف السنين قبل المسيح عليه السلام ، وجاء فى انجيل برنابا ــ أن المسيح عليه السلام لم يقتل ولم يصلب ، وانما وقع القتل والصلب

بشبيه به ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم متى جاء سيكشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله ، وقد نفى القرآن الكريم ذلك حتما فى قوله تعالى : « **وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** » (١) ٠

٣ ـ المساواة بين الناس

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم : « **يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ٠ ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » (٢) ، ويقول الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم: « أيها الناس ، ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ٠ كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم » ، ويقول صلى الله عليه وسلم : « لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على أسود ـ الا بالتقوى » ٠

فالمقياس الذى يتفاضل به الناس عند الله هو التقوى والعمل الصالح ، أما الجنس واللون فلا أثر لشىء منهما فى رفعة شأنهم أو ضعفها ٠

أما الأناجيل الموضوعة فقد ورد فيها تفاخرهم بأنهم أولاد حرة لا أولاد أمة : « اذن لسنا أولاد جارية ، بل أولاد حرة » ، ولايزال لهذا المعنى رواسب فى نفوس القوم الى اليوم ، يظهر أثرها فى التفرقة العنصرية فى أمريكا وجنوب افريقيا ٠

---

(١) ١٥٧ : النساء　　　(٢) ١٣ : الحجرات

٤ ـ البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى : « **واذ قال عيسى ابن مريم : يا بنى اسراءيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد** » (١) ، وقد بين السيد ابراهيم أن هذه البشارة وردت فى التوراة والانجيل .

وردت فى التوراة فى قوله : « أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك ، لأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به » ، وهى عبارة مجملة ، فسرها اليهود بمجىء رسول منهم ، لا من ولد اسماعيل ، وكأن الله تعالى جعل هذه العبارة مجملة ، وألهمهم هذا التفسير حفظا لهذه البشارة ، لأنهم لو عرفوا أن الرسول المبشر به سيكون من ولد اسماعيل لأخفوها أو محوها ، وقد أثبتت الأيام أن الرسول المبشر به هو محمد صلى الله عليه وسلم .

وورد فى الانجيل ما يدل على انتقال النبوة من ولد اسحاق الى ولد اسماعيل فى قوله : « الحجر الذى رفضه البناءون قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا ، وهو عجيب فى اعيننا ، كذلك أقول لكم : ان ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل أثماره » (٢) .

والحجر الذى رفضه البناءون كناية عن اسماعيل عليه السلام جد محمد صلى الله عليه وسلم الذى قال : « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله ، الا موضع لبنة فى زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبهم البناء ، فيقولون : ألا وضعت هاهنا لبنة ليتم البناء ؟ فأنا اللبنة ، جئت فختمت الأنبياء » .

---

(١) ٦ : الصف (٢) انجيل متى ٢١ : ٤٢ ، ٤٣

وقال المسيح عليه السلام للحواريين : « ان لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون الآن أن تحتملوا ، وأما متى جاء ذاك – روح الحق – فهو يرشدكم الى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية »[1].

ويؤخذ من المخطوطات التى عثر عليها بجوار البحر الميت كذلك أن عيسى كان مسيا المسيحيين [2] ، وأن هناك مسيا آخر سيأتي بعده ، وقد قال عنه المسيح : « ومتى جاء المعزى – البارقليط – فهو يشهد لى » ، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الذى جاء بعده ، فشهد له وأنصفه ، ودافع عنه وعن العقيدة الصحيحة التى جاء بها.

وقد جاء فى انجيل برنابا – الذى استبعدته الكنيسة فى عهدها الأول ، وحرم البابا جلاسيوس قراءته سنة ٤٩٢ م – ما يؤيد هذه المخطوطات ويوضح ما فيها من اجمال ، قال : « فلما كان الناس قد دعونى الله ، وابن الله – على أنى كنت بريئا فى العالم – أراد الله أن يهزأ الناس فى هذا العالم بموت يهوذا معتقدين أننى أنا الذى مت على الصليب ، لكيلا تهزأ الشياطين بى فى يوم الدينونة ، وسيبقى هذا الى أن يأتى محمد رسول الله ، الذى متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله » [3] .

وبهذا تكون البشارة فى الأناجيل المختلفة مطابقة للبشارة فى التوراة ، فللبشرية نبى كموسى ، من وسط اخوتهم ، وينزل عليه كتاب يكلم الناس بما فيه ، وهو روح الحق ، لا يتكلم من نفسه ، بل بما يوحى به اليه ، وصدق الله العظيم فى قوله تعالى : « **والنجم**

---

(١) انجيل يوحنا ١٦ : ١٢ ، ١٣

(٢) مسيا – كلمة آرامية – معناها رسول

(٣) انجيل برنابا ، الباب ٢٢٠ .

اذا هوى • ما ضل صاحبكم وما غوى • وما ينطق عن الهوى • ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى » [1] •

ومهما أخفى القوم من الأناجيل الصحيحة فان القرآن الكريم قد تكفل ببيان ما لابد من بيانه مما أخفوا ، قال تعالى : « **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير • قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين • يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم** » [2] •

وهكذا يسلط السيد ابراهيم خليل الأضواء على أشهر مواضع الخلاف بين الديانتين المسيحية والاسلامية بخبرته السابقة ، ويستخلص الحق فيما وقع فيه الخلاف ، مؤيدا ما اهتدى اليه بالعقل والنقل ، ومبينا منشأ ما عليه القوم من انحراف فى العقيدة ، وأن الحكام وبعض رجال الدين أرادوا بتضليلهم الولاية على الشعب واستغلاله ، والله ولى التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل •

على حسب الله

---

(١) أول سورة النجم • (٢) المائدة : ١٥ ، ١٦ •

تقريظ للسيد الدكتور

عبدالحليم محمود على

عميد كلية أصول الدين بجامعة الأزهر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وصحبه والتابعين ، وبعد :

فقد طوف بنا الأخ الفاضل الأستاذ ابراهيم خليل أحمد ، على مراحل التحريف للدين المسيحى مستندا لها بأسانيد تاريخية ودينية فى عرض مقارن ٠

وخلص من كل ذلك الى دين الحق الذى يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون وليحق الحق ، ويبطل الباطل ولو كره الكافرون ٠

ولقد تحدث سيادته عن دخوله فى الاسلام بعد أن تداركته عناية الله ، اذ سمع قوله تعالى : « **قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ٠ يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا** » ٠

فشرح الله صدره للاسلام ، وأخذ يبحث فى قضايا الوحدانية ، والغفران ، وتقييم المبادىء بالأشخاص والرسالات السماوية فى عرض مقارن ٠

وهو فى هذا العرض التاريخى الدقيق المستند الى النصوص والوثائق الصحيحة ، والمنطق العقلى يؤيد الاسلام تاريخيا فيما أتى به القرآن وحيا من السماء .

وممن أثبت هذا من علماء الغرب بصورة واضحة سافرة ، الأستاذ (شارل جنيبير) أكبر أستاذ لتاريخ الأديان فى فرنسا ، مع أنه من أسرة مسيحية ، وكتبه مشهورة معروفة ، ومكانته العلمية ذائعة شائعة .

واننا أمام هذه الرسالة القيمة ، لتشكر الأستاذ ابراهيم خليل أحمد ، فلقد وفق كل التوفيق فى اخراجها للناس احقاقا للحق وابطالا للباطل فى حيدة تامة لم يكن مدفوعا بدوافع عاطفية أو مادية . وانما كان من عشاق الحق لذاته ، غير مبال بما يصيبه فى سبيله .

ونرجو الله تعالى أن يديم له التوفيق والرشاد .

ولقد بين أن التثليث دخيل على المسيحية الحقة ، وأنه مستورد من الوثنية الفرعونية ، كما صرح بذلك الأستاذ (جارسلاف كرينى) أستاذ الحفريات بجامعة « اكسفورد » فى كتابه « ديانة قدماء المصريين » وأن هذا التثليث لم يوجد فى الأصل اليونانى .

وصكوك الغفران ، واستحالة الخبز الى جسد المسيح عليه السلام ، خروج عن الحق الالهى ، كما صرح بذلك زعماء الاصلاح فى القرن الخامس عشر ، وعلى رأسهم : (لوثيروس الألمانى) .

وبشرت التوراة بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم . ففى سفر التثنية : ٣٣ : ٣ « جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير ، وتلألأ من جبل فاران » .

وتلك هي الرسالات الثلاث : لموسى ، وللمسيح ، ولمحمد عليهم جميعا أفضل الصلاة والتسليم .

وهذا مصداق قوله تعالى في القرآن الكريم :

« والتين والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد الأمين » .

لأن منبت التين والزيتون مهجر ابراهيم ، ومولد عيسى عليهما السلام ، وطور سيناء مكان مناجاة الله تعالى لموسى عليه السلام ، وفاران في مكة : مولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

وجاء في أسفار الأنبياء عليهم السلام : أنه صلى الله عليه وسلم روح الحق ، والفارقليط ، والمعزى ، وأنه لا يتكلم الا بما يسمع من الله تعالى ، وأنه أساس الحق ورأس زاويته ، وهو البار الذى تنبأت به زوجة الوالى الرومانى .

والمخطوطات والآثار القديمة ، تثبت بشرية المسيح ، ووحدانية الله ، ومجيء محمد عليه وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وقد صرح انجيل برنابا بذلك كله .

وكلمة : (مسيا) آرامية معناها (رسول) .

وعند مجيء الرسول عليه الصلاة والسلام يسجد العالم شكرا وسيجعل كل سنة هذا اليوبيل بدل كل مائة سنة ، وهذا الذى قاله برنابا معناه : الحج في الاسلام وهو الركن الخامس منه .

وكلمة : « انجيل » معناها : بشرى ، لأن المسيح عليه السلام ، جاء مبشرا بقدوم محمد عليه السلام .

وتعاليم المسيح عليه السلام تهدم التعصب الطائفى والعنصرى كما جاء فى قصة الكاهن مع الجريح الذى مر عليه وتركه ، ولقد صرح الأسقف الاسكندرى « آريوس » : بأن المسيحية قد حرفت بما دخل عليها من المبادىء الفلسفية المستوردة من الهند والصين وفارس ومصر ، فلم يبق اذن غير الرجوع للحق ولدين الحق الذى تكفل الله بحفظه ·

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ·

وليس أجمل من هذا ولا أحسن ·

« ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا » · وبالله التوفيق ·

عبد الحليم محمود

تقريظ للسيد الأستاذ

محمد الغزالى السقا

مراقب عام بالادارة العامة للدعوة بوزارة الأوقاف

دراسة الملل والنحل جزء مهم من ثقافتنا الدينية القديمة .. ودراسة النصرانية خاصة وكتبها المقدسة لديها موضوع اجتذب انتباه العلماء المسلمين وكثرت فيه مؤلفاتهم .

ولا عجب ، فان العلاقات بين الاسلام والنصرانية ظلت متشابكة ومعقدة من أمد طويل .

ومن المحزن أن تسفك فيها دماء كثيرة ، وكان أولى بالفريقين أن يقبل على ما لدى الآخر يدرسه بعناية وتمحيص ثم يدع للفكر المجرد أن يصدر حكمه ، وللرغبة الخالصة أن تأخذ وجهتها .

ونحن ـ المسلمين ـ غير مسئولين عن الطريقة الدامية التى سارت فيها العلاقات العالمية بين الاسلام والصليبية . ان الحقد التقليدى جزء من السياسة الأجنبية نحو الاسلام .

أما الاسلام فهو يقول لأتباعه : « **ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن ـ الا الذين ظلموا منهم ـ وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ، ونحن له مسلمون** ».

لكن ما الذى أنزل الى أهل الكتب الأولى ؟

ان المواريث السماوية بين أيدى القوم تحتاج الى تأمل وطول نظر .

ففيها كلام حسن عن الله الواحد ، وعن وصاياه للعالمين بالاستقامة والتقوى •

وهذا الكلام يستحق القبول والعناية •

بيد أن هناك كلاما آخر يشعر الانسان الحصيف بقلق عندما يتلوه ، ذاك الذى ينسب الى الله الكبير صفات تتنزه عنها ذاته العليا ••• ثم ذاك الذى يؤرخ لأنبياء الله ـ وهم قمم الانسانية من أزلها الى أبدها ـ فيبرزهم وكأنهم خريجو حانات وأحلاس شهوات [1] •

وشىء آخر لا يعود الى هذه الكتب قدر ما يعود الى أصحابها وهو تواطؤهم على جحد العروبة ونبيها الخاتم لما سبق ، صاحب الرسالة التى قدر الله أن تصحب العالم فى مراحل وجوده حتى الحصاد الأخير للنشاط الانسانى فوق الأرض •

ان انكار نبوة محمد صلوات الله عليه وتناسى دلائلها الثابتة فى الكتب المقدسة عند القوم شىء مستغرب •

ومن حق الباحث المسلم أن يجلوا غوامضه •

وقد وفق الله الأخ المخلص السيد ابراهيم خليل أحمد الى تأليف هذه الرسالة فى هذا الموضوع ، وسيادته خبير به ، بل خبير بالعهد القديم والعهد الجديد •

وعندى أن أصحاب الدراسات الاسلامية لا يستكملون ثقافتهم حتى يطلعوا على أمثال هذه الرسائل ويتعرفوا منها ما لدى الآخرين من تراث يقترب منا أو يبتعد عنا •

وفق الله المؤلف الفاضل الى خدمة الحق وأجزل مثوبته •

٤/١١/١٩٦٣ **محمد الغزالى**

---

(١) طالع قصة لوط فى سفر التكوين ، وسفر نشيد الانشاد •

الباب الأول

التوراة والإنجيل تتنبأ ببعث الرسول الكريم

« الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذين يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل » [1]

أرسل الله رسوله الكريم وأمره بالتبليغ « **يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك** » [2] ، وهنا يتبادر الى ذهن الانسان الذى يتذوق حلاوة الاسلام دينا أن يتساءل : ما الرسالة ؟ فيوحى القدير بقوله الى الرسول الكريم ليجيب بقوله تعالى : « **قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيى ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون** » [3] ، ويزكى الله الحكيم نبيه لأهل الكتاب بقوله تعالى : « **آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون • كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله** » [4] •

---

(١) ١٥٧ : الأعراف (٢) ٦٧ : المائدة

(٣) ١٥٨ : الأعراف (٤) ٢٨٥ : البقرة

ولهذه التزكية من رب العالمين للنبى الكريم وجب على العالمين الايمان به ٠ ومن أهل الكتاب راسخون فى العلم « **لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك** »[1] « **واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين** »[2] أولئك هم : « **الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل** »[3] ٠

وللمسلم أن يعتز بدينه ، فهو كالشمس تشرق على المسلمين وغير المسلمين ٠

وللمسلم أن يعتز باسلامه ، فهو كالهواء النقى : لا يستغنى عنه الخلق ، ولا حياة لهم بدونه ٠

وللمسلم أن يعتز بقرآنه ، فهو كالماء : فيه حياة لكل من نهل منه ٠

وليس بعجيب أن يوصى الله المسلم بقوله تعالى : « **ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم ، والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون** »[4]. وقوله تعالى : « **قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** »[5] ٠

---

(١) ١٦٢ : النساء
(٢) ٨٣ : المائدة
(٣) ١٥٧ : الاعراف
(٤) ٤٦ : العنكبوت
(٥) ١٣٦ ٠ البقرة

والواقع أن الله ميز المسلم باقامة الدين بقوله تعالى : « **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** »[1] .

بشارات من التوراة والانجيل

أولا ـ من التوراة :

التوراة كلمة عبرية تعنى « قرآن » وبهذا صار سيدنا موسى عليه السلام يتلقى الوحى من الله ، فيقرؤه لبنى قومه الاسرائليين ، وعند قراءة التوراة كان على الحبر أن يتأكد من طهارة جسده من كل دنس ، وعند ذكره للفظ الجلالة يجب أن يخر ساجدا خاشعا من خشية الله تعالى .

ولقد تنبأ سيدنا موسى عليه السلام ببعث الرسول الكريم فى عدة آيات .

١ ـ قال فى سفر التثنية ٣٣ : ٣ (جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران)[2] .

---

(١) ١٣ : الشورى .

(٢) سعير أو أرض سعير أو سير ـ سلسلة جبال ممتدة فى الجبهة الشرقية من وادى عربة من البحر الميت الى الخليج الايلانيتى . سميت كذلك نسبة الى سعير الحورى . والظاهر أنه كان جد سكان تلك الأراضى . وربما كانت تسمى كذلك نسبة الى خشونة منظر البلاد كلها وهو المرجح . والواقف على قبر هارون فى جبل حور فى أواسط جبال سعير يشاهد ما فى البلاد من الهضاب والصخور والغياض والأشجار الملتفة مما يثبت هذا الرأى . وكانت تسمى أيضا أرض سعير . أما يوسيفوس وأوسابيوس وايرونيموس =

وهذه الآية الكريمة هى البركة التى بارك بها سيدنا موسى عليه السلام بنى اسرائيل فى برية سيناء قبل غروبه الى الراحة الأبدية .

= فيسمونها جبال (عيبال) ، ولا يزال القسم الشمالى من جبل سعير حتى العربية يدعى جيبال . وكانت حدود سعير تمتد قديما الى العربية والى خليج العقبة جنوبا ، والى حضيض سلسلة جيبال عند ابتداء الصحراء شرقا . وقد ورد ذكرها فى سفر التثنية ٢ : ١ـ٨ (ص ٦٢٣ جـ ٩ : دائرة المعارف للبستانى طبعة بيروت سنة ١٨٨٧) .

وأما برية فاران ـ فعندما طردت هاجر رضوان الله عليها واسماعيل عليه السلام من لدن سيدنا ابراهيم عليه السلام . قيل عن اسماعيل عليه السلام انه سكن فى برية فاران (تكوين ٢١:٢١) . ودخلها الاسرائيليون بعد مفارقتهم سيناء (عدد ١٠ : ١٢ ، ١٢:١٦) ثم أرسل منها الجواسيس الى أرض كنعان (عدد ١٣:٣) و(١٣:٢٦) . وقد ذكر فى الكتاب المقدس اسم ثمانية عشر موضعا من المواضع التى نزل فيها شعب اسرائيل مدة رحلاتهم فى هذه البرية . ويرجح أن بنى اسرائيل تفرقوا مدة سكناهم فى البرية مسافة شاسعة من الأرض كما تتفرق قبائل البدو الآن . وقد التجأ اليها داوود (صموئيل الأول ٢٥ : ١) ومر بها مهددا ملك آرام لما هرب من وجه داوود وموآب (ملوك الأول ١١ : ١٨) .

وجبل فاران هو الجبل الذى تلألأ فيه الرب عندما أتى من سيناء (تثنية ٣٣ : ٢) و (حبقوق ٣ : ٣) ويرجح أنه الجزء الجنوبى من الجبال التى فى القسم الشمالى الشرقى من برية بادية التيه المسمى الآن جبل مفرعة ، وفى هذا القسم « عين قادش » التى يظن بعضهم أنها قادش برنيع ، وهذا الجبل يشرف على البادية ، ويحجب عن الصاعد منها منظر جبال أرض يهودا (ص ١٣٦ ، ١٤٧ جـ ٢ : قاموس الكتاب المقدس طبعة بيروت سنة ١٩٠١) .

ولكى نتفهم هذه المعانى لا يسعنا الا التدبر فيما جاء فى القرآن الكريم من قوله تعالى : « **والتين والزيتون ، وطور سينين ، وهـذا البلد الأمين** » [1] . ومن هذه الآية القرآنية الكريمة نجد تطابقـا تاما كاملا فى الوسيلة والتعبير ، اذ أقسم الله تعـالى ببقاع مباركة عظيمة ظهر فيها الخير والبركة بسكنى الأنبياء . فالتين والزيتـون مجاز عن منابتهما بالأرض المباركة وفيهـا مهجر ابراهيـم ، ومولد عيسى ومسكنه عليهما السلام . وطور سينين الجبل الذى كلم الله عليه سيدنا موسى عليـه السـلام . والبلد الأمين مكة المكرمة التى ولد فيها وبعث منها أشرف الخلق وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وفيها البيت العظيم .

والتطابق بين الآية التى وردت فى التوراة والآية القرآنيـة هو : سيناء مجاز عن الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام . وسعير مجاز عن الأرض المباركة التى ولد فيها سيدنا عيسى عليـه السلام وسكن بها وجال فيها يصنع خيرا للبشرية . وفاران مجاز عن الأرض التى سكن اليها جد الرسول الكريم : سيدنا اسماعيل عليه السلام .

والأمر الذى يسترعى الانتباه هو : كيف نستدل على أن فاران هى الأرض المباركة التى سكن فيها سيدنا اسماعيل جد الرسول الكريم عليهما أفضل الصلاة والسلام ؟ [2] .

---

(١) سورة التين ١ ، ٢ ، ٣ .

(٢) يحمل المسيحيون هذه البشارة على المسيح ، والحقيقة أن بشارة موسى عليه السـلام فى التثنيـة ١٨ : ١٨ ، لا تنطبق عـلى عيسى عليه السلام لأن المفروض المماثلة الحقيقية وهى لا تنطبق عـلى عيسى عليه السلام ، لأن المبشر به نبى وعيسى عليه السلام عندهم =

والدليل على هذا من التوراة فى سيرة سيدنا ابراهيم عليه السلام مع زوجتيه سارة وهاجر ، لقد كانت هاجر جارية للسيدة سارة وصارت زوجة لسيدنا ابراهيم عليه السلام لانجاب نسل له • وظنت السيدة سارة زوجة سيدنا ابراهيم أن مهمة جاريتها السيدة هاجر هى انجاب نسلا مع بقائها جارية تسخرها السيدة سارة كيفما شاءت وأرادت ، (هذه هى القصة فى سطور) •

وأنجبت السيدة هاجر ابنا لابراهيم عليه السلام ، وكان هذا الابن قرة عينيها وبهجة قلبها ، لكن الزمن لم يرحمها فأذلتها سيدتها السيدة سارة ، وخضعت هى لها ، وازدادت السيدة سارة اذلالا لها وتعنتا ، فاستجارت بزوجها ابراهيم عليه السلام ، لكنه تركها لسيدتها السيدة سارة بقوله لها : (هو ذا جاريتك) • فاشتدت بها ايلاما وايذاءا حتى هربت ترجو النجاة مما ألم بها ، فقابلها ملاك الله فى الطريق • وهذه هى قصة السيدة هاجر رضوان الله عليها فى سطور • « فقال لها الملاك : مالك ياهاجر ؟ لا تخافى ، لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو ، قومى احملى الغلام ،

= اله ، وانه يكون صاحب شريعة تامة كاملة مستقلة وعيسى عليه السلام لم تكن له شريعة ، وقد أقر على نفسه بذلك بقوله : « ماجئت لأنقض بل لأكمل» •(انجيل متى ٥ : ١٧) ، وموسى كان متزوجا وله أولاد بخلاف المسيح بن مريم ، وموسى حارب أعداء الله ، والمسيح لم يحارب قط • واذا كان المسيح عليه السلام - حسب اعتقادهم - ظهر بمولده وانتهى أمره بموته • فما معنى أن يبشر تابعوه بأن ملكوت السموات قد اقترب ، مع أنه جاء فى شخص المسيح وانتهى كما يقولون ؟ (قصص الأنبياء ، لعبد الوهاب النجار) •

وشدى يدك به لانى سأجعله أمة عظيمة • وفتح الله عينيها ، فأبصرت بئر ماء ، فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام • وكان الله مع الغلام ، فكبر وسكن فى برية فاران • وكان ينمو رامى قوس ، وسكن فى برية فاران ، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر » •• (سفر التكوين ٢١ : ١٧ ـ ٢١) •

فيتضح من التوراة اذن أن الذى سكن أرض فاران هو سيدنا اسماعيل عليه السلام ، ولعل الله فى حكمته سمح بهذه التيارات التى تفاعلت فى بيت سيدنا ابراهيم عليه السلام ليستقر اسماعيل فى أرض يتميز بها ، وتأتى النبوة على لسان موسى عليه السلام بقوله : « تلألأ من جبل فاران » (تث ٣٣ : ٣) •

٢ ـ قال فى سفر التثنية ١٨ : ١٥ « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى له تسمعون » •

٣ ـ قال فى سفر التثنية ١٨ : ١٨ « أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به» •

والاعجاز فى هاتين الآيتين فى العبارة : « من اخوتك ، من وسط اخوتهم » ، والاعجاز الأقوى فى قوله : « أجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به » ، هذا هو الاعجاز فى النبوة •

ويشاء الله ـ وهو العليم بجبلة بنى اسرائيل ـ كما وضح لنا بقوله تعالى : « **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم • وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** » [1] ـ يشاء الله أن يجعل الأمر لاسرائيل طلسما حتى **لا يحرفوا الكلم عن مواضعه** ، فيظهر الحق ويزهق الباطل • ويحرصوا على حماية الرسول الكريم

(١) ١٤٦ : البقرة

وهم لا يدرون ، وينتظروا الرسول الكريم ، لكنهم كانوا يظنون أنه اسرائيلي لا عربي ، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خاب رجاؤهم ، وقابلوه بعدوان ، كأنه اغتصب منهم النبوة والكتاب والملك ٠

ولنا من التاريخ الديني عبرة ، والله يضرب للناس الأمثال لعلهم يهتدون ٠ فلقد شاءت ارادة القدير أن ينجي شعبه من بني اسرائيل من ظلم فرعون مصر ، وأراد فرعون أن يدرأ عن نفسه ما تنبأ له به الكهنة من أنه يولد من بني اسرائيل ولد ينتزع منه السلطان ، فيأمر بقتل الذكور ممن يولد للاسرائيليين ، حتى كان مولد سيدنا موسى عليه السلام ، ويسخر الله فرعون وجنوده ، لحماية هذا الوليد ٠ وتبلغ السخرية حد القسوة ، فيجعل أمانه وملجأه في بيت فرعون ، ليتهذب بكل حكمة المصريين ، وليعرف أسرارهم وقوتهم ، وكأنه بارادة الهية جعله الله عينا لاسرائيل ، ليتعرف على قوتهم وعتادهم ، هذه هي معاملة الله لكل ماكر عنيد والله خير الماكرين ٠ ان اسرائيل أرادت أن تطفىء النور في شخص اسماعيل عليه السلام لكن الله متم نوره ولو كرهوا ٠

فشكرا لاسرائيل ، لأنهم حرصوا على سلسلة نسب الرسول الكريم في جده اسماعيل ، شكرا لهؤلاء ، لأنهم أشادوا بمجد العرب في اسماعيل عليه السلام ، فأرادوا له اندثارا ، لكن الله ثبته وثبت ملكه في حفيده الرسول الكريم ، وأرادوا التنكيل به كما ورد في قولهم : « اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحاق » (تكوين ٢١ : ١٠) ، لكن الله يدعم اسماعيل بالحق بقوله : « **سأجعله أمة عظيمة** » (تكوين ٢١ : ١٧ ـ ٢١) ، ليولد منه سيد ولد عدنان محمد صلى الله عليه وسلم ٠

وهكذا كان صراع بين ارادة بنى اسرائيل وارادة الله القدير العزيز ، وأنى للاسرائيليين أن يغيروا مقاصد العلى الكبير ؟ فباتوا فى حسرة وندم . « **وباءوا بغضب من الله** » ثم « **باءوا بغضب على غضب** » .

ودعنى أيها القارىء العزيز أتتبع البشارات من التوراة للأنبياء الى الانجيل ثم نربط هذه السلسلة بتقريظ من بعث الرسول الكريم ، فأنتقل بك الى النبوءات التى بشرت بالرسول الكريم ، كما وردت عن الأنبياء :

ثانيا ـ من الأنبياء :

١ ـ فى سفر دانيال :

فى الفترة من سنة ٥٩٧ الى ٥٣٨ ق.م ، وفى أيام دانيال النبى ، وفى أرض السبى بمملكة بابل ، وفى السنة الثانية من ملك الملك نبوخذنصر ملك بابل ـ يلهم القدير ذلك الملك الوثنى برؤيا منامية ، ويكشف له الامبراطوريات التى تتعاقب وتدول حتى يأتى الاسلام دينا ودولة ، ويرمز اليه بحجر قطع بغير يدين ، والقصة وردت فى سفر دانيال ٢ : ١ ـ ٣٥ ، نكتفى منها بما ورد فى هذا الجزء (دانيال ٢ : ٣١ ـ ٣٥) . « كنت تنظر الى أن قطع حجر بغير يدين . فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف ، فسحقهما فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معا ، وصارت كعصافة البيدر فى الصيف ، فحملتها الريح ، فلم يوجد لها مكان . أما الحجر الذى ضرب التمثال فصار جبلا كبيرا وملأ الأرض كلها » .

هذه الرؤيا المنامية التى أراها القدير ـ وهو رب العالمين ، رب

المؤمنين والوثنيين ، والجميع يعملون وفق ارادته وعلمه السابق ، لا يتعدى أى منهم النطاق الذى يحيا فيه الا باذنه . هذه الرؤيا يراها نبوخذنصر الملك ، ويعبر عنها نبى الله المؤمن ، ويفسرها باذن الله ، ويتحقق هذا فى حقب التاريخ التى تعاقبت كالآتى :

١ ـ سنة ٧٠١ ق٠م مملكة بابل ، ويرمز اليها بالرأس من الذهب فى عهد نبوخذنصر .

٢ ـ سنة ٦١٢ ق٠م مملكة الكلدانيين فى عهد ميداس ، ويرمز لها بالفضة .

٣ ـ سنة ٣٣٦ ق٠م المملكة الاغريقية فى عهد الاسكندر المقدونى ، ويرمز لها بالنحاس .

٤ ـ سنة ٥٣ ق٠م الامبراطورية الرومانية فى عهد بومباى ويرمز لها بالحديد .

٥ ـ سنة ٦١٢ م الامبراطورية البيزنطية فى الغرب ، والامبراطورية الفارسية الساسانية فى الشرق .

٦ ـ سنة ٦٣٧ م . الاسلام ، وكتب الرسول الى الملوك يدعوهم الى الاسلام ، والغزو الاسلامى دفاعا عن هجوم أعداء الاسلام ، وتقويض الامبراطورية البيزنطية فى الغرب والامبراطورية الفارسية فى الشرق .

وهكذا بسط الاسلام لواءه في ربوع الأرض من مشرقها الى مغربها .

٢ ـ فى سفر اشعياء النبى :

فى سنة ٧٠١ ق٠م ، وفى أرض السبى . وفى بابل تنبأ النبى الاسرائيلى اشعياء بالاسلام دينا ودولة :

ففي أشعياء ٦٠ : ١ ـ ٧ (قومى استنيرى ، لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليـك ، لأنه **هاهى الظلمة تغطى الأرض والظلام الدامس الأمم • أما عليـك فيشرق الرب ، ومجـده عليك يرى •** فتسير الأمم فى نورك ، والملوك فى ضياء اشراقك • ارفعى عينيـك حواليك ، وانظـرى ، قد اجتمعوا كلهم ، جاءوا اليك يأتى بنـوك من بعيد ، وتحمل بناتك عـلى الأيدى • حينئذ تنظرين وتنـيرين ، ويخفق قلبك ويتسع ، **لأنه تتحول اليك ثروة البحر ، ويأتى اليك غنى الأمم • تغطيـك كثرة الجمال بكران مديان** وعيفة كلها تأتى من شبا تحمل ذهبا ولبانا • وتبشر بتسابيح الرب • كل **غنم قيدار** [١] **تجتمع اليك • كبـاش نبايوت تخدمك** • تصـعد اليك مقبولة عـلى مذبحى وأزين بيت جمالى) •

وفى أشـعياء ٤٢ : ١٠ ـ ١٢ (غنوا للـرب أغنية جـديدة • **تسبيحة من أقصى الأرض** • أيهـا المنحـدرون فى البحـر ومائه **والجزائر وسكانها** • لترفع البرية ومدنها صوتها • **الديارالتى سكنها قيدار** ، لتترنم سـالع [٢] ، من رءوس الجبال ليهتفوا ، ليعطـوا الرب مجدا ، ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر • **الرب كالجبار يخرج • كرجل حروب ينهض غيرته • يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه) •**

وهنا نتسـاءل : أين الرسـول الكريم فى تلكم الآيات التى وردت آنفا ؟

---

(١) قيدار : هو ابن سيدنا اسـماعيل عليه السـلام • اقرأ (تكوين ٢٥ : ١٢ ـ ١٨ ، تكوين ٢١ : ١٣) •

(٢) فى القاموس : سلع جبل بالمدينة ، وسـليع بالتصغير ـ جبيل بالمدينة يقـال له : غبغب • وقال السيد المستشـار على على منصور : سالع جبل قبالة جبل أحد •

وللاجابة على هذا نجد صلة نسب الرسول الكريم من نبايوت ابن اسماعيل بن ابراهيم عليهم أفضل الصلوات والسلام ، وهذه السلسلة النبوية الكريمة يدونها موسى عليه السلام هكذا : (وهـــذه أسماء بني اسماعيل حسب مواليدهم : نبايوت بكر اسماعيل ، وقيدار ... اثنى عشر قبيلة) ـ (سفر التكوين ٢٥ : ١٣) .

ويزداد الأمر وضوحا واشراقا بذكر رموز خاصة مثل (كثرة الجمال) ، (يأتى اليك غنى الأمم) ، (غنم قيدار) ، (كباش نبايوت) ، (تصعد مقبولة على مذبحى) ، اشارة الى يوم النحر بمنى ، و « جبل عرفات بمكة » (الجزائر وسكانها) ، (الديار التى سكنها قيدار) ، (الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض) . ولقد قال الغرب : ان الاسلام قام غازيا كجبار ، يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه .

٣ ـ فى سفر حبقوق :

قال نبى العهد القديم : (الله جاء من تيمان [1] . والقدوس

---

(١) فىالقاموس : أرض تيماء ـ قفرة مضلة مهلكة أو واسعة . والتيماء الفلاة . وقال ياقوت : تيماء بليد فى أطراف الشام ، بين الشام ووادى القرى ، على طريق حاج الشام ودمشق ، والابلق الفرد ـ حصن السموءل ، مشرف عليها ، فلذلك كان يقال لها : تيماء اليهودى . ولما بلغ أهلها سنة ٩ هجرية قدوم النبى صلى الله عليه وسلم الى وادى القرى أرسلوا وصالحوه على الجزية ، وأقاموا ببلادهم . فلما أجلى عمر اليهود عن جزيرة العرب أجلاهم معهم . وكانت تيماء حصنا أعمر من تبوك ، وحاضرة بنى طى ، والى الشمال الشرقى منها التعلية ، الى الجنوب الشرقى فيه . (ص٢٩٣ ، ٢٩٤ ج ٦ : دائرة المعارف للبستانى طبعة بيروت سنة ١٨٨٢) .

من جبل فاران • سلاه جلاله غطى السموات • والأرض امتــلأت من تسبيحه • وكان لمعان كالنور • له من يده شعاع وهناك استتار قدرته) (حب ٣ : ٣و٤) •

يتنبأ حبقوق بالرســول والرســالة وامتداد رقعة الاســلام ، فيوضح سلسلة نسب الرسول الكريم بمنبت جده اسماعيل عليــه السـلام فى أرض فاران • ثم يتحدث عن امتداد الاســـلام حيث تسبح الأرض بحمد الله قائلة لا اله الا الله محمد رســول الله • ثم يتحدث عن الركع والسجود الذين يملأون الأرض بحمده وتســبيحه ثم يتحدث عن الاعجاز للقرآن الكريم ، الاعجاز العلمى فى كل ميادين العلم ، واعجاز تأثيره على السامعين : « **انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به** » •

أنتقل بالقارىء العزيز الى مرحلة ثالثة وهى البشـــارات التى وردت عن الرسول الكريم التى جاءت فى الانجيل •

ثالثا ـ نبوءات من الانجيل :

يقول سيدنا عيسى عليه السلام للحواريين : « انلى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم • ولكن لا تستطيعون الآن أن تحتملوا ، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع يتكلم به ، ويخبركم بأمور آتية » (انجيل يوحنا ١٦ : ١٢و١٣) •

ولعلك أيها القارىء العزيز تستطيع أن تجمــع بين قول عيسى فى هذه الآية ، وقول موسى فىالاية التى وردت آنفا بصحيفة ٣٧ : (وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به) • فتجد الأضواء تسلط على نبى سيأتى ، من هــذا النبى ؟ لم يكن موسى ، ولم يكن

عيسى ، فمن هذا النبى الكريم ؟ ان الأضواء تتجمع فى بؤرة واحدة لتكشف عن شخصية هذا النبى ٠

ولعل سيدنا عيسى عليه السلام يزيد وضوحا فى تعريفه عن هذا النبى ، فيخبرنا عنه : أنه (روح الحق) ، ولسيدنا محمد أسماء منها ، (روح الحق) ٠ ويحدثنا الله عن الرسول الكريم فيقول : **«وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ٠ علمه شديد القوى»** [1]
وهذا يتفق مع قول الرسولين الكبيرين : موسى وعيسى عليهما السلام : « لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع يتكلم به » ، « وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به » ٠

المسيح عليه السلام صوت يتنبأ

بمقدم الرسول الكريم

لقد جهد المسيح عليه السلام من الكهنة والكتبة والفريسيين والصدوقيين ، وندد بهم بقوله : « ليس كل من يقول : يارب ، يارب ، يدخل ملكوت السموات ٠ بل الذى يفعل ارادة أبى الذى فى السموات ٠ كثيرون يقولون لى فى ذلك اليوم : يارب ، يارب ، أليس باسمك **تنبأنا** ، وباسمك أخرجنا شياطين ، وباسمك صنعنا قوات كثيرة ، فحينئذ أصرح لهم أنى لم أعرفكم قط ، اذهبوا عنى يافاعلى الاثم » ، (انجيل متى ٧ : ٢١ ـ ٢٣) ٠

وآسى للشعب فقال عنهم : « يقترب الى هذا الشعب بفمه ، ويكرمنى بشفتيه ، وأما قلبه فمبتعد عنى بعيدا ، وباطلا يعبدوننى وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس » ، (انجيل متى ١٥:٨و٩) ٠

---

(١) ٣ ـ ٥ : النجم ٠

وفى هذا القول ترديد لما قاله نبى العهد القديم أشعياء وهو فى أرض السبى فى بابل سنة ٧٠١ ق٠م : « فقال السيد ان هذا الشعب قد اقترب الى بفمه ، وأكرمنى بشفتيه ، وأما قلبه فأبعده عنى بعيدا! وصارت مخافتهم منى وصية الناس معلمه ٠ لذلك ويل للذين يتعمقون ليكتموا رأيهم عن الرب ، فتصير أعمالهم فى الظلمة ويقولون من يبصرنا ؟ ومن يعرفنا ؟ يا لتحريفكم ! هل يحسب الجابل كالطين حتى يقول المصنوع عن صانعه لم يصنعنى ٠ أو يقول الجبلة عن جابلها لم يفهم ؟ » ، (سفر أشعياء ٢٩ : ١٣ ـ ١٦) ٠

فيقرر سيدنا عيسى عليه السلام قرار الرب ٠ بانتزاع النبوة والكتاب من ذرية اسحاق ، الى ذرية من ؟

قال لهم يسوع : « أما قرأتم قط فى الكتب ٠ الحجر الذى رفضه البناءون ، هو قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا ، وهو عجيب فىأعيننا ٠ لذلك أقول لكم : ان ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل أثماره » ، (انجيل متى ٢١ : ٤٢و٤٣) ٠

ولتفسير هذا القرار الخطير نستند الى قوله تعالى فى القرآن الكريم لعلنا نهتدى الى شخصية الرسول الكريم الذى يتحدث عنه المسيح عيسى بن مريم عليه السلام :

١ ـ الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية :

قال الرسول الكريم : « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانا ، فأحسنه وأجمله ، الا موضع لبنة فى زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبهم البناء فيقولون : ألا وضعت هاهنا لبنة فيتم البناء ؟ قال صلى الله عليه وسلم : فأنا اللبنة ، جئت

فختمت الأنبياء »[1] • صدق رسول الله الذى يؤيده القدير بقوله :
« انه لقول رسول كريم • وما هو بقول شاعر ، قليلا ما تؤمنون• ولا بقول كاهن ، قليلا ماتذكرون تنزيل من رب العالمين »[2] •

ولقد سبق أن وضحت من هو النبى الذى رفضه بنو قومه : انه جد الرسول عليه السلام ، أنه سيدنا اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وذلك باقرار أهل الكتاب وتفاخرهم عليه بقولهم : « اذن لسنا أولاد جارية ، بل أولاد حرة » •

٢ ـ ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره :

قال الله تعالى : « **كنتم خير أمه أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم »[3] •**

ولعلك أيها القارىء العزيز استطعت أن تدرك المقصود بالحجر : انه مجاز عن الرسول الكريم ، كما أن فاران مجاز عن الأرض التى سكنها جد الرسول سيدنا اسماعيل عليه السلام •

ومن هنا نستطيع أن ندرك النبوة العظمى التى تنبأ بها ملك وثنى ، وعبر عنها نبى من بنى اسرائيل هو سيدنا دانيال نبى الله فى العبارة : « كنت تنظر الى أن قطع حجر بغير يدين ، فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف ، فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس ، والفضة والذهب معا ، وصارت كعصافة البيدر

---

(١) روى هذا الحديث بألفاظ مختلفة عن أبى هريرة وأبى سعيد وجابر رضى الله عنهم (راجع باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء من كتاب الفضائل جـ ٤ : صحيح مسلم ، طبع الحلبى) •

(٢) ٤٠ ـ ٤٣ : الحاقة • (٣) ١١٠ : آل عمران •

فى الصيف ، فحملتها الريح ، فلم يوجد لها مكان ... أما الحجر الذى ضرب التمثال ـ فصار جبلا كبيرا ، وملأ الأرض كلها » .

هذه هى الحقيقة التاريخية التى وردت فى الأنبياء فى سفر دانيال تؤيدها الحقيقة التاريخية ابان بزوغ الاسلام وتقويضه لامبراطورية الرومان بالغرب وفارس فى الشرق . وامتداد الاسلام شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا .

وفى هذه الحقبة من الزمن يتنبأ نبى آخر عن الجزيرة العربية وعن البلد الأمين وعن مناسك الحج . فيتحدث عن بزوغ نور الاسلام بقوله : « هاهى الظلمة تغطى الأرض ، والظلام الدامس الأمم ، أما عليك فيشرق الرب ، ومجده عليك يرى ، فتسير الأمم فى نورك والملوك فى ضياء اشراقك » .

وهذه هى حقيقة تاريخية يثبتها التاريخ : فبينما كان العالم الشرقى والعالم الغربى بفلسفاتهما العقيمة يعيش فى دياجير ظلام الفكر ، وفساد العبادة ـ بزغ من مكة المكرمة ـ فى شخص سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ نور وضاء ، أضاء على العالم فهداه الى الاسلام .

ويتحدث عن اقبال الأمم لمكة ولبيت الله الحرام ، يسوقون الهدى للذبح على جبل عرفات بقوله : « تغطيك كثرة الجمال بكران مديان ... تبشر بتسابيح الرب . كل غنم قيدار تجتمع اليك . كباش نبايوت تخدمك تصعد مقبولة على مذبحى ، وأزين بيت جمالى » .

ويرتبط هذا النبى باعجاز أبد الدهر بما يخبرنا به المسيح فى قوله عنه (**ويخبركم بأمور آتية**) ، هذا الاعجاز هو القرآن الكريم معجزة الرسول الباقية ما بقى الزمان .

فالقرآن الكريم يسبق العلم الحديث فى كل مناحيه : من طب ، وفلك وجغرافيا ، وجيولوجيا ، وقانون ، واجتماع ، وتاريخ ...

ففى أيامنا هذه استطاع العلم أن يرى ما سبق اليه القرآن بالبيان والتعريف : **أن يرى الخيط الأبيض من الخيط الأسود** ، اذ قال تيتوف أثناء رحلته فى الفضاء حول الكرة الأرضية : انه ذهل لهذا المنظر عند بزوغ الخيوط الأولى من النور لتنقشع على أثرها الخيوط الأخيرة للظلام وفى رحلته استطاع أن يرى كروية الأرض ، وقد سبق القرآن الكريم فوضح الأمر بقوله : **والأرض بعد ذلك دحاها »** [(١)] .

ويتحدث جاجارين عن رحلته فى الفضاء الى القمر ومشاهداته للأفلاك ، بما قد سبق القرآن الكريم ، فأخبر به فى قوله تعالى : « **خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم** » [(٢)] ، وقوله تعالى : « **والشمس وضحاها • والقمر اذا تلاها : والنهار اذا جلاها : والليل اذا يغشاها • والسماء وما بناها والأرض وما طحاها • ونفس وما سواها** » [(٣)] « **ان فى خلق السموات والأرض •••••• والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون** » [(٤)] •

وأعتقد يقينا أنى لو كنت انسانا (وجوديا من أنصار الفيلسوف سارتر) لا يؤمن برسالة من الرسالات السماوية ، وجاءنى نفر من الناس وحدثنى بما سبق به القرآن العلم الحديث — فى كل مناحيه — لآمنت برب العزة والجبروت ، خالق السموات والأرض ، ولن أشرك به أحدا • فكيف بى وقد أضاء الله قلبى بنور من الايمان بتلكم الرسالات السماوية • فما أن أشرقت شمس الاسلام حتى تمت الاستنارة المطلقة والايمان الكامل : « **اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » [(٥)]

---

(١) ٣٠ : النازعات • (٢) ١٠ : لقمان •
(٣) أوائل سورة الشمس • (٤) ١٦٤ : البقرة
(٥) ٣ : المائدة •

الباب الثالث

ما الذى اختلف عليه أهل الكتاب

« ولن ترضى عنك اليهود
ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ·
قل ان هدى الله هو الهدى »[1]

ان العداوة القائمة بين العرب واسرائيل عداوة قديمة بقدم الزمن ، فمنابتها منذ عهد سيدنا ابراهيم عليه السلام ، وجذورها تتأصل فى قلب السيدة الأولى فى تاريخ الايمان وهى السيدة سارة ، وسهام هذه العداوة موجهة الى السيدة الوديعة المطمئنة ، التى شاء القدر أن تصير لها جارية ، وهى السيدة هاجر ·

لقد أرادت سارة ابنا لابراهيم ، وهى المرأة العاقر ، فأدخلت ابراهيم على هاجر جاريتها ، فحملت هاجر ، وولدت اسماعيل ، وظنت هاجر أنها أصبحت حرة تشارك السيدة سارة قلب ابراهيم عليه السلام · لكن سارة سرعان ما امتعضت ، وصرخت الى سيدنا ابراهيم قائلة : « ظلمى عليك ، أنا دفعت جاريتى الى حضنك · فلما رأت أنها حبلى صغرت فى عينيها · يقضى الرب بينى وبينك » ، (سفر التكوين ١٦ : ٤و٥) ·

---

(١) ١٢٠ : البقرة

ولم يجد سيدنا ابراهيم عليه السلام الا التسليم لارادة زوجته سارة ، فقال لها : « هو ذا جاريتك فى يدك • افعلى بها ما يحسن فى عينيك • فأذلتها ساراى ، فهربت من وجهها » •

سفر التكوين ١٦ : ٥ و٦

وتوارث الاسرائيليون هذه العداوة من جيل الى جيل حتى كان عهد الحواريين ، فقال بولس المدعو رسولا لشيعة النصارى : « ماذا يقول الكتاب ؟ اطرد الجارية وابنها ، لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة • اذن أيها الاخوة لسنا أولاد جارية ، بل أولاد حرة » •

غلاطية ٤ : ٢٩ ـ ٣١

وتوارث الاسرائيليون هـذه العـداوة وتأصلت فى نفوسهم • وأثمرت غرورا وعنجهية ، فظنوا فى أنفسهم أنهم (شعب الله المختار) وأن بقية الخلق هم الأمم الذين لا يرقون الى مرتبة الانسانية ، فهم عبيد الأرض ، وهم الأرقاء ، هم حثالة الخلق • هذا ظنهم ، وهذا افتراؤهم ، وبئس ما يفترون •

وجاء النبى الكريم بالبشرى والرحمة للعالمين • فقال : قال الله تعالى : « **يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبـائل لتعارفوا • ان أكرمكم عند الله أتقـاكم** » [1] ، فأكرم الله سبحانه وتعالى الانسـان بالعزة والكرامة : « **ان أكرمكم عنـد الله أتقاكم** » •

أكرم الله المجتمع ببناء سـليم : « **انا خلقنـاكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** » ، وفى هذا البناء السليم الخير والرفاهية والسلام •

---

(١) ١٣ : الحجرات •

ولعلك أيها القارئ استطعت أن تدرك أن الاسلام يبنى الانسان بكرامة ، ويبنى الانسانية بعزة بالتعاون الاشتراكى ، ويؤلف بين قلوبكم فى خشية الله واجلاله : « **ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » .

وهنا نتسائل : **ما الذى يختلف عليه أهل الكتاب ؟**

والرد فى هذا يكمن فى البحث العلمى الذى قام به العلامة البريطانى البروفسور توينبى ، من بحث مستند الى التاريخ الزمنى وتاريخ التوراة والانجيل معبرا عن رأيه بقوله : « ان النفسية التى تدمغ اليهودى أساسها خطيئتهم القاتلة التى ارتكبوها فى حق أنفسهم ، اذ كانوا فى سالف العصور الشعب الوحيد الذى بلغ مكانة روحانية سامية بفضل اعتناقه وحدانية الله ، وبلغوا مكانة روحية سامية دون بقية الشعوب ، لكن اليهود بعد أن زودهم الله بهذه الحقيقة المطلقة الخالدة ، وأودع فيهم فراسة روحانية لا تبارى ، تركوا العنان لأنانيتهم ، فاستهواهم سراب دنيوى خادع ، اذ توهموا أن السمو الروحى الذى بلغوه انما خلعه الله عليهم وحدهم بموجب عقد أبدى يجعل منهم **شعب الله المختار** .

وبذلك ترد وا فى خطأ مميت ، ولعل هذه المفاهيم الخاطئة كانت سببا فى غضبة الله عليهم حتى قال ذو العزة والجلال : « **انى جاعلك للناس اماما . قال ومن ذريتى ، قال لا ينال عهدى الظالمين** »[1].

وهنا أيضا نتساءل عن الدافع الذى قاد اليهود الى اعتبار أنفسهم شعب الله المختار ، والى سيطرة تلك النفسية المميزة عليهم ؟

ويكمن الرد على هذا التساؤل فى الأحداث التى جلبها اليهود على أنفسهم . فمنذ القديم قال لهم خليفة موسى عليه السلام يشوع

---

(١) البقرة : ١٢٤ .

ابن نون ـ وهو يدخل بهم أرض فلسطين : « بهذا تعلمون أن الله الحى فى وسطكم ، وطردا يطرد أمامكم الكنعانيين ، والحيثيين ، والحويين ، والفرزيين ، والجرجاشيين ، والأموريين ، واليبوسيين » (سفر يشوع ٣ : ١٠) ٠

قال لهم يشوع : « ان الله سيحارب عنكم ، وينتزع أرضا من أهلها ويورثها لكم » ٠

وسكن بنو اسرائيل أرض فلسطين منذ خروجهم من مصر سنة ١٣٧٥ ق٠م ٠ وما زالت تلك الشعوب فى وسطهم ٠ ومنذ تلك اللحظات الأولى بدأت فيهم رغبة قاتلة لمناهضة الشعوب حولهم ، ومناهضة الامبراطوريات التى تكونت فى الشرق الأوسط ، وذلك بالعدوان على جيرانهم من الأمم الأخرى ٠

ولهذا عمد البابليون الى اقتلاعهم من فلسطين ، ونقلهم الى بابل فى عهد نبوخذنصر ، وفى سنة ٧٢٢ ق٠م غزا سرجون الثانى ملك أشور فلسطين ، ودمر هيكل سليمان ، وسبا الاسرائيليين الى بابل ونينوى ، وداس مقدساتهم ٠ ولا غرابة بعد ذلك فى ضياع أصول التوراة والأنبياء والمزامير ٠

فلما انقضى أجل الامبراطورية الأشورية بقيام امبراطورية فارسية أسسها قورش ـ سمح لهم الفاتح الجديد بالعودة الى فلسطين ، ولم يطل بهم المقام اذ استولت روما على فلسطين فى عهد بومباى العاهل الرومانى سنة ٥٣ ق٠م فخضعوا للامبراطورية الرومانية فى بادىء الأمر ، لكن سرعان ما تألبوا ، وعادوا جيرانهم ، وتعدوا عليهم بالعدوان الأثيم ، مما اضطر جيرانهم الى سحقهم ، وتشتيتهم فى بقاع الأرض ٠

وهنا يتجلى الخطأ الذى تردوا فيه ، لقد ظنوا أنهم امتلكوا

الأرض بقوتهم واقتدارهم ، ونسوا الله الذى أراد أن يورثها لهم علما عاندوا وتمردوا سلمهم للهزيمة والسحق ، وأنذرهم نبيهم أرمياء بهذا القول : « ويعبر أمم كثيرة فى هـذه المدينة ويقـول الواحد لصاحبه : لماذا فعل الرب مثل هذا لهذه المدينة العظيمة ؟ فيقولون : من أجل أنهم تركوا عهـد الرب الههم ، وسجدوا لآلهة أخرى وعبدوها » (أرميا ٢٢ : ٨و٩) .

لقد أنذرهم ذلك النبى سنة ٧٢٢ ق.م بهذا المصير ، ولم يرع اسرائيل الحق ولا الأمانة ، فكان قول الله عنهم : « **يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين . واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون** »[1] .

ولما تبين لليهود عقم العنف فى تحقيق غاياتهم فى السيطرة ركنوا الى الخيال يستلهمونه حل مشكلة الحفاظ على كيانهم المهدد بالزوال ، فكان أن بث الأحبار فى نفوس اليهود أنهم شعب الله المختار ، وأن العالم يتألف من أشتات الناس مقدرا لهم الخضوع لسيطرتهم فى نهاية المطاف .

وأخذوا يتشبثون بأهداب الآمال العريضة فى مولد ملك من نسل داود ، يخلصهم من نير الرومان ، ويتسلط على الأرض ، ويمتلكون معه ، ويقيم لهم امبراطورية كونية قاعدتها أورشليم « بيت المقدس » ويجعل منهم العنصر الحاكم ، وأطلقوا على المخلص المرتقب اسم المسيح ، والمسيح لقب ظهر فى التوراة يوم مسح شاوول بن قيس ملكا على اسرائيل ، ففى يوم تتويجه صبوا على

---

(١) ١٢٢و١٢٣ : البقرة ، واقرأ الآيات ٤٠ ـ ٤٨ منها .

رأسه دهنا ، ومسحوه به ، وبهذا سمى مسيح الله ، أى الذى مسحه الله بدهن الابتهاج ، كعلامة الرضا والتأييد ، وأطلقوا على المسيح بن مريم المخلص ، أى يســوع ، وهى كلمة يونانيــة تفيــد معنى : المخلص ، والكلمة يســوع مع تحوير بسيط ننطقها نحــن المسلمين عيسى ٠

ويركن أهل الكتاب الى نبــوة ، والى تذكير بهذه النبــوة ٠ أما النبوة فقــد وردت فى سفر زكريا : (ابتهجى جــدا يا أبنــة صهيون ، اهتفى يا بنت أورشليم ، هو ذا ملكك يأتى اليــك ، هو عادل ومنصور ووديع وراكب على حمار ، وعلى جحش ابن أتان) (زكريا ٩ : ٩) وتذكير بهذه النبوة « قولوا لابنة صهيون هو ذا ملكك يأتيك وديعا راكبا على أتان » (انجيل متى ٢١ : ٥) ٠

ويأتى المسيح عليه السلام فيستنكر هذا كله ٠

١ ــ أما عن الامبراطورية الاسرائيلية : فانه يقوض هذا الزعم بهذه الحقيقة فى قوله : « يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء والمرسلين ٠٠ هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا » ٠ وقد تم التخريب والتدمير الشامل فى عهد الدولة الفارسية الساسانية سنة ٦١٤ م٠

٢ ــ وأما عن شخصيته ــ فانه يقول : « مملكتى ليست من هذا العالم ، لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يجاهدون لكى لا أسلم الى اليهود » (انجيل يوحنا ١٨ : ٣٦) ٠

وعندما أرادوا أن يأخذوه بمكر قدموا له دينارا وسألوه : أنعطى جزية لقيصر ؟ فأجابهم : لمن هذه الصورة ، ولمن الكتابة ؟ قالوا : لقيصر ٠ قال : ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله ٠ وبهذا أفحمهم جوابا وحسم الأمر ٠ ولقــد أفاض Will Durant فى هذا الشأن تحت

عنوان المسيح والانجيل فى كتابه :
The Story of Civilization vol. III pp. 564-570.

ما حديث الاناجيل عن شخصية المسيح ؟

ان المسيح عيسى بن مريم لم يكن من النساك الزاهدين كما كان الأنبياء والاسينيون ويوحنا المعمدان [١] .

بل كان كما يروى عنه متى الانجيلى : « أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة » [٢] . وقال عنه يوحنا الانجيلى : « انه قدم كثيرا من الخمر فى حفل للزواج » [٣] . وقال عنه لوقا الانجيلى : «أنه قبل عاهرا تائبة ضمن أتباعه » [٤] .

متى بدأ ظهوره ؟

بدأ ظهوره وعمله علىأثر سجن يوحنا المعمدان [١] « وبعدما اسلم يوحنا جاء يسوع الى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله » [٥] وأخذ يعمل عمل يوحنا المعمدان ويخطب فى الناس مبشرا بملكوت الله حتى ظن أتباع يوحنا المعمدان [١] أن يوحنا المعمدان قد قام من الأموات [٦] .

المسيح واختياره لتلاميذه :

لقد اختار المسيح تلاميذه من طراز يصعب على المفكر أن يقول

---

(١) يحيى بن زكريا (٢) متى ١١ : ١٩
(٣) يوحنا ٢ : ١ ــ ١٠
(٤) لوقا ٧ : ٣٧ ، ٣٨ ، يوحنا ١١ : ٢ ، يوحنا ١٢ : ٣
(٥) مر ١ : ١٤ (٦) لو ٩ : ٧ ــ ٩

أنهم من النوع القيادى الذى يستطيع بشخصيته أن يبدل اتجاهات العالم وتفكيره [1] ، فالأناجيل تظهر ما بين أخلاقهم من اختلاف واقعى ، وتكشف عيوبهم كشفا صريحا ، فهذا بطرس ـ الذى قال لسيده المسيح : « وان شك فيك الجميع فأنا لا أشك أبدا » [2] ـ ينكر صحبته لسيده المسيح عند محاكمة المسيح [3] في بيت قيافا رئيس الكهنة ، «فأنكر قدام الجميع قائلا : لست أعرف الرجل» [4] وهذا يهوذا يخون سيده ، فيتنبأ عنه المسيح وعن خيانته بقوله : « ان واحدا منكم يسلمنى ، فأجاب يهوذا مسلمه وقال : هل أنا هو يا سيدى ؟ قال له أنت قلت » [5] ، وبقبلة خان يهوذا سيده « فقال له يسوع يا يهوذا أبقبلة تسلم ابن الانسان » [6] وهذان هما يوحنا ويعقوب ابنا زبدى لا يخفيان مطامعهما ، فيقولان للمسيح : «أعطنا أن نجلس ، واحد عن يمينك ، والآخر عن يسارك ـ فى مجدك» [7] والتلاميذ جميعا كانت مطامعهم تتفق مع مطامع هذين التلميذين ، حتى أن المسيح أراد أن يهدىء من هذه المطامع ، فوعدهم بأنهم سيجلسون على اثنى عشر كرسيا ، يدينون أسباط اسرائيل الاثنى عشر [8] .

المشكلة التى واجهها المسيح في انجيله :

لقد أدرك المسيح أنه لن يحقق القومية اليهودية بالصورة التى أرادها اليهود ، ولهذا قال « مملكتى ليست من هذا العالم » [9] .

---

(١) متى ٤ : ١٨ ـ ٢٠ (٢) متى ٢٦ : ٣٢
(٣) شبيه المسيح (٤) متى ٢٦ : ٧٠ ، ٧٢
(٥) متى ٢٦ : ٢٠ ، ٢٥ (٦) لوقا ٢٢ : ٤٨
(٧) مرقس ١٠ : ٣٧ (٨) متى ١٩ : ٢٨
(٩) يو ١٨ : ٣٦

ولعله كان يقصد بملكوت الله حالة روحية سامية يصل اليهـا الابرار والاطهار كما قال « ملكوت الله فى داخلكم »[1].

ولقد ظل المسيح زمنا طويلا لا يرى فى نفســه الا أنه أحـد اليهود ، يؤمن بأفكار الانبياء ، ويواصل عملهم ويجرى على سنتهم ، فلا يخطب الا فى اليهود ، بدليل أنه التقى بالمرأة السامرية عند البئر ، فقال لها : «أنتم تسجدون لما لستم تعلمون، أما نحن فنسجد لما نعلم »[2] . ولما طلبت منه امرأة كنعانية أن يشفى ابنتها أبى فى أول الأمر وقال لها : « لم أرســل الا الى خـراف بيت اسرائيــل الضالة »[3] .

لقد كان متمسكا بشريعة موسى ، حتى انه لما شفى الابرص قال له : « اذهب أر نفسك للكاهن ، وقدم القربان الذى أمر به موسى شهادة لهم »[4] .

وانه كان يلزم اليهود بشريعة موسى بقوله « على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون ، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فأحفظوه وافعلوه ، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لانهم يقولون ولايفعلون» [5]

ولما عرض عليه أن يغـير الشريعـة أبى ، وتمسك بالشريعـة الموسوية قائلا : « لا تظنوا أنى جئت لانقض الناموس أو الانبياء ، ما جئت لانقض ، بل لاكمل »[6] .

---

(١) لوقا ١٧ : ٢١ (٢) يو ٤ : ٢٢ (٣) متى ١٥ : ٢٤
(٤) متى ٨ : ٤ (٥) متى ٢٣ : ٢ ، ٣ (٦) متى ٥ : ١٧

هل كانت تعاليم المسيح جديدة ؟

الواقع أنه لا جديد فيما جاء به المسيح من تعاليم ، فان بشارته بمجيء ملكوت الله قد وقع نظيرها قبل مجيئه بقرن من الزمان ، وأن الناموس قد حرص على بث الالفة بين الافراد بمحبة الفرد للآخر في مثل قوله : « لا تبغض أخاك في قلبك ·· لا تنتقم ، ولا تحقد على أبناء شعبك ، بل تحب قريبك كنفسك »[1] ، « واذا نزل عندك غريب في أرضكم فلا تظلموه · كالوطنى منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم ، وتحبه كنفسك ، لانكم كنتم غرباء في أرض مصر »[2]

لقد نادى المسيح بشريعة موسى ، وحث الناس على أن يستعدوا للدخول في ملكوت الله ، بأن يحيوا حياة العدالة والرحمة والحق مستندا الى ما جاء بسفر هوشع : « واخطبك لنفسى الى الأبد ، وأخطبك لنفسى بالعدل والحق والاحسان والمراحم ، أخطبك لنفسى بالامانة فتعرفين الرب »[3] ·

كما أنه في نهجه على شريعة موسى وتفسيره لها كان يتعمق الى جذور الأحكام ، ففى مسائل العلاقات الشخصية قال : « وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق ، وأما أنا فأقول لكم : ان من طلق امرأته الا لعلة الزنى يجعلها تزنى ، ومن يتزوج مطلقة فانه يزنى »[4]

ووضح حقيقة السبت بأن ذكر الفريسيين ان السبت قد وضع لخير الانسان ، فقال لهم : « السبت[5] انما جعل لأجل الانسان ، لا الانسان لأجل السبت »[6] ·

---

(١) لاويين ١٩ : ١٧ ، ١٨ (٢) لاويين ١٩ : ٣٣ ، ٣٤

(٣) هوشع ٢ : ١٩ ، ٢٠ (٤) متى ٥ : ٣١ ، ٣٢

(٥) السبت : كلمة عبرية معناها الراحة (٦) مر ٢ : ٢٧

وعدل أركان الدين ــ كما حدد أهــدافه يعقوب فى رســالته : « الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هى هذه : افتقاد اليتــامى والأرامل فى ضيقتهم ، وحفظ الانسان نفسه بلا دنس من العالم» [1] ــ من المراسم والطقوس الى حياة الصلاح والاستقامة .

وندد بالجهر بالصلوات حذر الرياء والنفاق ، فقال : « فمتى صليت فادخل مخدعك ، وأغلق بابك ، وصل الى أبيــك الذى فى الخفاء » [2]، وندد بالتظاهر بالصدقات خشية سلب كرامة الانسانية وعزتها ، فقال : « احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكى ينظروكم ، والا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السموات » [3]

فما موقف الاحبار والكهنة من المسيح اذن ؟

لقد قاوم الاحبار والكهنة المسيح على اختلاف فرقهم ، عدا فرقة الاسينيين ، فقد هالهم أن يختلط بموظفى الامبراطورية الرومانية المبغضين ، وبالنساء ذوات السمعة السيئة : « وكان جميع العشارين والخطاة يدنون منه ليسمعوه ، فتذمر الفريسيون والكتبة قائلين هذا يقبل خطاة ويأكل معهم » [4] .

ولهذا كان كهنة الهيكل وأعضــاء السنهدرين يرقبون نشــاطه بعين الريبة ، ويرون فى هذا النشاط ما كان يراه هيرودس الملك فى نشاط يوحنا المعمدان [5] ، وظنوا أنه ستار يخفى تحته ثورة سياسية ضد الامبراطورية الرومانيــة ، وكانوا فى حرصــهم على مراكزهم الاجتماعيــة والدينية يخشــون أن يتهمهم الحــاكم الرومانى بأنهم يتحللون مما هو مفروض عليهم من تبعات ، ليحافظوا على النظــام

---

(١) يعقوب ١ : ٢٧ (٢) متى ٦ : ٦ (٣) متى ٦ : ١
(٤) يو ١٥ : ١ ، ٢ (٥) يحيى بن زكريا

الاجتماعى والسياسى ، « فراقبوه ، وأرسلوا جواسيس يتراءون أنهم أبرار لكى يمسكوه بكلمة حتى يسلموه الى حكم الوالى وسلطانه »[(١)] .

ومما زاد فى ارتيابهم فيه قوله : « أما تنظرون جميع هذه . الحق أقول لكم : انه لا يترك حجر على حجر لا ينقض »[(٢)] على أن المسيح كان يقصد بقوله هذا انبثاق الانسان الى نور الايمان الكامل وصدق الاستمساك بروح الشريعة عن يقين ، لا بطقوسها .

ما موقف علماء القرن العشرين من المسيح ؟[(٣)]

كتب هرمان ريمارس Herman Reimarus أستاذ اللغات الشرقية فى جامعة هامبردج مخطوطات عن حياة المسيح تشتمل على ١٤٠٠ صفحة حرص على ألا ينشرها فى حياته ، وتوفى فى سنة ١٧٦٨ م .

وبعد ست سنين من وفاته نشر جتهولد لسنج Gotthold Lessing أجزاء من هذا المخطوط مع معارضة أصدقائه فى هذا النشر ، وسماه « هنادات ولفنبتل » Wolfenbüttal Fragments

ويقول ريمارس Reimarus : أن يسوع المسيح لا يمكن أن يكون مؤسس المسيحية أو أن يفهم هذا الفهم ، بل يجب أن يفهم على أنه الشخصية النهائية فى جماعة المتصوفة اليهود الايسنيين القائلين بالبعث والحساب ، ومعنى هذا أن المسيح لم يفكر فى ايجاد

---

(١) لوقا ٢٠ : ٢٠ (٢) متى ٢٤ : ٢

(٣) من كتاب The Story of Civilization vol. III. لمؤلفه Will Durant pp. 553-557.

دين جديد ، بل كان يفكر فى تهيئة الناس لاستقبال دمار العالم المرتقب ، ويوم الحشر الذى يحاسب فيه الله الأرواح على ما قدمت من خير أو شر ٠

وفى عام ١٧٩٦ أشار هردر Herder الى ما بين مسيح متى ومرقس ولوقا والمسيح فى انجيل يوحنا من فوارق لا يمكن التوفيق بينها ٠

وفى الفترة ١٨٣٥-١٨٣٦ قال دافيد استروس David Strauss ان ما فى الأناجيل من خوارق الطبيعة يجب أن يعد من الاساطير الخرافية ، وأن حياة المسيح الحقيقية ينبغى أن تعاد كتابتها بعد أن تحذف منها هذه العناصر أيا كانت صورها ٠

وقد أثارت مجلدات ستروس Strauss الضخمة عاصفة قوية من التفكير الالمانى ، دامت جيلا من الزمان ٠

من هذا يتبين أن المفكرين أخذوا يتساءلون : هل وجد المسيح حقا ؟ أو أن قصة مؤسس المسيحية وثمرة أحزان البشرية وخيالها وآمالها أسطورة من الاساطير شبيهة بخرافات كرشنا وأوزريس وأتيس ، وأدنيس ، وديونيسس ومتراس ؟
Krishna, Osiris, Attis, Adonis, Dionysus and Mithras ?

وفى عام ١٨٦٣ أخرج ايرنست رينان Ernest Renan كتابه « حياة يسوع » جمع فيه نتائج النقد الالمانى ، وعرض مشكلة الأناجيل على العالم المثقف ٠

وبلغت المدرسة الفرنسية صاحبة البحوث الدينية ذروتها فى أواخر القرن التاسع عشر على يد الآب لوازى Loisy ، الذى حلل نصوص العهد الجديد تحليلا بلغ من الصرامة حدا اضطرت معه

الكنيسة الكاثوليكية الى اصدار قرار بحرمانه هو وغيره من العلماء المحدثين .

وفى انجلترا أدلى و.ب.سميث W.B. Smith و ج.م.روبرتس J.M. Robertson بحجج من هذا النوع أنكرا فيها وجود المسيح .

ويقـول ثالس Thallus وهـو كاتب وثنى عاش فى القرن الأول : ان الظلمة العجيبة التى يقال انها حدثت وقت موت المسيح كانت ظاهرة طبيعية ولم تكن أكثر من مصادفة عادية (١) .

هذا ما كان من أمر المسيح نفسه ، أما الأناجيل فليس أمرهـا بنفس النمط الذى سار عليه الباحثون الناقدون ، ذلك لأن الاربعة الاناجيل التى وصلت الينا هى البقية الباقية من عدد أكبر منهـا كثيرا كانت فى وقت ما منتشرة بين المسيحيين فى القـرنين الأول والثانى . واللفـظ الدال على الانجيـل Gospel ـ ترجمة للفظ اليونانى euangelion ، ومعناه الاخبار السارة ، وهى أن المسيح قد جاء ليبشر بأن ملكوت الله قريب المنال .

---

(١) الاهرام فى ١٧محرم ١٣٨٤ هـ ٢٩مايو ١٩٦٤ م فى الصفحة الأولى منه بعنوان : التفاصيل الـكاملة لليـوم الحزين الذى عاشته الهند أمس يوم وفاة زعيمها : « الطبيعة شاركت الهنـد أحزانهـا فاختفت الشمس وراء السحب وأظلم الجو برغم حرارته الشـديدة وسقطت الأمطار كأنها تعبر عن دموع تذرفها عليه فى حين اجتاحت العاصمة هزة أرضية خفيفة قبل تشييع الجنازة بساعة واحدة » . قارن هذا بما جاء بانجيل متى ٢٧ : ٤٥ ، ٥١ وانجيل لوقا ٢٣ : ٤٤ ، ٤٥ وما جاء فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم يوم وفاة ابنـه ابراهيم عليه السلام .

لقد اختلف اليهود فى ادراك ميراث الأرض .

واختلفت النصارى فى ادراك شخصية المسيح عيسى بن مريم .

وفى هذا الاختلاف تضاربت أقوالهم ، وأصبحوا أمـام الأمر الواقع مضطرين أن يدافعوا عن هذا التضارب ، وأصبحت الأوهام فى الدفاع عن ذلك تكبر شيئا فشيئا حتى أصبحت عملاقا يسيطر على تفكيرهم ، ويطغى عليهم ، وصارت هذه الأوهام حقائق فى نظرهم ومن هنا كان سر متاعبهم ، وسر اتعابهم لمن حولهم .

الباب الثالث

المسيحية وتطويرها

« ان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد »[1] .

يقول العزيز الحكيم : « **قل يأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم** »[2] ، ويقول أيضا: « **ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين . اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب : يا بنى ، ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون** »[3] .

قال المسيح عليه السلام : « متى جاء ابن الانسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضا على اثنى عشر كرسيا تدينون أسباط اسرائيل الاثنى عشر » (انجيل متى ١٩ : ٢٨) .

---

(١) ١٧٦ : البقرة (٢) ٦٨ : المائدة

(٣) ١٣٠ ـ ١٣٢ : البقرة

لم يفهم الكهنة ولا الحواريون كلام المسيح عليه السلام فيجوهره الذى يعنيه ، بل حرفوا الكلم عن مواضعه لدرجة أن تطلب أم ابنى زبدى منه عليه السلام بقولها : « قل أن يجلس ابناى هذان واحد عن يمينك والآخر عن يسارك فى ملكوتك » (انجيل متى ٢٠ : ٢١) فيجيبها بقوله : « مملكتى ليست من هذا العالم » .

ومنى الحواريون واليهود قاطبة بخيبة أمل حينما قال لهم سيدنا عيسى عليه السلام : « مملكتى ليست من هـذا العالم » ، حتى أن كبير كهنتهم جمع رؤساء الكهنة والفريسيين فى مجمع وقال لهم : « ماذا نصنع ؟ فان هذا الانسان يعمل آيات كثيرة . ان تركناه هكذا يؤمن به الجميع ، فيأتى الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا .. أنتم لستم تعرفون شيئا ، ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها » (انجيل متى ١١ : ٤٧-٤٩) .

فلا بدع ولا ملام - والحالة هذه بالنسبة الى عقلياتهم المتحجرة - أن يكفروا برسالة سيدنا عيسى عليه السلام وقتما وفـد يبشرهم بمملكة أخرى أخروية لا دنيوية ، مملكة روحانية وليست مادية .

حقيقة المسيح من ملكوت الله

أسلوب المسيح فى بشارته بملكوت الله :

كان المسيح يعلم الناس بالبساطة التى تتطلبها حال مستمعيه ، ويخرج هذه التعاليم بالقصص الطريفة التى تجعل دروسه تنفذ الى الأذهان ، وترسخ فى القلوب ، وبالحكم والامثال بدل الحجج العقلية .

ومن أقواله : ان ملكوت الله قد حان أجله ، وان الله سيقضى عما قريب على عهد الشر والخبائث .

وكانت هذه الأفكار مألوفة لسامعيه ، ولهذا لم يحددها تحديدا واضحا ، ومن ثم نشأت فى وقتنا هذا صعاب جمة ، سببها ما فى هذه الأفكار من غموض .

ترى ماذا كان يعنى بملكوت السموات ؟ أهى سموات خيالية خارجة عن مألوف الطبيعة ؟ أم هى حالة معنوية للتسامى بالنفس الانسانية عن مستواها الحيوانى ؟ أم هى شىء آخر ؟

ويقول ول ديورانت Will Durant فى كتابه قصة الحضارة The Story of Civilization : يخيل الى أنها لم تكن كذلك (١) لان التلاميذ والمسيحيين الاولين كانوا على بكرة أبيهم ينتظرون أن توجد مملكة ارضية ، لهذا أخذوا يرددون هذه العبارة : « ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك (٢) .

ولقد رأى المسيح فى ملكوت الله مجازا للكمال الخلقى ، وأن هذا الكمال الخلقى انما هو اعداد لهذا الملكوت ، وثمن يؤدى للحصول عليه ، « وكل من ترك بيوتا ، أو اخوة أو أخوات ، أو أبا أو أما ، أو امرأة أو أولادا ، أو حقولا من أجل اسمى ــ يأخذ مائة ضعف ، ويرث الحياة الأبدية »(٣) .

وقد حدد موعد هذا الملكوت تحديدا متضاربا ، فانه يقول لاتباعه : « فانى الحق أقول لكم لا تكملون مدن اسرائيل حتى يأتى ابن الانسان »(٤) .

---

(١) لم تكن كذلك يقصد انها لم تكن سموات خيالية خارجة عن مألوف الطبيعة .

(٢) متى ٦ : ١ (٣) متى ١٩ : ٢٩ (٤) متى ١٠ : ٢٣

ثم يعود فيؤخره قليلا بقوله : « الحق أقول لكم أن من القيام ها هنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الانسان آتيا فى ملكوته »[1] .

ثم يعود فيؤخره أكثر بقوله : « الحق أقول لكم لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله »[2] .

ثم رأى بعد أن مرت به الأيام أنه من حسن السياسة أن يحذر رسله بقوله : « أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ، ولا الملائكة الذين فى السماء »[3] .

ثم حدد علامات لهذا اليوم كقوله : « وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب . انظروا ، لا ترتاعوا ، لأنه لا بد أن تكون هذه كلها ، ولكن ليس المنتهى بعد . بل تقوم أمة على أمة ، ومملكة على مملكة ، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل فى أماكن ، ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع »[4] .

تفسيرات المسيحيين الأولين لملكوت الله :

لقد فهم المسيحيون الاولون أن ملكوت الله هو Cummunist Utopia الاشتراكية المثالية ، وحسبوا أن المسيح ثائر اجتماعى ، وأخذوا من الأسانيد التى وردت فى الاناجيل ما يؤيد رأيهم من قوله : « ما أعسر دخول ذوى الاموال الى ملكوت الله »[5] ، ومن قوله : ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟ أو ماذا يعطى

---

(١) متى ١٦ : ٢٨ (٢) مر ١٣ : ٣٠ (٣) مر ١٣ : ٣٢

(٤) متى ٢٤ : ٦ ـ ١٢ (٥) مر ١٠ : ٢٣ ، متى ١٩ : ٢٣

الانسان فداء عن نفسه ؟ »[1]، ومن قوله : « ان أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع كل املاكك ، وأعط الفقراء ، فيكون لك كنز فى السماء »[2]، ومن قوله : « لا يقدر خادم ان يخدم سيدين ، لانه اما يبغض الواحد ويحب الآخر ، أو يلازم الواحد ويحتقر الاخر ، لا تقدرون أن تخدموا الله والمال »[3] .

ولعل هذا ما جعل التلاميذ يكونون جماعة اشتراكية تعاونية : « وجميع الذين آمنوا كانوا معا ، وكان عندهم كل شيء مشتركا ، والأملاك والمقتنيات كانوا يبيعونهـا ويقسمونها بين الجميع ، كما يكون لكل واحد احتياج »[4] .

تفسيرات الأحبار والكهنة لملكوت الله :

« جمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعـا ، وقالوا : مـاذا نصنع ؟ فان هذا الانسان يعمل آيات كثيرة • ان تركناه هكذا يؤمن الجميع به ، فيأتى الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا • فقال لهم واحد منهم ـ وهو قيافا كان رئيسا للكهنة فى تلك السنة ـ : أنتم لستم تعرفون شيئا ، ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت انسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها »[5]، أما المسيح نفسه ـ « فكان يعلم كل يوم فى الهيكل ، وكان رؤساء الكهنة والكتبة مع وجوه الشعب يطلبون أن يهلكوه • ولم يجدوا ما يفعلون ، لأن الشعب كله كان متعلقا به يسمع منه »[6] .

---

(1) متى ١٦ : ٢٦ (2) متى ١٩ : ٢١
(3) لو ١٦ : ١٣ (4) أع ٢ : ٤٤ ، ٤٥
(5) يوحنا ١١ : ٤٧ ـ ٥٠ (6) لوقا ١٩ : ٤٧ ، ٤٨

ولهذا تآمر عليه الأحبار والكهنة ، ووجهوا اليه تهمة « أنه يهيج الشعب وهو يعلم فى كل اليهودية مبتدئا من الجليل الى هنا» [1]
لقد كفروا به ، وتآمروا على موته حتى أن بيلاطس الوالى الرومانى تقدم اليهم بقوله : « هو ذا ملككم .. فأجاب رؤساء الكهنة: ليس لنا ملك الا قيصر » [2] .

والحقيقة التى لا ريب فيها - ان المسيح لم يقصد انقلابا ثوريا بتحقيق ما يجيش بخاطر اليهود من القومية اليهودية ، ومع هذا جاءه الرؤساء والشعب يجربونه ليأخذوه بكلمة من فيه قائلين له : « قل لنا : ماذا تظن ؟ أيجوز أن نعطى جزية لقيصر أم لا ؟ فعلم يسوع خبثهم ، وقال لهم : لماذا تجربوننى يا مراءون ؟ أرونى معاملة الجزية . فقدموا له دينارا ، فقال لهم : لمن هذه الصورة والكتابة ؟ قالوا له : لقيصر . فقال لهم : اعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » [3] .

وكان المسيح صديقا للجميع ، فاتخذ من اليهود موظفى الامبراطورية الرومانية أصدقاء له مع كراهية بنى قومهم لهم اذ « نظر عشارا اسمه لاوى جالسا عند مكان الجباية فقال له : اتبعنى. فترك كل شىء ، وقام وتبعه ، وصنع له لاوى ضيافة كبيرة فى بيته، والذين كانوا متكئين معهم كانوا جمعا كثيرا من عشارين وآخرين » [4] .

كما يبدو أن المسيح لم يكن يفكر فى القضاء على الاغنياء أو الفقراء ، لأن الفقراء معه ، فهو كالاقدمين جميعا ، يرى أن من

---

(١) لو ٢٣ : ٥
(٢) يوحنا ١٩ : ١٤ - ١٦
(٣) متى ٢٢ : ١٧ - ٢١
(٤) لو ٥ : ٢٧ - ٢٩

الأمور المسلم بها أنه يجب على العبد أن يخدم سيده على خير وجه ، كقوله : «طوبى لذلك العبد الذى اذا جاء سيده يجده يفعل هكذا»(١)

ومع هذا كله اجتمع السنهدرين فى اليوم التالى ، وأثبت عليه جريمة التجديف ، وكان عقابها الاعدام ، ورغبة منهم فى اظهار الولاء للرومان قرر السنهدرين أن يساق المسيح (٢) أمام الحاكم الرومانى الذى جاء الى أورشليم ليرقب الجماهير المختلفة أثناء عيد الفصح .

وأمام ثورة اليهود العارمة تقدمت كلوديا زوجة الوالى الرومانى بيلاطس تحذر زوجها بقولها : « اياك وذلك البار ، لأنى قد تألمت كثيرا فى حلم من أجله »(٣) .

وكان بيلاطس البنطى حاكما قاسيا ، فلم يهتم بشأن المسيح اذ سأله سؤالا يكاد يكون من قبيل المداعبة : « أأنت ملك اليهود ؟ فقال له يسوع : أنت تقول »(٤) .

ولم يسع بيلاطس وقد تيقن من براءة المسيح عليه السلام الا أن يقول قوله المشهور : « انى برىء من دم هذا البار »(٥).

وما كان لبيلاطس أن يرفض رغبة لزوجته كلوديا ، السيدة البارة ، والمرأة فى أى ميدان تقوم بدور خطير فى حياة الشعوب ، فالى جانب هذه السيدة البارة سيدة شريرة وهى « هيروديا » التى استهوت هيرودس الملك بخلاعتها فى رقصها أمامه ، وأخضع الملك

---

(١) متى ٢٤ : ٤٦ (٢) شبيه المسيح (٣) متى ٢٧ : ١٩
(٤) متى ٢٧ : ١١ (٥) متى ٢٧ : ٣٤

لهيروديا ذاته وانتهزت تلك ، نشوة الملك ، فطلبت رأس يحيى بن زكريا عليه السلام فى طبق ، وكان لها ما أرادت ، وقتل النبى .

وفيهن يقول العزيز الحكيم : « **ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين . وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين . ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين** » (١) .

ويقرر Will Durant فى كتابه The Story of Civilization انه لا يسع الانسان أن يشك فى هذه التفاصيل التى تناقلها الناس مشافهة فى أغلب الأحيان ، ثم دونوها بعد وقوعها بزمن طويل ، فاذا أخذنا بهذا النص وجب علينا أن نجزم أن يسوع المسيح كان قد قرر أن يموت ، وأن نظرية بولس الرسول عن التكفير « لانه ما كان الناموس عاجزا عنه فى ما كان ضعيفا بالجسد فالله اذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية فى الجسد لكى يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح » (٢)

وينقل يوحنا فى محاكمة المسيح (٣) عليه السلام « أن يسوع خاطب بيلاطس البنطى بقوله : « أنت تقول أنى ملك ، لهذا قد ولدت أنا ، ولهذا قد أتيت الى العالم ، لأشهد للحق ، كل من هو من الحق يسمع صوتى » (٤) ، فسأله بيلاطس تعقيبا على جوابه : « ما هو الحق ؟ » (٥) . ولعل الباعث على هذا السؤال نزعة الانجيل

---

(١) ١٠ ـ ١٢ : التحريم — (٢) رومية ٨ : ٢ ـ ٤

(٣) شبيه المسيح وليس المسيح نفسه

(٤) يوحنا ١٨ : ٣٧ — (٥) يوحنا ١٨ : ٣٨

الرابع الميتافيزيقية ، ومهما يكن من شيء فلم يكن أمام القانون بعد اعتراف المسيح الا أن يدينه بتهمة « ثائر ضد نظام الحكم » ، وبناء عليه أصدر بيلاطس حكمه بالاعدام وهو كاره له ، وكان الصلب من طرق الاعدام الرومانية • ووضع الجنود تاجا من الشوك على رأس المسيح [1] استهزاء به ، كما نقشوا على صليبه باللغات الآرامية واليونانية واللاتينية « عيسى الناصرى هو ملك اليهود »
Nazarathaens Rex Ioudaeorum

لقد خاب الحواريون فى زعمهم فى المسيح حتى انبرى لهم بولس المدعو رسولا ، ورأى فى هذه من بلبلة الأفكار أن يجمع شتات الفكر فى عقيدة يكرز بها ويبشر ، فكان أن اعتبر شخصية عيسى عليه السلام ملكا مخلصا ، ولعله استقى هذا الاعتبار من الديانة السائدة فى تلكم الأيام ، وهذه الفكرة قديمة قدم التاريخ •

نظرية بولس فى التكفير

لقد أنشأ بولس لاهوتا لا نجد له الا أسانيد غامضة أشد الغموض فى أقوال المسيح • وكانت العوامل التى أوحت اليه بالأسس التى قام عليها ذلك اللاهوت هى انقباض نفسه ، وندمه على اضطهاده للمسيحيين الأولين ، والصورة التى استحال اليها المسيح [1] فى خياله عند المحاكمة وعند الصلب •

ولعله قد تأثر بالفلسفة الافلاطونية والرواقية فى نبذهما للمادة والجسم واعتبارهما شرا وخبثا •

---

(١) شبيه المسيح وليس المسيح نفسه •

ولعله تذكر السنة اليهودية مستقاة من شريعة موسى فى التضحية الفدائية وما ينهجه فى هذا المقام من أصحاب الديانات الوثنية للتكفير عن خطايا البشر .

أما هذه الأسس فأهمها « أن كل ابن انثى يرث خطيئة آدم ، وأن لا شىء ينجيه من العذاب الأبدى الا موت ابن الله ليكفر بموته عن خطيئته » . « لانه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات الذى ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدم ذبائح أولا عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب ، لأنه فعل هذا مرة واحدة اذ قدم نفسه . فان الناموس يقيم أناسا بهم ضعف رؤساء كهنة . وأما كلمة القسم التى بعد الناموس فتقيم ابنا مكملا الى الأبد »(١)

لقد كان اليهود والأقدمون يشتركون مع الكنعانيين والمؤابيين والفينيقيين والقرطاجنيين وغيرهم من الشعوب فى عادة التضحية بطفل ، بل بطفل محبوب لاسترضاء السماء الغضبى .

ثم أصبح فى الامكان على توالى الأيام أن يستبدل بالطفل مجرم محكوم عليه بالاعدام .

وكان البابليون يلبسون هذه الضحية أثوابا ملكية ، لكى يمثل ابن الملك ، ثم يجلد ويعدم شنقا .

ومثل هذه الأعمال كانت تحدث فى رودس Rhodes فى عيد كرونس Cronus ، وأكبر الظن أن التضحية بحمل أو جدى فى عيد الفصح ليست الا تخفيفا لهذه التضحية البشرية اقتضاه تقدم

---

(١) العبرانيون ٧ : ٢٦ ـ ٢٨

المدنية ، وفى ذلك يقول فرازر Frazer : « وفى يوم الكفارة كان كاهن اليهود الأعظم يضع كلتا يديه على جدى حى ، ويعترف فوق رأسه بجميع ما ارتكبه بنو اسرائيل من مظالم ، حتى اذا ما حمل الحيوان خطايا الشعب على هذا النحو أطلقه فى البرية »(١) .

وهذه الفكرة كانت أكثر قبولا لدى الوثنيين منها لدى اليهود . ولقد كانت مصر وآسيا الصغرى وبلاد اليونان تؤمن بالآلهة من زمن بعيد . تؤمن بأوزوريس وأتيس وديونشيس Osiris, Attis, Dionysus وديونشيس هذه ماتت لتفتدى بموتها بنى البشر ، وكانت ألقاب سوتر المنقذ (Soter Savior) واليوتريس المنجى Eleatherios Deliverer ــ تطلق على هذه الآلهة ، وكان لفظ كريوس الرب Kyrios Lord الذى أطلقه بولس على المسيح هو اللفظ الذى تطلقه الطقوس اليونانية السورية على ديونشيس Dionysus (٢)

ولم يكن فى وسع غير اليهود من أهل انطاكية وسواها من المدن اليونانية الذين لم يعرفوا عيسى بجسمه ــ أن يؤمنوا به الا كما آمنوا بآلهتهم المنقذين ، ولهذا ناداهم بولس بقوله : « هو ذا سر أقوله لكم » (٣) ثم يستطرد فيقول : « الذين أراهم أيضا نفسه حيا ببراهين كثيرة بعد ما تألم وهو يظهر لهم أربعين يوما ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله » (٤) .

لقد كانت فكرة « انتقال القديس » بجسمه حيا الى السماء من الأفكار الشائعة المألوفة بين اليهود ، فقد رووها عن موسى وأخنوخ

---

(١) Frazer Sir J. ; The Scape Goat 210, 413.

(٢) Guignebert, Christianity p. 88.

(٣) ١ كو ١٥ : ٥١ (٤) أ ع ١ : ٣

وايليا • وهكذا اختفى بنفس الطريقة الخفية التى ظهر بها «وأخرجهم خارجا الى بيت عنيا • ورفع يديه وباركهم ، وفيما يباركهم انفـرد عنهم وأصعد[1] الى السماء » [2] •

التعليـــق

فى سفر التثنية تأكيد أن الأبناء لا يقتلون عن الآباء ـ «لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء ، كل انسان بخطيته يقتل » [3] •

وجاء أيضا فى سفر التثنية أن المعلق عـلى خشـبة ملعون من الله ، « واذا كان على انسان خطية حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة فلا تبت جثته على الخشبة ، بل تدفنـه فى ذلك اليـوم ، لأن المعلق ملعون من الله ، فلا تنجس أرضك التى يعطيك الرب الهك » •

ويقول الله سبحانه وتعـالى : « **وقولهم انا قتلنـا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صـلبوه ولكن شـبه لهـم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظـن وما قتلوه يقينا بل رفعـه الله اليـه وكان الله عزيزا حكيما** »[4] •

ولقد كشف القناع عن هذه الحقائق السير آرثر فندلاى فى كتابه (صخرة الحق)[5] فى صحيفة ٤٥ ، فذكر ستة عشرة الهـا ملكا مخلصا ، عرفوا قبل مجىء المسيح • وهؤلاء أيضا فى تواضعهم وحبهم

---

(١) he was parted from them الفعل مبنى للمجهول •

(٢) لو ٢٤ : ٥٠ ، ٥١ •   (٣) تثنية ٢٤ : ١٦ •

(٤) سورة النساء ١٥٧ ، ١٥٨

(٥) ترجمة الدكتور ع•ع• راضى •

لبنى قومهم ماتوا لأجل خطايا العالم ، وسمى كل واحد من هؤلاء الها مخلصا ، وأعطى لقب المسيح ، وهذه هى أسماؤهم :

١ ـ أوزوريس	مصر	١٧٠٠ق٠م٠
٢ ـ بعل	بابل	١٢٠٠ق٠م٠
٣ ـ أتيس	فرجيا	١١٧٠ق٠م٠
٤ ـ ثاموس	سوريا	١١٦٠ق٠م٠
٥ ـ ديوفسيوس	اليونان	١١٠٠ق٠م٠
٦ ـ كرشنا	الهند	١٠٠٠ق٠م٠
٧ ـ هيوس	أوربا	٨٣٤ ق٠م٠
٨ ـ أندرا	التبت	٧٢٥ ق٠م٠
٩ ـ بالى	آسيا	٧٢٥ ق٠م٠
١٠ ـ أياو	نيبول	٦٢٢ ق٠م٠
١١ ـ الستيس	فيريا	٦٠٠ ق٠م٠
١٢ ـ كويكس لكوت	المكسيك	٥٨٧ ق٠م٠
١٣ ـ وتيبا	ترفانسكور	٥٥٢ ق٠م٠
١٤ ـ برومثيوس	اليونان	٥٤٧ ق٠م٠
١٥ ـ كورينوس	روما	٥٠٦ ق٠م٠
١٦ ـ مذرا	الفرس	٤٠٠ ق٠م٠

ويقول السير آرثر فندلاى فى كتابه (الكون المنشور) : *
(ان أول اله مخلص قرأنا عنه هو أوزوريس الذى ظهر فى مصر فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، وكان أميرا مصلحا ، فظن أنه اله ، لأن الآلهة ـ كما يعتقدون ـ تلبس لباس ذوى الشرف الرفيع ٠ ولما ظهر شبحه بعد الممات ظنوا أن الآلهة سمحت له بالحياة ، وأنها لم تعد غاضبة على الشعب الذى كان يرزح فى خطاياه وآثامه ، وأنها

---

* ترجمة الدكتور ع٠ع٠راضى

رفعت عنه غضبها ولعنتها التى كتبت عليه بسبب آثامه وخطاياه .

وبهذا كان ظهور الفداء بعد الموت معناه أنه قهر الموت ، وفتح أبواب السماء للمؤمنين . وبذا عمل أوزوريس على « أن يتواضع ويصير مطيعا حتى الموت » .

ولا عجب أن بولس مؤسس المسيحية يتحدث عن المسيح عليه السلام بقوله : « انه تواضع حتى الموت ، موت الصليب » . ومن هذه الزاوية بدأ بولس يكرز برسالته بقوله : « لأنى لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم الا المسيح واياه مصلوبا » ، (١ كو ٢ : ٢) وفى هذا تطابق بين أوزوريس الذى أصبح مخلصا وفاديا ووسيطا للفراعنة ، ومنهم يتقبل كل الحب والتقدير فى عبادتهم وسجودهم له وبين المسيح كزعمهم المخلص والفادى والوسيط .

والحقيقة التى لا ريب فيها هى :

ظهر المسيح عليه السلام فى عهد الامبراطور الرومانى أوغسطس سنة ١٤ م . عقب فراغ طويل المدى من الجدب الدينى لبنى اسرائيل ، وذلك تأديبا لهم اذ تركهم الله سبحانه وتعالى بلا راع يرعاهم ويهديهم سواء السبيل ، فقد قال الله عنهم فى محكم آياته : **« واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ، ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ، ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان . وان يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم ...»** [1] وقوله أيضا : **« أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون »** [2] ، وقال عنهم ايليا نبى العهد

---

(١) ٨٤ ، ٨٥ : البقرة (٢) ٨٧ : البقرة

القديم : « قتلوا أنبياءك ، وهدموا مذابحك ··· » ، وقال عنهم المسيح : «يا أورشليم ، يا أورشليم ، يا قاتلة الأنبياء والمرسلين» ·

وقد حقت عليهم غضبة الله حيث قال تعالى : « **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية** »[1] ، فأصبحوا فترة من الزمن بلا نبى ولا رسول ، هذه الفترة تعبر عنها الكنيسة « فترة الصمت المطلق » ·

وبالاضافة الى هذا الجدب الدينى بالنسبة لاسرائيل كان العالم الرومانى يشعر بنوع من الفراغ أو الجدب الدينى كذلك · فالرومان أنفسهم بدأوا ـ ولا سيما المتعلمين ـ يناقشون الوثنية ، ويناقشون تقديس الأباطرة والأديان المحلية سواء أكانت يونانية أو لاتينية ·

وقد اتجهوا الى الآراء التى نادى بها الرواقيون · وحتى هذه الفلسفات أخذت تتضاءل أمام بحثهم عن حقيقة الوجود وحقيقة الله · وفى هذا الفراغ الدينى الهائل لم يجد الرومانيون ـ وهم سادة العالم ـ وسيلة سوى الاتجاه شطر العقائد الدينية المختلفة المستوردة من الشرق ، مثل ديانة سيبيل منآسيا الصغرى ، وديانة متراس من فارس ، وديانة ايزيس من مصر ، وأخيرا المسيحية التى نبتت فى فلسطين ·

يقول السير آرثر فندلاى فى كتابه (الكون المنشور) * صحيفة ١١٩ :

(ترتبط خمسة أسماء بالتغييرات الفكرية الهامة فى العالم وهى :

---

(١) ١٣ : المائدة ·

* ترجمة الدكتور ع·ع·راضى

١ ـ كرشنا ٢ ـ بوذا ٣ ـ كونفوشيوس ٤ ـ سقراط
٥ ـ عيسى ٠

ومع ذلك لم يترك واحد من هؤلاء أية كتابة شخصية ، وانما تركوا أفكارهم لكى تسجلها الأجيال التالية ٠٠ ويجب أن يعلم كل انسان أنه لا توجد وثيقة أصلية واحدة متعلقة بحياة عيسى)٠

ثم يستطرد فيقول * : (ان الأناجيل لا تعتبر سجلات تاريخية ، فأولها « مرقس » كتب حوالى سنة ٧٠ م ، و « لوقا » كتب بين سنة ٨٠ ، وسنة ٩٥ ، و « متى » كتب حوالى ١٠٠ ، و « يوحنا » حوالى سنة ١١٠ ٠ وليس للأخير قيمة تستحق الذكر فى سرد الحوادث الأكيدة ، ويظهر أن كل محتوياته لعب فيها خيال الكاتب دورا بعيدا ٠ ثم جاءت بعد ذلك ترجمة الأناجيل من اللغة الآرامية الشرقية الى اللغة اليونانية ، فاللغة اللاتينية الغربية ٠ وهنا حدثت أخطاء كثيرة ، اذ أن الكلمة الآرامية الواحدة قد يكون لها ٦ أو ٧ معانى مختلفة) ٠

ويقول أيضا سير آرثر فندلاى فى كتابه « صخرة الحق * » ٥٩ : (ان الأناجيل الحالية لم تستقر الا فى القرن الرابع الميلادى عقب مجمع قرطاجنة عندما تقرر أى الكتابات يحتفظ بها ، وأيها يرفض ويستبعد ٠ وقبل ذلك التاريخ سنة ٣٩٧ م لم يكن هناك شىء اسمه العهد الجديد الذى نعرفه اليوم ٠ ويعلل أحد رجال الكنيسة القديس آيرونيوس اختيار أربعة أناجيل فى القرن الثانى بأن الأرض لها أربعة أركان) ٠

ويسترسل السير آرثر فندلاى فى كتابه « صخرة الحق * »

---

* ترجمة الدكتور ع٠ع٠راضى

صحيفة ٧٦ فيقول : (اكتشفت لوحة أثرية فى بابل ثبت أن الههم بعل كان يتصف بنفس الصفات التى ألحقت بعيسى ، وأن هذه اللوحة كتبت قبل العصر المسيحى بمئات السنين حوالى ١٢٠٠ سنة). ثم وازن على ضوئها بين المبادىء البابلية والمبادىء المسيحية :

المبادىء البابلية مقتبسة من اللوحة الأثرية	المبادىء المسيحية من البابين ٢٧، ٢٨ من انجيل متى
١ ــ أخذ بعل أسيرا	١ ــ أخذ عيسى أسيرا .
٢ ــ حوكم بعل في قاعة المحكمة	٢ ــ حوكم عيسى فى قاعة بيلاطس .
٣ ــ ضرب بعل	٣ ــ جلد عيسى .
٤ ــ أخذ بعل الى الجبل	٤ ــ أخذ المسيح الى الجمجمة .
٥ ــ أطلق سراح مجرم وأخذ معه مجرمان	٥ ــ أطلق سراح مجرم (باراباس) وأخذ معه مجرمان
٦ ــ بعد أخذ بعل تهدمت المدينة	٦ ــ بعد موت عيسى تحطم الهيكل وخرج الموتى ودخلوا المدينة .
٧ ــ أخذت ملابس بعل	٧ ــ اقتسم الجنود ملابسه واقترعوا على لباسه .
٨ ــ ذهب بعل الى الجبل ، واختفى من الحياة	٨ ــ خرج عيسى من القبر وذهب الى عالم الأموات .
٩ ــ ذهبت امرأة تبكى عند القبر	٩ ــ ذهبت مريم المجدلية تبكى عند قبر عيسى .
١٠ ــ عاد بعل الى الحياة ثانية	١٠ ــ ارتفع عيسى من القبر حيا .

وبنى المسيحيون على فكرة بنوة عيسى فكرة أنه المخلص الوحيد للبشرية من ذنوبها ، وفى هذا بالطبع كثير من الأخطاء

والمعارضة للقوانين الكونية ، اذ أن المسئولية الشخصية واجبة فى كل القوانين ، بل ان العلم ينادى بذلك أيضا ٠

فعلم الميكانيكا يقول : (لكل فعل رد فعل مساو له فى المقدار ، ومضاد له فى الاتجاه) ٠

وعلم الطبيعة يقول : (كل جسم يشع كمية من الاشعاع بمقدار ما يمكنه أن يستقبل) ٠

فلا يمكن اذن أن يتحمل انسان نتيجة عمل انسان آخر ٠ ولهذا جاء القرآن الكريم موضحا مالم يفهمه الناس من الانجيل فقال صريحا :

قل هو الله أحد

ولا تزر وازرة وزر أخرى ٠

فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره [1]

ويقول السير آرثر فندلاى أيضا فى كتابه (الكون المنشور) * فى صحيفة ١٥٧ مقارنا المسيحية بالوثنية الفرعونية وتماما مثلما كان يردد المصريون :

(لما كان أوزوريس يحيا حقا فسوف أحيا)

(لما كان أوزوريس لن يموت فلن أموت)

نفس هذه العبارات يرددها المسيحيون الاولون والمتأخرون بقولهم : « لما كان المسيح يحيا حقا فسوف أحيا ٠ ولما كان المسيح لن يموت فلن أموت » ٠

---

(١) سورة الزلزلة ٧ ، ٨ ٠ * ترجمة الدكتور ع٠ع٠راضى

وللتأكد من هذا كله أنظر الى : (يوحنا ٦ : ٣٢ ـ ٥٩ ، ١ كورنثوس ١٥ : ١ ـ ٥٨) تجد صدق التشابه فى المقارنة التى أتى بها السير آرثر فندلاى والتى دونت فى العهد الجديد ٠

ويسترسل السير آرثر فندلاى * فيقول :

« نفس العبارات التى قيلت لاوزوريس نسبت الى المسيح ، ولما أضيف اسم عيسى الى قائمة الآلهة المخلصين أصبحت كل القصص التى قيلت عن الآلهة الوثنية تقال بالمثل تماما عن عيسى المسيح ٠ ومن تلك :

١ ـ قصة الولادة من العذراء ٠

٢ ـ قصة المحاكمة قبل الموت ، وطريقة الاعدام ، وطريقة القيامة ، وطريقة الصعود ٠

٣ ـ قصة القيامة بالجسد ٠

تلكم القصص التى كانت تتكرر فى المعابد القديمة صيغت فى ألفاظ ، وركزت حول المسيح عيسى بدلا من أوزوريس الفراعنة ، وبعل البابليين ، وبروميثيوس اليونانيين ، أو أى واحد من الآلهة الآخرين ٠

ثم ينتهى بذكر رأيه فيقول فى كتابه (الكون المنشور) * ص١٨٤:

« لا يعتبر عيسى الها أو مخلصا ، وانما هو رسول من الله ، خدم فى حياته القصيرة فى علاج المرضى ، وبشر بالحياة الأخرى ، وعلم بأن الحياة الدنيا ما هى الا اعداد لحياة أخرى ، للملكوت الالهى حياة أفضل لكل من يعمل صالحا » ٠

---

* ترجمة الدكتور ع٠ع٠راضى ٠

ثم يؤكد براءة عيسى من شبهات المسيحية فى أكثر من موضع، فيقول فى نفس الكتاب * بصحيفة ١١٧ :

« ان بولس هو الذى وضع أساس الدين الذى يسمى الدين المسيحى ٠٠ الدين الذى ولد طفلا عملاقا متكاملا فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م بأمر الامبراطور قسطنطين » ٠

ويقول العلامة روى ديكسون سميث فى كتابه (ضوء جديد على البعث) * صحيفة ٣٢١ :

« لا يوجد متدين مهما كان مذهبه أو فرقته يعتقد أن الله العظيم قد أرسل ابنه الوحيد الى هذه البشرية التى لا توازى — فى مجموعها منذ بدء الخلق الى نهايته ــ كوكبا من الكواكب المتناهية فى الصغر، لكى يعانى موتا وحشيا فوق الصليب ، لترضية النقمة الالهية على البشرية ٠ ولكى يساعد جلالته على أن يغفر للبشرية ، على شرط أن تعلن البشرية اعترافها بهذا العمل الهمجى الذى لا يستسيغه عقل ألا وهو الفداء ٠

واذا كان الله قد أذن بالصلب لأجل ترضيته فانه يكون مشتركا فى الذنب مع السفاكين الذين يكونون قد قاموا بمهمة الهية ٠ لماذا لا نعتقد أن الله ــ والمستقبل أمامه كتاب مفتوح ــ قد سمح بتضحية رسوله لأنه تنبأ بالنتائج العظيمة من أن هذه الحادثة سوف تكون سببا فى حد ذاته فى انتشار الانجيل » ٠

لقد كان الصلب خدعة كبرى بات على الانسان أن يحل طلسمها٠

---

* ترجمة الدكتور ع٠ ع٠ راضى

وهى عديمة التأثير على جلال الله بين غير المسيحيين عديمة التأثير على عدالة الله وضبط قوانينه ، تلك القوانين التى تنص على مسئولية الفرد وحده عن عمله وجزاءه عليه : **« ولا تزر وازرة وزر أخرى »** .

ويقف القرآن الكريم كالعملاق ، ليحسم هذه الفرية بقوله تعالى: **« وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله . وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله اليه. وكان الله عزيزا حكيما »** [1] .

---

(١) ١٥٧ ، ١٥٨ : النساء .

الباب الرابع

المسيحيون والتعاليم الكتابية

يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقـولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمتــه ألقـاها الى مريم وروح منه [1]

كلمة الله

« اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم » [2] .

(فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله) [3] .

نور الله الوضاح ـ الذى ملأ العيون ، وأضاء السبيل منـذ فجر تاريخ الانسانية ـ احتجب النـور عن بعض النـاس على مر العصور ، لا لأن النـور ذاته قـد تلاشى وتوقف ، بل لأن هؤلاء

---

(١) ١٧١ : النساء (٢) ٤٥ : آل عمران

(٣) يوحنا ١ : ١

الناس هم الذين وضعوا فى طريقه الحواجز حتى لا يصل اليهم ، وبذلك ضلوا وأضلوا معهم التابعين وهكذا قال المسيح للأحبار : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون» (متى ٢٣ : ١٣) ٠

الدين الصافى الشفاف ـ الذى نزل كالسلسبيل شفاء للقلوب وضياء للعقول ـ اختلط وتلون وذهب مع الريح ، وجرت الانسانية فى الطريق المنحدر حيث ينتظرها فى آخره حتفها المشين ، الذى طالما حذرها منه القادة والرسل ٠

وينذرهم المسيح بقوله : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين ، وتقولون : لو كنا فى أيام آبائنا ما شاركناهم فى دم الأنبياء ، فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء ، فاملأوا أنتم المكيال مكيال آبائكم » (متى ٢٣ : ٢٩ ـ ٣٢) ٠

وفى وسط الظلمة وفى عمق الهاوية تنبثق فجأة شعاعة ضوء كما انبثقت مرة لموسى فى سفح الجبل : « انى أنا الله » نعم حمل الانسان الكلمة فى طبيعته الخالدة فى روحه ، انها كلمة الله ٠ عادت اليوم صارخة مدوية تنادى أبناء آدم الى سواء السبيل ، محذرة من اندفاعهم نحو الهاوية التى تنتظرهم اذا هم ظلوا سائرين فى نفس الاتجاه المادى الذى هم فيه اليوم يسيرون ٠

« لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ٠ قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا »[1] ٠

---

(١) المائدة ١٧ ٠

اذن كل ما يضيء عقل الانسان في طريق دنياه المظلم هو كلمة الله من الله ، هو صوت هاتف في قلب الانسان ، هو صوت كاشف في ناظري الانسان • ولم يكن عيسى أول الأنبيـاء ولا آخرهم : **« ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم : خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون »**[1] ، **« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل »**[2].

ومنذ فجر التـاريخ بدأت الكلمة في الهبوط ، ولكنهـا كانت دائما لا تعم الأرض كلها بل غالبا ما غيرت وبدلت وحرفت بعد أن يغادر حاملوها هذه الدار •

وها نحن أولاء في أوائل عصر جديد ، عصر لن يسمح للظلام بالعودة مرة أخرى ، عصر لن يفرض على البشرية نظريات خاطئة ، وخرافات يمجها العقل والمنطق •

لقد ظن البعض ان الانجيل ينص على ألوهية عيسى ، وأن الله أرسل ابنه الى الأرض ليخلص من عليها بتقديم ذاك الابن نفسه فداء عن الجنس البشرى ، وتحمله طـوعا واختيـارا ذنوب وأوزار البشرية ثم انتقل هؤلاء ليطبقوا هذه الفـكرة بعـد ذلك فى جميع نواحي العلم • فظنوا أن الأرض اذ يختصها الله بذلك الشرف لا بد وأن تكون مركز الكون كله •

ويقول السير آرثر فندلاى فى كتابه (صخرة الحق *) ص ١٢٤ من تأثير هذه الفكرة على الكنيسة الأولى ووقوفها فى تيار العلم : « كانت الكنيسة تنادى بأن الأرض مستوية ، ومركزها فى بيت

---

(١) ٥٩ : آل عمران (٢) ١٤٤ : آل عمران

* ترجمة الدكتور ع٠ع٠راضى •

المقدس وظنت فى تلك الأيام أن الأرض هى وحـدها العـالم الذى يتكون منه الكون ، وأن الشمس والكواكب تدور حول الأرض » •

ولما حاول العلماء الخروج من هذا الحيز بعد القرن الخامس عشر الميلادى ، واثبات أن الكون أكبر من الأرض • ظلت الكنيســة فى أوهامها تنادى أن هذا الكشف يتعارض مع الافتراض المسيحى وفكرة الاله المخلص ، فأحرق « برونو » فى روما لمـا نادى « برونو » بأن هناك عوالم أخـرى غير الأرض • وأخمـدت الـكنيسة أنفـاس « كوبرنكوس » الذى لم يجرؤ على أن يظهر كتابه الذى يقول فيه : « ان الأرض ما هى الا كوكب مثل غيرها من الكواكب الســيارة • الا وهو على فراش الموت » • و « جاليليو » اضطر وهو راكع عـلى ركبتيه ذليلا ــ خوفا من المحاكمة ــ أن يكذب ما سـبق أن صرح به من أن الأرض تدور حول الشمس •

وهكذا استمرت الكنيسة واقفة بالمرصاد لـكل من يأتى برأى جديد يتعارض مع رأيها • فانها فى الحال ترميه بالـكفر والالحاد • ولكنها اضطرت أخيرا أن تستسلم وتعترف بصحة هذه الاكتشافات بعد مضى أربعة قرون ، أى فى القرن التاسع عشر •

ثم سار العقل البشرى فى طريقه الى غزو الفضاء وتطوير العلم وكان كلما تطور العلم تطورت معه طرق ومقاييس المفاهيم والقيم ، وزالت الغشاوات من فوق العقول ، بمعنى أن العلماء ــ عوضـا عن رجال الدين « رجال اللاهوت » ــ أصبحوا هم الضـياء المنـير الذى يقـود البشرية ، ويعرفهم بالله ، أو كمـا قال الله فى محكم آياته : « **انما يخشى الله من عباده العلماء** » [1] • وأثبت العـلم والعلمـاء

---

(١) ٢٨ : فاطر •

وجود الله • الها خالقا للكون كله • أزليا سرمديا قديما ، مستقلا عما خلق وعن التواريخ والحوادث التى وضعها الناس لأنفسهم وأنه شىء آخر مختلف عما يدور بعقل أى انسان •

ومن كل ما سبق يتبين لنا مدى الخطأ الذى وقع فيـه بعض المفسرين عندما فسروا الانجيل تفسيرا حرفيا ، وعندما أعطوا قيمة كبيرة للأرض التى نعيش عليها ، ووصفوا عيسى بالألوهية : وهو ليس الا واحدا من عباد الله الصالحين المختارين •

اكتشاف مخطوطات قديمة :

اكتشفت حديثا مخطوطات قديمة ، كانت محفوظة فى احـدى الحفر ، يرجع تاريخها الى ما قبل الميلاد ووجد أنهـا تحوى معلومات تصحح الفكرة السائدة عن ألوهية عيسى بن مريم •

ولقد كتب الباحثون عدة تقارير حول القيمة العظيمة لهـذا الاكتشاف ، وهى مخطوطات قديمة مخبأة فى أوانى فخارية طويلة ، هى جزء من مكتوبات الايسيين القدماء العظماء •

ولما أرسـل الدكتور تريفور * نسخة من هـذه المخطوطات الى الدكتور « و•ف•البرايت » ـ وهو عمدة فى علم آثار الانجيل ـ رد عليه بقوله : « تهانى على اكتشاف أعظم مخطوط فى العصر الحديث فوق هضبة بجوار البحر الميت » ، وحـدد تاريخ كتابته بمـائة عام قبل الميلاد ، وقال : « انه لا يوجد أدنى شـك فى العـالم حـول صحة هـذا المخطوط ، وسـوف تعمل هذه الأوراق ثورة فى فكرتنا عن المسيحية » •

ويرى كثير من الباحثـين ورجال الدين وغيرهم ـ أن هـذه المخطوطات القديمة التى تعطى صـورة واضـحة عن الكتب القديمة

---

* ترجمة الدكتور ع•ع•راضى

التى حرفتها الكنيسة أو كذبتهـــا (والتى ذكرت فى الانجيل) ـ وسوف تحدث ثورة فى تفـــكير كل من يبحث عن الحـق بدلا من العقائد الصناعية أو الدين الذى وضعه الامبراطور قنسطنطين والذى عقد مجمع نيقيــة فى سنة ٣٢٥ م تحت رئاسته ، وفى هذا المجمع وضع نهــاية لدين الناصرى المتواضــع ، دين الوحدانيـــة الى دين التثليث ٠

والحقيقة التى لا ينبغى أن تغيب عن بالنا هى ما قررته هـــذه المخطوطات * « أن عيسى كان مسيا المسيحيين ، وأن هنـاك مسيا آخر » ، وقد يكون المقصود بالمســيا الثانى هو نفســه عند عودته بالروح فى العصر المتأخر أو يكون المقصـود به ظهور النبى محمد ، لأنه كان يتكلم للحق منصفا روح عيسى ومدافعا عن العقيدة الأصلية التى جاء بها ٠ «ومتى جاء المعزى «الباراقليط» فهو يشهد لى»[1] ٠

ويقول القس (٠ باول ديفز) رئيس كنيســة كل القديسين فى واشــنطن فى كتابه « مخطوطات البحر الميت * » فى الصحيفة الأولى : (ان مخطوطات البحر الميت ـ وهى من أعظم الاكتشــافات أهمية منذ قرون عديدة ـ قد تغير الفهم التقليدى للانجيل) ٠

ويقول القس « الدكتور تشارلس فرنسيس بوتو » فى كتابه «السنون المفقودة من عيسى تكشف * » فى صحيفة ١٢٧ : (لدينا الآن وثائق كافية تدل على أن المخطوطات هى حقيقة « هبة الله الى البشر » لأن فى كل ورقة تفتح تأتى إثباتات جديدة على أن عيسى كان كما قال عن نفسه : « ابن الانسان » أكثر منه « ابن الله » كمـــا ادعى عليه ذلك أتباعه وهو منه برىء) ٠

وقال فى صحيفة ١٢ * : (من العسير العثور على كتاب فى العهد

---

* ترجمة الدكتور ع ٠ ع ٠ راضى

(١) انجيل يوحنا ١٥ : ٢٦ ٠

القديم لا يحتاج الى تصحيحات تحت ضوء مخطوطات البحر الميت ، وكذلك ليس هناك كتاب فى العهد الجديد لا يحتاج الى تفسير شامل للآيات الأساسية التى تقوم عليها الشريعة) .

وقال فى صحيفة ١٥ : (لقد سمى عيسى نفسه « ابن الانسان» لكنهم سموه « ابن الله » : الشخص الثانى من الثالوث ، الرب من الرب ، ولكن من المشكوك فيه أن يكون الايسنيون أو عيسى نفسه قد وافقوا على هذا) .

انجيل برنابا :

ترجم الاستاذ خليل سعاده انجيل برنابا الى اللغة العربية ، ونشرت دار المنار لصاحبها المرحوم رشيد رضا هذا الانجيل وفى مقدمته كتبت هذه العبارة : (انجيل برنابا وجد باللغة الايطالية فى مكتبة بلاط فينا . وترجم بعد ذلك الى جميع اللغات ، هذا الانجيل يعترف صراحة بأن عيسى بشر مثل غيره من البشر ، وينكر ألوهيته ، ويعترف بوحدانية الله ، وبأن محمدا عبد الله ورسوله . ويقال ان البابا « جلاسيوس » قد حرم قراءة هذا الانجيل سنة ٤٩٢ م .

يعلن الدكتور تشارلس فرنسيس بوتر فى كتابه « السنون المفقودة من عيسى تكشف * (أن انجيلا يدعى انجيل برنابا استبعدته الكنيسة فى عهدها الاول . والمخطوطات التى اكتشفت حديثا فى منطقة البحر الميت جاءت مؤيدة لهذا الانجيل) .

وتوالت بعد ذلك الاكتشافات التى لم يسمع عنها الجمهور لدينا كثيرا ، وهذا هو سر التعجب فالمصادر التى تذكر هذه الأمور ـ كلها أجنبية غربية ـ قد ذكرت أن مخطوطا آخر فى الفيوم وآخر فى مصر العليا ، وثالث فى طورسيناء فى سنة ١٩٥٨ م ، وأن هذا

---

* ترجمة الدكتور ع.ع.راضى

الأخير مكتوب باللغــة الديموطيقية ، وأنه كتب فى القــرن الثــالث بواسطة القديس مرقس الحوارى المعروف ، يصف فيه تاريخ عيسى ويصحح نقطا كثيرة مما جرى عليه العرف .

لقد استبعد انجيل برنابا الذى يهدى الى الحـق ، فيهـدى الى الرسول الكريم سـيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن عباراته : « فلما كان الناس قد دعونى الله ، وابن الله ، على أنى كنت بريئا فى العالم ـ أراد الله أن يهزأ الناس بى فى هذا العالم بموت يهوذا معتقدين أننى أنا الذى مت على الصليب لكيلا تهزأ الشياطين بى فى يوم الدينونة وسيبقى هذا الى أن يأتى **محمد رسول الله** الذى متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله»[1] .

وفى هذا المعنى يقول يوحنا الحوارى : « ومتى جاء روح الحـق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى » (انجيل يوحنا ١٥ : ٢٦) .

وقال برنابا أيضا «لأن الله سيصعدنى من الأرض . وسيغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد اياى ومع ذلك فانه لما يموت شر ميتة ، أمكث فى ذلك العار زمنا طويلا فى العالم ، **ولكن متى جاء محـمد رسول الله المقدس** تزال عنى هذه الوصمة وسيفعل الله هذا لأننى اعترفت بحقيقة مسيا[2] الذى سيعطينى هذا الجزاء أى أن أعرف أنى حى ، وأنى برىء من وصمة تلك الميتة » .

وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفند هذه الفرية بقول الله تعالى : « **وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** »[3] .

---

(١) انجيل برنابا الباب ٢٢٠
(٢) مسيا كلمة آرامية تعنى رسول .
(٣) ١٥٧ و١٥٨ : النساء .

لقد استبعد انجيل برنابا ، وبقيت كتابات بولس الذى ادعى لنفسه الرسولية • وبين برنابا وبين بولس مشادة يكشف القناع عنها برنابا فى قوله : «أيها الأعزاء ان الله العظيم العجيب قد افتقدنا فى هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح • برحمته العظيمة للتعليم والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين المسيح ابن الله ، ورافضين الختان الذى أمر به الله دائما ، مجوزين أكل لحم نجس الذى ضل فى عدادهم بولس الذى لا أتكلم عنه الا مع الأسى »[1].

ويقرر العهد الجديد فى سفر الأعمال (١٥ : ٣٦ ـ ٤٠) هذا القرار « فحصل مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر وبرنابا أخذ مرقس وسافر فى البحر الى قبرص ، وأما بولس فاختار سيلا وخرج مستودعا من الاخوة » •

استبعد انجيل برنابا وبقيت كتابات بولس الذى جاء بتعليم شديد الكفر بقوله : « كأس البركة التى نباركها أليست هى شركة دم المسيح • الخبز الذى نكسره أليس هو شركة جسد المسيح »[2]

ويسترسل الحوارى يوحنا على هذا النمط فيقول : « جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق • من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا فيه »[3] ، ومن هنا نشأت احدى الاسرار الكنيسية السبعة المعروفة بسر « الافخار ستيا » وفحواه : « اننا نؤمن أنه بعد تقديس سر الشكر ، واستدعاء حلول الروح القدس على القرابين ـ يستحيل الخبز والخمر استحالة سرية الى جسد المسيح ودمه الأقدسين حتى

---

(١) مقدمة انجيل برنابا (٢) ١ كو ١٠ : ١٦

(٣) يو ٦ : ٥٣ ـ ٥٦

أن الخبز والخمر اللذين ننظرهما على المائدة ليسا خبزا وخمرا بسيطين بل هما جسد الرب ذاته ودمه تحت شكلى الخبز والخمر »·· «ونؤمن أن ربنا يسوع المسيح حاضر فى هذه الخدمة لا بوجه الرمز أو الاشارة أو الصورة أو المجاز ولا بأنه مستتر فى الخبز بل هو حاضر حضورا فعليا » ـ والحمد لله الذى قال فى عزته وجلاله :
« قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ، وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون » [١]
هذا هو الله جل جلاله برىء مما نسب اليه من البنوة والتثليث .
هذا هو الله الواحد الأحد **« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون »** [٢] ليؤكد للانسانية أن الله غفور رحيم .

(١) ٥٣ و٥٤ : الزمر (٢) ٢٢ : التوبة

الباب الخامس

القرآن الكريم

يهدى أهل الكتاب إلى الصراط المستقيم

(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) [١]

---

١ ـ (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام) [٢]

قرآن كريم

٢ ـ « لقد كنت على قبلة لو صبرت عليها »

حديث شريف

٣ ـ « يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء ، وراجمة المرسلين ، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة أفراخها تحت جناحيها ولم تريدوا . هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا » [٣]

هكذا تنبأ المسيح عن هيكل سليمان

(أ) حديث المسيح مع السامرية

---

(١) ١٥ : المائدة (٢) ٤٤ : البقرة (٣) متى ٢٣ : ٣٧و٣٨

(ب) تنديد المسيح بالهيكل « قبلة اليهود »

(ج) نبوءة المسيح عن خراب بيت المقدس

(د) تحقيق النبوءة بسحق الدولة الفارسية الساسانية لفلسطين عامة ولبيت المقدس خاصة سنة ٦١٧ م .

٤ ـ (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)[١]

ارادة الله لابد أن تنفذ ولو كره المشركون ولو كره الكافرون

ان سيدنا عيسى عليه السلام يتنبأ عن الرسول الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله : « وأما متى جاء ذاك (روح الحق) فهو يرشدكم الى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل مايسمع يتكلم به ، ويخبركم بأمور آتية » (يو ١٦ : ١٢و١٣) .

ويدعم هذه النبوة بطرس خليفة المسيح على الأرض بقوله : « فان موسى قال للآباء ان نبيا مثلى سيقيم لكم الرب الهكم من اخوتكم ، له تسمعون فى كل ما يكلمكم به » أع ٣ : ٢٢ ، « هذا هو الحجر الذى احتقرتموه أيها البناءون الذى صار رأس الزاوية ، وليس بأحد غيره الخلاص » أع ٤ : ١١ .

---

(١) ٨ : الصف

ويقول الله تعالى وهو خير القائلين : « **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ، ويعفو عن كثير . قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين** » (١) .

ويقول سبحانه : « **وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** » (٢) .

ومن هذه الأسانيد والقرائن يتبين بوضوح لا ريب فيه ان نقطة التحول في تاريخ الرسالات السماوية هي :

١ ـ في اختيار الله للرسول الكريم ، حفيد سيدنا اسماعيل عليه السلام وهو شقيق سيدنا اسحاق عليه السلام وكلاهما ابنا سيدنا ابراهيم عليه السلام : « **ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم** » (٣) .

٢ ـ وفي تحول الأراضي المقدسة من أرض فلسطين مهد الأنبياء الى أرض الحجاز الى مكة المكرمة أرض الرسول الكريم . فلنبدأ القصة من بدايتها حتى يتكشف لنا سر هذا التحول الخطير .

قال الله تعالى : « **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ، وأني فضلتكم على العالمين . واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ، ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون** » (٤) .

وحذر سيدنا موسى عليه السلام بني اسرائيل أن ينحرفوا عن طريق الله بقوله : « اذا ولدتم أولادا وأولاد أولاد ، وأطلتم الزمان في الأرض ، وفسدتم ، وصنعتم تمثالا منحوتا صورة شيء ما ،

---

(١) ١٥ : المائدة (٢) ٦٤ : النحل

(٣) ١٢٨ : البقرة (٤) ١٢٢ و ١٢٣ : البقرة .

وفعلتم الشر فى عينى الرب الهكم لاغاظته ـ أشهد عليكم اليوم السماء والأرض أنكم تبيدون سريعا من الأرض التى أنتم عابرون اليها لتمتلكوها ، لا تطيلون الأيام عليها ، بل تهلكون لا محالة ، ويبددكم الرب فى الشعوب ، فتبقون عددا قليلا بين الأمم يسوقكم الرب اليها » (سفر التثنية ٤ : ٢٥ـ٢٧) .

ومع هذا التحذير والتنبيه الا أنهم ترددوا فى آثامهم وخطاياهم فحق عليهم غضبة الله .

وفى سنة ٧٠١ ق.م. نفذ الله فيهم قضاءه ، فقال أشعياء نبى العهد القديم : « من منكم يسمع هذا يصغى ويسمع لما بعد ، من دفع يعقوب الى السلب ، واسرائيل الى الناهبين ؟ أليس الرب الذى اليه أخطأنا ولم يشاءوا أن يسلكوا فى طرقه ولم يسمعوا لشريعته » (أشعياء ٤٢ : ٢٣ ـ ٢٥) .

ثم يعود فيحاججهم بقوله : « ها ان يد الرب لم تقصر عن أن تخلص ، ولم تثقل أذنه عن أن تسمع ، بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين الهكم ، وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع »[1]

ويقول الله تعالى فى محكم آياته : « **وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين . فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون . قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين** »[2] .

لا ريب أن ارادة الله لا بد أن تتم مهما تجاهل الانسان هذه الارادة الأزلية السرمدية .

كما تنبأ عنهم أرميا نبى العهد القديم ـ عن تدمير بيت المقدس وعن تشتيت اسرائيل بقوله :

---

(١) أشعياء ٥٩ : ١ ـ ٤ (٢) ١١ ـ ١٤ الأنبياء .

« ويعبر أمم كثيرة في هذه المدينة ، ويقولون الواحد لصاحبه لماذا فعل الرب مثل هذا لهذه المدينة العظيمة ؟ فيقولون من أجل أنهم تركوا عهد الرب الههم ، وسجدوا لآلهة أخرى وعبدوها » . (أرمياء ٢٢ : ٨ و ٩) .

جاء المسيح عيسى بن مريم فماذا وجد ؟ لقد وجد :

١ ـ **الأحبار والهيكل** : « ولما دخل الهيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون فيه قائلا لهم : مكتوب أن بيتي بيت الصلاة . وأنتم جعلتموه مغارة لصوص »[١] .

٢ ـ **الأحبار والالتزام بالحلف** : « ويل لكم أيها القادة العميان . القائلون من حلف بالهيكل فليس بشيء ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم . أيها الجهال والعميان ، أيهما أعظم الذهب أم الهيكل الذى يقدس الذهب ؟ ومن حلف بالمذبح فليس بشيء ولكن من حلف بالقربان الذى عليه يلتزم ، أيها الجهال والعميان أيهما أعظم القربان أم المذبح الذى يقدس القربان ؟ فان من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه ، ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه . ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه »[٢] .

٣ ـ **الشعب والأحبار** : « يقترب الى هذا الشعب بفمه، ويكرمني بشفتيه ، وأما قلبه فمبتعد عني بعيدا وباطلا يعبدونني ، وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس »[٣] .

٤ ـ **المسيح والأحبار** : « لا تظنوا أني أشكوكم الى الله . يوجد الذى يشكوكم وهو موسى الذى عليه رجاؤكم لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني . لأنه هو كتب عني . فان كنتم لستم تصدقون كتب ذاك فكيف تصدقون كلامي »[٤] .

---

(١) لوقا ١٩ : ٤٥ ، ٤٦ (٢) متى ٢٣ : ١٦ ـ ٢٢

(٣) متى ٢٣ : ٨ ، ٩ (٤) يوحنا ٥ : ٤٤ ـ ٤٧

٥ ـ **المسيح والتلاميذ (الحواريون)** : « فأجابه بطرس : يا رب الى من نذهب وكلام الحياة الأبدية عندك ؟ ونحن قد آمنا ، وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحى ، أجـابهم يسـوع : أليس أنى أنا اخترتكم الاثنى عشر وواحد منكم شيطان »[١] .

٦ ـ **المسيح وابليس** : « وقال له ابليس : أعطيك هذه كلهـا ان خررت وسجدت لى . حينئذ قال له يسوع : اذهب يا شيطان ، لأنه مكتوب للرب الهك تسجد ، واياه وحده تعبـد ، . ثم تركه ابليس »[٢] .

٧ ـ المسيح والدينـونة « التـهمة التى أقاموهـا ضـده » :
« أنه جعل نفسه ابن الله » يوحنا ١٩ : ٧ .

ويفند القرآن الكريم هذه الشبهة . ويدفعها عن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام بقوله تعالى : « **اتخذوا أحبارهم ورهبـانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الهـا واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون** [٣] ، وقوله تعالى : « **فلما أحس عيسى منهم الكفر قال : من أنصارى الى الله قال الحواريون : نحن أنصار الله ، آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون** »[٤] .

وكان موقف سيدنا عيسى عليه السلام ازاء هذا الانحراف الدينى المريع موقفا ايجابيا اذ حين تقدم اليه تلاميذه لكى يروه أبنية الهيكل قال لهم يسوع : « أما تنظرون جميع هذه ؟ الحـق أقول لكم أنه

---

(١) يوحنا ٦ : ٦٨ ـ ٧٠ (٢) متى ٤ : ٩ ـ ١١

(٣) ٣١ : التوبة (٤) ٥٢ : آل عمران

لا يترك ها هنا حجر على حجر لا ينقض »[1] .

وفيما هو يقترب نظر الى المدينة (بيت المقدس) وبكى عليها قائلا : انك لو علمت أنت أيضا حتى فى يومك هذا ما هو لسلامك ولكن الآن قد أخفى عن عينيك ، فانه ستأتى أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة ، ويحدقون بك ، ويحاصرونك من كل جهة ، ويهدمونك وبنيك فيك . ولا يتركون فيك حجرا على حجر لأنك لم تعرفى زمان افتقادك »[2] .

ولقد صب عليها لعنة الله بقوله : « يا أورشليم ، يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء ، وراجمة المرسلين ، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة أفراخها تحت جناحيها ولم تريدوا ، هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا »[3]

هذه هى القصة من بدايتها الى نهايتها ، لقد غضب الله على اسرائيل وتحول قلبه عن بيت المقدس ، فكيف يتم هذا ووعد الله لسيدنا ابراهيم : « ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض »
تكوين ٢٢ : ١٨

ويوضح الله الأمر فى قوله تعالى : « **قال انى جاعلك للناس اماما . قال ومن ذريتى . قال لا ينال عهدى الظالمين** »[4] .

وهنا يأتى دور نبوة المسيح عليه السلام عن الرسول المصطفى: « قال لهم يسوع : أما قرأتم قط فى الكتب . الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا . وهو

---

(١) متى ٢٤ : ١ و٢ (٢) لوقا ١٩ : ٤١ ـ ٤٤
(٣) متى ٢٣ : ٣٧ ـ ٣٨ (٤) ١٢٤ : البقرة

عجيب في أعيننا لذلك أقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل أثماره »[1].

وهنا أيضا يأتي دور تعزية الملاك للسيدة هاجر عندما هربت من نير الاستعباد تحت اذلال سارة زوجة سيدنا ابراهيم عليه السلام : « لأني سأجعله أمة عظيمة »[2].

وهنا أيضا يأتي دور تعزية الله لسيدنا ابراهيم عليه السلام عندما رأى ابنه البكر اسماعيل مطرودا أمام عينيه من وجه عبودية السيدة سارة : « وابن الجارية أيضا ، سأجعله أمة ، لأنه نسلك»[3]

ويؤكد الله هذه الأمور بقوله تعالى : « **واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ، وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود** »[4]

أيها القارىء العزيز : هذه الحوادث لم تكن عفو الخاطر ، بل كانت في علم الله سبحانه وتعالى ، وهي التي رآها سيدنا موسى عليه السلام « اذ أراه الله من ثم رسوله على ذراعي اسماعيل ، واسماعيل على ذراعي ابراهيم ، ووقف على مقربة من اسماعيل اسحاق وكان على ذراعيه طفل هو المسيح عيسى ابن مريم يشير باصبعه الى رسول الله قائلا : **هذا هو الذي لأجله خلق الله كل شيء** فصرخ موسى من ثم بفرح: يا اسماعيل ، ان على ذراعيك العالم كله والجنة أذكرني أنا عبد الله لأجد نعمة في نظر الله بسبب ابنك الذي لأجله صنع الله كل شيء » برنابا ١٩١ : ٦ ـ ١٠ .

---

(١) متى ٢١ : ٤٢ ، ٤٣ (٢) تكوين ٢١ : ١٨
(٣) تكوين ٢١ : ١٣ (٤) ٢٥ : البقرة

والآن لنتتبع المنهاج المرسوم :

١ ـ يقول الله تعالى : « **سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم** » (١) .

يا أهل الكتاب ، كفاكم دورانا حول هذا الجبل ، واتجهوا الى الصراط المستقيم ، أما جاءت تلك المرأة السامرية وأخذت تحاور المسيح عيسى بن مريم حتى قالت له : « آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل ، وأنتم تقولون . ان فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه . قال لها يسوع : يا امرأة صدقينى أنه تأتى ساعة ـ لا فى هذا الجبل ، ولا فى أورشليم تسجدون لله .. الله روح ، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا» يوحنا ٤ : ٢٠ـ٢٤ .
ويقول الله تعالى فى كتابه الكريم : « **ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله** » .

ويقول برنابا مشيرا الى ركن من أركان الاسلام وهو الحج «سيأتى مسيا (٢) المرسل من الله لكل العالم (٣)، الذى خلق الله العالم لأجله، وحينئذ يسجد لله فى كل العالم (٤) وتنال الرحمة ، حتى أن سنة اليوبيل التى تجىء الآن كل مائة سنة سيجعلها مسيا كل سنة من كل مكان » (٥) برنابا ٨٢ : ١٦ ـ ١٨ .

---

(١) ١٤٢ : البقرة (٢) مسيا : كلمة آرامية معناها الرسول .

(٣) المسيح رسول الله لبنى اسرائيل فقط كما أقر بقوله « لم أرسل الا الى خراف اسرائيل الضالة » متى ١٥ : ٢٤ .

(٤) دور المساجد فى العالم لأداء الركن الأول من أركان الاسلام ألا وهو الصلاة .

(٥) فى هذا اشارة الى الركن الخامس من أركان الاسلام ألا وهو حج البيت .

وفى الركن الخامس من أركان الاسلام يقول الله تعالى : « **وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق** »[1] •

وفى تحويل القبلة من بيت المقدس الى مكة قال البراء بن معرور : « يا نبى الله ، أنى خرجت من سفرى هذا ، وهدانى الله للاسلام ، فرأيت ألا أجعل هذه البنية منى بظهر فصليت اليها • وقد خالفنى أصحابى فى ذلك حتى وقع فى نفسى من ذلك شىء فماذا ترى يا رسول الله ؟ » قال : « لقد كنت على قبلة لو صبرت عليها » •

وقال تعالى لسيدنا ابراهيم وابنه سيدنا اسماعيل عليهما السلام « **واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى • وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود** »[2] •

لقد كان على الرسول تطهير البيت للعاكفين ، فان الوصية كانت لجده هى هى الوصية له ، وقد قام النبى صلى الله عليه وسلم بواجبه فى هذه الناحية بمجرد فتحه مكة ودخوله بيت الله الحرام • قال ابن مسعود رضى الله عنه : « دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح ، وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود فى يده ، ويقول : جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا ، جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد » أخرجه البخارى ج ٥ ص ١٤٥

وهذا الأمر ليس بغريب على أهل الكتاب ، فهم كما قال الله عنهم « **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** » ، ولهذا قال لرسوله الكريم عند تحويل

---

(١) ٢٧ : الحج (٢) ١٢٥ : البقرة

القبلة : « **قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجـوهكم شطره ، وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون** »[1] ٠

هذه هى الحقائق الالهية الثمينة ٠

الحقيقة الأولى : انتزاع النبوة من بنى اسرائيل : من بنى اسحاق ابن ابراهيم ، الى محمد رسول الله : من بنى قريش ، من بنى كنانة من بنى اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام ٠

وهؤلاء أسماء بنى اسماعيل حسب مواليدهم : نبايوت ، بكر اسماعيل ، وقيدار (ولعل قيدار هو المقصود بكنانة) ٠٠ اثنا عشر رئيسا حسب قبائلهم (تكوين ٢٥ : ١٢ ـ ١٦) ٠

وليت الأمر يقف عند هذا الحـد ، بل ان كون رسـول الله المصطفى من نسل اسماعيل عليه السلام ، وأن مركز اسماعيل بين الاسرائيليين كما صرحت به السيدة سارة : « اطرد هـذه الجارية وابنها ، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى اسحاق »[2] ٠

مركز المحروم من الميراث « ولكن عهدى أقيمه مع اسحاق الذى تلده لك سارة »[3] ٠٠٠ وهذا هو العهد الذى أقامه الله مع ابراهيم عليه السلام : « أقيم عهدى بينى وبينك ٠ وبين نسلك من بعـــدك فى أجيالهم عهدا أبديا لأكون الها لك ولنسلك من بعدك »[4] ٠

واذ يبـوء اسرائيــل بغضب من الله ٠ يخيب الله آمالهم فينتزع الميراث منهم ويورثه لذرية اسماعيل عليه الســلام ، فى شـــخص

---

(١) ١٤٤ : البقرة ٠ واقرأ الآيتين التاليتين ٠
(٢) تكوين ٢١ : ١٠ (٣) تكوين ١٧ : ٢١
(٤) تكوين ١٧ : ٧

الرسول الكريم ، وهذا مصداقا لما جاء على لسان موسى عليه السلام : « وأجعله أمة كبيرة » [1] .. وقوله أيضا : « لأنى سأجعله أمة عظيمة وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام » [2] .

هذا هو الحجر الذى رفضه البناءون هو بقدرة الله قد أصبح رأس الزاوية . هو محمد رسول الله سيد المرسلين وخاتم النبيين .

الحقيقة الثانية : تحويل القبلة من بيت المقدس الى مكة المكرمة . هذا الأمر عجيب جدا ، لأن الله قدر فتنفذ لا راد لتقديره ولا لمشيئته .

بقى علينا أمر ، وهو موقف التاريخ من هذه الحوادث .

١ ـ لقد ندد المسيح عيسى بن مريم بالهيكل ، وهو قبلة اسرائيل ، تأمل في ما جاء بأنجيل متى ٢٤ : ١ ، ٢ .

٢ ـ لقد تنبأ بخراب بيت المقدس (أورشليم) ، تأمل فى ماجاء بانجيل متى ٢٣ : ٣٧ و٣٨ وانجيل لوقا ١٣ : ٣٤ و٣٥ .

والتاريخ السياسى يؤكد ويؤيد ما جاء من كلام الله تعالى فى التوراة أو الانجيل أو القرآن ، اذ تعرضت فلسطين للاستعمار الأجنبى الذى داس الهيكل ، ودنس كل مقدساته فى هذه الفترات ، من عهد المسيح الى مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم .

والحقب التى مرت بها فلسطين تأييدا لما تنبأ به التوراة والانجيل هى :

---

(١) تكوين ١٧ : ٢٠ (٢) تكوين ٢١ : ١٨ و١٩ .

١ ـ كانت فلسطين ولاية رومانية من سنة ٥٣ م الى سنة ٦١٤ م٠

٢ ـ ثم أصبحت ولاية فارسية من سنة ٦١٤ م الى سنة ٦٢٦ م٠ تتبع الدولة الفارسية الساسانية ٠

٣ ـ ثم عادت ولاية رومانية فى عهد الامبراطور هرقل سنة ٦٢٦ م الى سنة ٦٣٧ م٠

٤ ـ ثم حررها الاسلام من سنة ٦٣٧ م ، وحمى مقدساتهـا ورعى أهل الكتاب بالحق والأمانة ٠

الباب السادس

الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم

وإيمانه بشخص

المسيح عليه السلام

« ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل »[1]

آمن الرسول الكريم بالمسيح عيسى بن مريم الذى تنبأ قائلا : « ليس أحد صعد الى السماء الا الذى نزل من السماء »

يوحنا ٣ : ١٣

وعمن يقول هذا القول .

هل يقوله عن أخنوخ فالتوراة تقرر : « وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه » تكوين ٥ : ٢٤ .

أم يقوله عن ايليا فالأنبياء تقرر : « وفيما هما يسيران ويتكلمان اذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما ، فصعد ايليا فى العاصفة الى السماء » سفر الملوك الثانى ٢ : ١١ .

---

(١) ٧٥ : المائدة

فالأول ــ وهو أخنوخ ــ لعله سيدنا الخضر ، صعد الى السماء وما زال فيها •

والثانى ــ وهو ايليا ــ لعله سيدنا الياس ، صعد الى السماء وما زال فيها •

واذا اعتبرنا الأمر للمسيح عليه السلام فان الله رفعه اليه ولم ينزل بعد من السماء •

فمن هذا المسيا (الرسول) اذن ؟

انه محمد صلى الله عليه وسلم عندما أسرى الله به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، ثم عرج به الى السماء ، ورأى ما رأى ، **« ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، اذ يغشى السدرة ما يغشى ، مازاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى »** [1] •

وهذه نبوة أخرى من سيدنا عيسى عليه السلام للرسول الكريم بصعوده الى السماء ونزوله منها •

أما عن الرحلة النبوية ، فالرسالات السماوية تؤمن بها ، وقد سبق اليها أخنوخ ، وايليا ، والمسيح •

وما سبق به القرآن الكريم من الاعجاز فى هذه الرحلة أيده العلم الحديث فى رحلة جاجارين الى القمر ، ورحلة تيتوف حول الأرض ، واذا كان الانسان استطاع الى ذلك سبيلا ــ فالانسان من خلق الله ، والله يعطى بعض علمه لمن يشاء من خلقه ويقول : **« وما أوتيتم من العلم الا قليلا »** ، ويؤكد أن الانسان مهما بلغ من

---

(١) ١١ ــ ١٨ : النجم •

العلم لا يستطيع أن يصل الى الأسرار الالهية الا بقدر : « **ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء** » .

لقد آمن الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالأنبياء قبله وبعيسى ، وبموسى ، ولم يفرق بين أحد من رسل الله ، وهذا هو الايمان الخالص ، والدين الصافي ، والحياة الربانية الكريمة .

وكيف يؤمن الرسول بسيدنا عيسى عليه السلام ؟

وللاجابة على هذا السؤال ينبغي أن نعرف ما معنى كلمة « مسيح » ؟ وكيف نشأت ؟ وهل هي مقصورة على سيدنا عيسى عليه السلام ؟

في الفترة من ١١٠٠ ق.م الى ١٠١١ ق.م . تاقت نفس اسرائيل لأن يكون دولة كالدول التي بجواره ، وأراد له ملكا ومملكة . وفي هذا قال الله تعالى : « **وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت** [١] **ملكا . قالوا أني يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال . قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم ، والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم** » [٢] [*]

والقصة كما وردت في التوراة هكذا : « فأخذ صموئيل قنينة الدهن ، وصب على رأسه وقبله وقال : أليس لأن الرب قد مسحك على ميراثه رئيسا » (صموئيل أول ١٠ : ١) .

ومن هنا نشأت فكرة المسيح ، وهي رمز الى تتويج الملك ، ورمز الى حلول الروح القدس على الملك بمجرد مسحه بالدهن . أما المسيح فسمي كذلك لأنه منذ ولادته حل عليه الروح القدس ،

---

(١) المقصود بطالوت شاول بن قيس من بنيامين .
(٢) ٢٤٧ : البقرة .

« وقال لها • الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلى تظللك » ، (انجيل لوقا ١ : ٣٥) •

ويقول الله تعالى : « **والتى احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين** » [١] •

يقول سبحانه : « **ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون • ماكان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون** » [٢] •

ولا عجب أن الانجيل يؤكد للانسان الذى يبحث عن الحق ويتحرى الصدق • لا عجب أنه يدعم انسانية عيسى عليه السلام ، ويؤكد رسوليته ونبوته ، فكلمة انجيل كلمة يونانية تعنى بشارة أو بشرى ، ولعل هذا هو الذى نستفيده من سيرة سيدنا عيسى عليه السلام : انه كان بشرى من الله للرحمة ، وبشرى بتبشيره عن المسيا الذى سيأتى للعالمين هدى ورحمة ، ألا وهو الرسول الكريم ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم •

شهادة الانجيل

والأناجيل تؤكد شخصية المسيح عيسى بما يتفق وايمان المسلم •

١ ـ المسيح عيسى بن مريم يخضع لناموس الغرائز الانسانية :

« جاء ابن الانسان يأكل ويشرب ، فتقولون هو ذا انسان أكول وشريب خمر ، محب للعشارين والخطاة ، والحكمة تبررت من بنيها » (انجيل متى ١١ : ١٩ ، وانجيل لوقا ٧ : ٣٤ ، ٣٥)•

« ثم أصعد يسوع الى البرية من الروح ليجرب من ابليس ، فبعد ماصام أربعين نهارا وأربعين ليلة جاع أخيرا ، فتقدم اليه المجرب

---

(١) ٩١ : الأنبياء (٢) ٣٤و٣٥ : مريم

وقال له : ان كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا » ، (متى ٤ : ١و٣) ٠

وفي هذا تطابق لقوله تعالى : « **ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام ٠ انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون** »[1] ٠

ويقول سبحانه : « **وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق** » [2] ٠

٢ ـ المسيح عيسى بن مريم يخضع لناموس الراحة والتعب :

« وفي أحد الأيام دخل سفينة هو وتلاميذه ، فقال لهم : لنعبر الى عبر البحيرة ، فأقلعوا ، وفيما هم يسيرون نام ، فنزل نوء ريح في البحيرة وكادوا يمتلئون ماء ، وصاروا في خطر ، فتقدموا اليه وأيقظوه قائلين : يا معلم ، يا معلم ، اننا نهلك ، فقام وانتهر الريح، وتموج الماء ، فانتهيا وصار هدوء » لوقا ٨ : ٢٢ ـ ٢٤ ٠

ويؤكد هذه القصة مرقس في انجيله في الباب ٤ : ٣٥ ـ ٤٠ بما نصه :

« وقال لهم في ذلك اليوم لما كان المساء : لنجتز الى العبر ، فصرفوا الجمع وأخذوه كما كان في السفينة ، وكانت معه أيضا سفن أخرى صغيرة ، فحدث نوء ريح عظيمة ، فكانت الأمواج تضرب السفينة حتى صارت تمتلىء ، وكان هو في المؤخرة على وسادة نائما ، فأيقظوه وقالوا : يا معلم ، أما يهمك أننا نهلك ؟ فقام وانتهر الريح، وقال للبحر اسكت أبكم ، فسكنت الريح ، وصار هدوء عظيم » ٠

ويدعم هذه القصة أيضا متى في انجيله في الباب ٨ : ٢٣ـ٢٧ بما نصه :

---

(١) ٧٥ : المائدة (٢) ٢٠ : الفرقان

« ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه ، واذا اضطراب عظيم قد حدث فى البحر حتى غطت الامواج السفينة ، وكان هو نائما ، فتقدم اليه تلاميذه وأيقظوه قائلين : يا سيد ، نجنا ، فاننا نهلك . فقال لهم : ما بالكم خائفين يا قليلى الايمان ؟ ثم قام وانتهر الرياح والبحر فصار هدوء عظيم ، فتعجب الناس قائلين : أى انسان هذا ؟ فان الرياح والبحر جميعا تطيعه » .

هذه اقرارات مؤكدة ، ومن عجب أن الحواريين وضعوا شبهات من نسيج خيالهم ، فهذا هو بطرس خليفة المسيح يقول : « أنت هو المسيح ابن الله الحى » (متى ١٦ : ١٦) . فكيف يتفق هذا وهو الانسان الذى كان نائما فأيقظوه كما تقرره القصص الثلاث ؟

ويحسم القرآن الكريم الأمر في قوله تعالى : « **لا تأخذه سنة ولا نوم** »[1] .

وبعد أن دفعنا هذه الشبهة عنه من القرآن الكريم نبحث عن دفع من التوراة ، وقد جاء فى سفر الملوك الأول فى الباب الثامن عشر من بدء العدد ١٧ الى نهاية العدد ٤٠ ، قصة حوار بين ايليا نبى الله وبين أنبياء البعل ، وفى هذا الحوار يتحدى ايليا البعل اله البابليين ، ويسخر منه ، ويقول لهم فى سخرية لاذعة : « ادعوا بصوت عال ، لانه اله لعله مستغرق ، أو فى خلوة ، أو فى سفر ، أو لعله نائم فيتنبه » (١ مل ١٨ : ٢٧) . وبرهان آخر ، المعجزات التى صارت على يد موسى ومنها : ضرب البحر بعصاه فانفلق ، أهذه قدرة بشرية أم قدرة الهية ؟

٣ - المسيح عيسى بن مريم يخضع لناموس المؤثرات العاطفية :

« واذا كان فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجة ، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض ، ثم قام من الصلاة وجاء الى تلاميذه ،

---

(١) ٢٢٥ : البقرة

فوجدهم نياما من الحزن ، فقال لهم : لماذا أنتم نيام ؟ قوموا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة ، وبينما هو يتكلم اذا جمع ، والذى يدعى يهوذا أحد الاثنى عشر يتقدمهم ، فدنا من يسوع ليقبله ، فقال له يسوع : يا يهوذا ، أبقبلة تسلم ابن الانسان ؟ » لوقا ٢٢ : ٤٤ـ٤٨

« وفيما هو يقترب نظر الى المدينة وبكى عليها قائلا : انك لو علمت أنت أيضا حتى فى يومك هذا ما هو لسلامك ، ولكن قد أخفى عن عينيك ، فانه ستأتى أيام ويحيط بك أعدائك بمترسة ويحدقون بك ، ويحاصرونك ، من كل جهة ، ويهدمونك وبنيك فيك ، ولا يتركون فيك حجرا على حجر ، لأنك لم تعرفى زمان افتقادك » لو ١٩ : ٤١ـ٤٤ .

هذا هو المسيح الانسان ، عاش فى اطار الحزن والأسى ، فتألم ، وبكى ، وحزن ، وهذه كلها انفعالات بشرية .

ويأتى الرسول الكريم على نمط آخر يختلف عن المسيح عيسى ابن مريم بينه الله تعالى بقوله : « **محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا . يبتغون فضلا من الله ورضوانا** »[1] .

٤ ـ المسيح عيسى بن مريم يلتزم مكانته فلا يتعداها :

(أ) أرادوه ملكا ، فانصرف عنهم : « وأما يسوع فاذا علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا انصرف الى الجبل وحده » انجيل يوحنا ٦ : ١٥ .

(ب) رئيس الكهنة يستجوبه . وواحد من الخدام يلطمه على وجهه : « فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه أجابه

---

(١) ٢٩ الفتح

يسوع : أنا كلمت العالم علانية ، أنا علمت كل حين فى المجمع وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود دائما ، وفى الخفاء لم أتكلم بشىء ، لماذا تسألنى أنا ؟ اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم ، هو ذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا • ولما قال هذا لطم يسوع واحد من الخدام كان واقفا قائلا : أهكذا تجاوب رئيس الكهنة ؟ أجابه يسوع : ان كنت قد تكلمت رديا فاشهد على الردىء وان حسنا فلماذا تضربنى ؟ وكان حنان قد أرسله موثقا الى قيافا رئيس الكهنة » يوحنا ١٨ : ١٩ـ٢٤

(ج) ولقد حاوره الفريسيون بمكر ليصطادوه بكلمة فقالوا : « يا معلم ، نعلم أنك صادق ، وتعلم طريق الله بالحق ، ولا تبالى بأحد ، لأنك لا تنظر الى وجوه الناس ، فقل لنا : ماذا تظن أيجوز أن نعطى جزية لقيصر أم لا ؟ فعلم يسوع خبثهم ، وقال : لماذا تجربونى يا مراءون ؟ أرونى معاملة الجزية • فقدموا له دينارا • فقال لهم : لمن هذه الصورة والكتابة ؟ فقالوا له : لقيصر ، فقال لهم : أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » متى ٢٢ : ١٥ ـ ٢١ •

٥ ـ المسيح عيسى بن مريم جاء غريبا وعاد غريبا :

لقد تنبأ عن نفسه بالآلام ، فتصدى له بطرس رياء يستبعد عنه ما هو محتوم أن يكون « من ذلك الوقت ابتدأ يظهر لتلاميذه أنه ينبغى أن يذهب الى أورشليم ويتألم كثيرا من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ، فأخذه بطرس اليه ، وابتدأ ينتهره قائلا : حاشاك يا رب ، لا يكون لك هذا • فالتفت وقال لبطرس : اذهب عنى يا شيطان ، أنت معثرة لى ، لأنك لا تهتم بالله ، لكن بما للناس » متى ١٦ : ٢١ ـ ٢٣ •

وبطرس هذا قد أنكر سيده ساعة المحاكمة : قال واحد من

عبيد رئيس الكهنة . أما رأيتك أنا معه في البستان ؟ فأنكر بطرس أيضا » (يوحنا ١٨ : ٢٦ ، ٢٧) .

هذا هو خليفة المسيح ، تنكر لسيده ساعة المحنة .

وأراد الذين رأوا الخير على يديه أن يتبعوه أينما يمضي ، فقال لهم : « للثعالب أوجرة ، ولطيور السماء أوكار ، وأما ابن الانسان فليس له أين يسند رأسه » ، (متى ٨ : ١٨ ـ ٢٠) .

وختام الأمر كله قوله تعالى : « **فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ، آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون** » [1] .

٦ ـ المسيح عيسى بن مريم رسول الله :

أراد اليهود أن يقتلوا المسيح رسول الله ، فقال لهم : « لو كنتم أولاد ابراهيم لكنتم تعملون أعمال ابراهيم ، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا انسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله ، هذا لم يعمله ابراهيم » (انجيل يوحنا ٨ : ٣٩ و٤٠) .

ويضرع الى الله في صلواته فيقول : « وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته » ، (يوحنا ١٧ : ٣) .

ويحدد اختصاص رسالته فيقول : « لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل » (متى ١٧:٥) .

ويبين للقوم الذين جاء لأجلهم فيقول : « ينبغي لي أن أبشر المدن الأخرى أيضا بملكوت الله ، لأني لهذا قد أرسلت ، فكان يكرز في مجامع الجليل » ، (لوقا ٤ : ٤٣ و٤٤) .

---

(١) ٥٢ : آل عمران .

ويقول الله العزيز الحكيم فى كتابه الكريم : « **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجت ، وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس** »[1] .

٧ ـ المسيح عيسى بن مريم نبى الله :

أقر فى حزن دفين ألا مكانة له فى وطنه مهما يرفعه الله من درجات ، « وقد سجل هذا متى أحد الحواريين فى انجيله (الباب ١٣ : ٥٤ ـ ٥٨) ، وهذا نصه للاستفادة من مناحيه المتعددة : « ولما جاء الى وطنه كان يعلمهم فى مجمعهم حتى بهتوا وقالوا : من أين لهذا هذه الحكمة والقوات ؟ أليس هذا ابن النجار ؟ أليست أمه تدعى مريم ، واخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا ؟ أو ليست أخواته جميعهن عندنا ؟ فمن أين لهذا هذه كلها ؟ فكانوا يعثرون به . **وأما يسوع فقال لهم : ليس نبى بلا كرامة الا فى وطنه وفى بيته ، ولم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم ايمانهم** » .

ويقول الله عز وجل : « **ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ، ورسولا الى بنى اسرائيل ... الآيات** »[2] .

وكان الشعب ينظر اليه كنبى : « واذ كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع ، لأنه كان عندهم مثل نبى » ، (انجيل متى ٢١ : ٤٦) .

وقالت عنه المرأة السامرية : « أرى أنك نبى » ، (انجيل يوحنا ٤ : ١٩) .

---

(١) ٢٥٣ : البقرة .　　(٢) ٤٨ ـ ٥١ : آل عمران

٨ ـ المسيح عيسى بن مريم رفيع الدرجة عند الله والناس :

لقد ندد المسيح بالكهنة والكتبة والفريسيين والصدوقيين والناموسيين ، ولما دخل الهيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون فيه « قائلا لهم مكتوب ان بيتى بيت الصلاة ، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص » . هذا هو المسيح ، يتهم الجنس البشرى على اختلاف طبقاته بالاثم والمعصية والخطيئة ، ويتحداه بقوله ، « من منكم يبكتنى على خطية ، فان كنت أقول الحق فلماذا لستم تؤمنون » ، (يوحنا ٨ : ٤٦) :

ويؤيد الله هذه الدرجة فى قوله : « **اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين** » [١] .

٩ ـ المسيح عيسى بن مريم مؤيد بالروح القدس :

بين الأنبياء الذين أرسلهم الله لهداية الناس الى الوحدانية ثلاثة يعتبرون أئمة الأنبياء ، هؤلاء جاءوا بالحق يبشرون وينادون بالوحدانية ، ويتشابه هؤلاء فى اعجاز مولدهم ، ونشأتهم ، وتعلق البشر بهم ..

لقد ولد فى مصر نبى من بنى اسرائيل هو موسى عليه السلام ، وكانت مصر فى ذلك الزمان أرض السحرة وكان الله ناصرا ومؤيدا لنبيه بالمعجزات التى سحقت أعمال السحر ، وكانت سببا فى ايمان امرأة فرعون بالله الواحد القهار .

وفى فلسطين ولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ،

---

(١) ٤٥ : آل عمران .

وفلسطين عاصرت عهدين : عهد الدولة الاغريقية التى اشتهرت بالحكمة والطب ، وعهد الدولة الرومانية التى اشتهرت بالبطش والسطوة ، فكان لابد أن تكون تأييدات الله من نوع يستطيع به رسوله ونبيه أن يفحمهم علما وطبا .

وفى الجزيرة العربية ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعرب يمتازون بفصاحة القول وبلاغته . فكان تأييد الله لرسوله الكريم بالقرآن الكريم .

وكأن الله تعالى شاء أن الأرض التى وطئتها أقدام الرسل والأنبياء مثلثة ، زاويتها الأولى مصر ، وزاويتها الثانية فلسطين ، وزاويتها الثالثة الجزيرة العربية .

جاء سيدنا عيسى عليه السلام مؤيدا بالروح القدس ، فجرت على يديه معجزات شفاء المرضى ، وابراء الأبرص ، واحياء الموتى . كل هذا وأكثر منه باذن الله : « قال يسوع : ارفعوا الحجر . قالت له مرثا أخت الميت : يا سيد ، قد أنتن ، لأن له أربعة أيام . قال لها يسوع : ألم أقل لك ان آمنت ترين مجد الله ؟ فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا ، **ورفع يسوع عينيه الى السماء وقال : يا الله ، أشكرك . لأنك سمعت لى ، وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ، ليؤمنوا أنك أرسلتنى** . ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر : هلم خارجا ، فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ، ووجهه ملفوف بمنديل فقال لهم يسوع : حلوه ، ودعوه يذهب » . (انجيل يوحنا ١١ : ٣٩ ـ ٤٤)

ويفترى المسيحيون فى ادعائهم أن المسيح لم يكن مؤيدا بالروح القدس فحسب ، بل هو ذاته الله فى جسد انسان ، وبهذا الادعاء ، وذاك الافتراء باءوا بغضب ولعنة من الله .

« واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق ، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك ، انك أنت علام الغيوب »[1] .

واذا افترضنا ـ جدلا ـ صحة هذا الزعم ، فهل نعد هؤلاء الذين أقاموا موتى آلهة ؟ وهؤلاء هم :

١ ـ ايليا عندما طلب من الله : « يارب الهى ، لترجع نفس هذا الولد الى جوفه ، فسمع الرب لصوت ايليا ، فرجعت نفس الولد الى جوفه فعاش » ، (١ مل ١٧ : ٢١ و٢٢) .

٢ ـ أليشع تلميذ ايليا عندما أقام ميتا « ودخل أليشع البيت واذا بالصبى ميت ومضطجع على سريره ، فدخل وأغلق الباب على نفسيهما كليهما ، وصلى الى الرب ، فعطس الصبى سبع مرات ، ثم فتح الصبى عينيه » ، (٢ مل ٤ : ٣٢ و٣٣ و٣٥) .

٣ ـ بطرس أحد الحواريين أقام ميتة : « فأخرج بطرس الجميع خارجا ، وجثا على ركبتيه وصلى ، ثم التفت الى الجسد وقال : ياطابيثا[2] ، قومى ، ففتحت عينيها ، ولما أبصرت بطرس جلست فناولها يده وأقامها ، ثم نادى القديسين والأرامل ، وأحضرها حية» (أع ٩ : ٤٠ و٤١) .

٤ ـ بولس المدعو رسولا ، أقام ميتا : « وكان شاب اسمه أفتيخوس جالسا فى الطاقة متثقلا بنوم عميق ، واذ كان بولس يخاطب خطابا طويلا غلب عليه النوم ، فسقط من الطبقة الثالثة الى أسفل ، وحمل ميتا ، فنزل بولس ، ووقع عليه ، واعتنقه قائلا : لا تضطربوا ، لأن نفسه فيه .. وأتوا بالفتى حيا ، وتعزوا تعزية » (أع ٢٠ : ٩ ـ ١٢) .

---

(١) المائدة : ١١٦ .

(٢) طابيثا : كلمة أرامية معناها صبية .

هل هؤلاء آلهة ؟ حاشا ، لا هؤلاء ، ولا المسيح عيسى بن مريم آلهة ، بل كلهم بشر ، ويدحض الله القدير هذه الشبهة بقوله تعالى: **« اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون »**[1] .

ويوضح الله حقيقة الأمر بقوله تعالى : **« ورسولا الى بنى اسرائيل »** [2]

وقوله تعالى : **« اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك »** [3] .

وقد بين الحقيقة فى قوله : **« ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على العالمين . وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم . ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون . ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين . هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون »** [4] .

مقارنة بين تعاليم المسيح وتعاليم بولس

لقد كان المسيح عليه السلام رسول الله ، جاء ليحقق ارادة الله وينادى بما نادى به الرسول الكريم **« يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم »** [5] .

---

(١) ٣١ : التوبة (٢) ٤٩ : آل عمران (٣) ١١٠ : المائدة
(٤) ١٦ـ٢٠ : الجاثية (٥) ١٣ : الحجرات

ونطق بذلك خليفة المسيح بطرس اذ قال : « بالحق أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه ، بل في كل أمة الذي يتقيه ويصنع البر مقبول عنده » سفر أعمال الرسل ١٠ : ٣٤ ٠

لقد جاء المسيح بطريقته الخاصة التي ميزت تعاليمه الباهرة ومباحثه الدينية بطابع السمو والبساطة حتى يفهمها لأول وهلة — الزارع ، والصانع ، والمثقف ، والأمي ، والرجل ، والمرأة — دون أدنى اجهاد للذهن ، وها هو ذا يبسط تعليمه لهذه الحقيقة التي قالها الله تعالى : « **وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** » ، فيورد قصة مشهورة ، هي قصة السامري الصالح (انجيل لوقا ١٠ : ٢٥—٣٧) ، وتتلخص هذه القصة في استفسار من ناموسي — وهو الذي يسير وفق تعاليم التوراة تماما — فيسأل : كيف يرث الحياة الأبدية ؟ فيرد عليه المسيح عيسى بن مريم بقوله : ان الدين هو حياة وقوة ، وليس مجرد تعاليم تحفظ ٠ الدين هو أن يعيش المرء في اطار أحكام الشرع لا يتعدى أوامر الله ولا يقترف نواهيه ٠ ونطق المسيح برده المشهور عقب ايراد القصة ٠ وتتلخص في :

١ — كاهن يمر بالجريح الذي سطا عليه اللصوص من قطاع الطريق فيعبر الكاهن دون أن يقدم مساعدة ٠

٢ — لاوى يمر كذلك دون أن يقدم أية مساعدة ، وهذان من رجال الدين ، وعبورهما دون تقديم أية خدمة ينفي قوة الدين فيهما ٠

٣ — سامري (وبين السامريين والاسرائيليين عداوة قديمة وقطيعة في كل شأن من شئون حياتهم) ٠ هذا السامري لم يكن في امتياز اليهود من ناحية الوحدانية ومن ناحية أنهم شعب الله المختار ، ومع هذا قدم اسعافات طيبة ، ومعونة مالية ، وأخذه الى أقرب فندق للعناية به ٠ وهنا يشير المسيح عيسى بن مريم الى أن

الغاية العظمى من الدين ـ هى كمحبة الله ـ ينبغى أن تكون محبة القريب ، ومن هذا القريب ؟ انه ذلك الغريب الذى وقع بين قطاع الطريق ٠

وها هى ذات القصة ، نوردها بنصها : « واذا ناموسى قام ليجربه قائلا : يا معلم ، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ فقال له : ما هو مكتوب فى الناموس ، كيف تقرأ ؟ فأجاب وقال تحب الرب الهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل قدرتك ، ومن كل فكرك ، وقريبك مثل نفسك ٠ فقال له : بالصواب أجبت ٠ افعل هذا فتحيا ٠

وأما هو فاذ أراد أن يبرر نفسه قال ليسوع : ومن هو قريبى ؟

فأجاب يسوع وقال : انسان كان نازلا من أورشليم الى أريحا فوقع بين لصوص ، فعروه وجرحوه ، ومضوا وتركوه بين حى وميت، فعرض أن كاهنا نزل فى تلك الطريق فرآه وجاز مقابله ، وكذلك لاوى أيضا اذ صار عند المكان جاء ونظر وجاز مقابله ٠ ولكن سامريا مسافرا جاء اليه ، ولما رآه تحنن ، وتقدم وضمد جراحاته ، وصب عليها زيتا وخمرا ، وأركبه على دابته ٠ وأتى به الى فندق ، واعتنى به ، وفى الغد لما مضى أخرج دينارين ، وأعطاهما لصاحب الفندق ، وقال له : اعتن به ، ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعى أوفيك ٠ فأى الثلاثة ترى صار قريبا للذى وقع بين اللصوص ؟ فقال : الذى صنع الرحمة ٠ فقال له يسوع : اذهب أنت أيضا واصنع هكذا » انجيل لوقا ١٠ : ٢٥ ـ ٣٧ ٠

هذا هو أسلوب المسيح :

أما أسلوب بولس المدعو رسولا فهكذا « فانى اذ كنت حرا من

الجميع استعبدت نفسى للجميع ، لأربح الأكثرين ، فصرت لليهودى كيهودى ، لأربح اليهود ، وللذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس ، وللذين بلا ناموس كأنى بلا ناموس ، مع أنى لست بلا ناموس لله ، بل تحت ناموس للمسيح ، لأربح الذين بلا ناموس ، صرت للضعفاء كضعيف ، لأربح الضعفاء ، صرت للكل كل شىء ، لأخلص على كل حال قوما » ١ كو ٩ : ١٩ـ٢٢ ٠

لعلك أيها القارىء تلمس فى هذا الأسلوب عمق بولس فى المسائل الفلسفية والمباحث العلمية ، مما لم يرو قط عن المسيح ، ولعلك تتبين أيضا الفلسفة التى تتخلل مباحث رسائله ، وهى ضرب من فلسفة أرسطوطاليس التى كانت شائعة فى أوائل القرون الوسطى فى أوربا ٠

والحقيقة التى لا ريب فيها أن بولس كان على جانب كبير من معرفة الفلسفة اليونانية ، وسمو المدارك ، وقوة الحجة ، وشدة العارضة ، وجلاء البيان ، وقد رأى بعضهم أن مباحثه الفلسفية عن الجسد والنفس من الوجهة الدينية من أسمى ما كتب الباحثون الدينيون ، فمن قوله : « ويحى أنا الانسان الشقى ! من ينقذنى من جسد هذا الموت ؟ » رومية ٨ : ١٤ ـ ٢٥ ٠

هذه الفلسفة فى كتابات بولس ، التى لم ترو قط عن المسيح ، تجعلنى أشك فى أن الانجيل من وحى الله ، وذلك لاختلاف أسلوب الكتابة ما بين السهولة المطلقة والفلسفة العميقة ٠ وفى هذا يقول الله تعالى ليؤكد اعجاز القرآن الكريم : « **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** » ٠

---

(١) ٨٢ : النساء

وليت الأمر اقتصر على هذا ، بل ان كتاباته أصبحت مبادىء يؤمن بها فأى تناقض بين نداء المسيح بالسلام كما أوردت فى القصة آنفة الذكر ونداء بولس فى رسالته الى أهل غلاطية : « اطرد الجارية وابنها ، لأنه لايرث ابن الجارية مع ابن الحرة . اذن أيها الاخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد حرة » غل ٤ : ٣٠ ـ ٣١ .

ولا ريب فى أن ما تعانيه أمريكا اليـوم من التفرقة العنصرية ـ وهى الدولة المسيحية اللاتينية ـ انما هو وليد الايمان بمثل هذه المبادىء التى تناقض ارادة الله القائل : « **ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » . وقول المسيح : « أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم » .

وقد كتبت جريدة الأخبار بتاريخ ١٩٦٢/١/٢٢ فى صحيفة ٦ عمود ٦ حادثا يندى له جبين مدنية عصر الصواريخ . هذا الحادث يتلخص فى طرد وكيل الخارجية الامريكية من مطعم المطار لانه زنجى .

أهذه هى المسيحية التى نادى بها المسيح ؟ ان المسـيح وصى بمحبة القريب مثل محبة الله ، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس ان ربكم واحد ، وأن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر ـ الا بالتقوى ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ، صدق رسول الله .

الباب السابع

الكتاب المقدس والعقيدة المسيحية

« الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه
كما يعرفون أبناءهم ،
وان فريقا منهم ليكتمون الحق
وهم يعلمون » (١)

---

(١) الكتاب المقدس

١ ـ الكتاب المقدس والعهد القديم

(أ) نشأة اللغة العبرية :

ان اللغة العبرية لم تذكر (بالنص) فى الكتب المقدسة ، وهو مايدل على أن هذه التسمية كانت من عمل غير العبريين ، وانما ذكرت فى سفر أشعياء « ١٩ : ١٨ » ـ بلغة كنعان ـ مسماة باسم كنعان حفيد نوح عليه السلام . ثم أطلقوا عليها اسم اليهودية ، جاء ذلك فى سفر الملوك الثانى « ١٨ : ٦ » ، وسفر أشعياء « ٣٦ : ١٣ » .

ولقد ورد هذا الاسم (يهودى) فى سفر نحميا ، الا أنه لم

---

(١) ١٤٦ : البقرة

يذكر الا بعد هجرة العشرة الأسباط ـ هنالك ـ وكان هـذا النعت يطلق على اللغة والأمة أيضا ٠

والفـرق كبير بين لفظى : عبرى ، واسرائيـلى ، لأن عبـرى انما كان ينعت به الشعب قبل ظهور الأسباط فى الأيام الحالية ، أما بعد ذلك فقد أصبحوا يفخرون بالاسرائيلية ٠

على أننا لا نجـد من بين المؤرخين اليونانيـين والرومان مثـل بوزينيوس وطصطيوس ـ وحتى المؤرخ الاسرائيلى يوسيفوس ـ من ذكر اليهود أو سماهم بالاسرائيليين ، بل كلهم يجمعون على تسميتهم بـ (العبريين) ، ومعنى هذا اللفظ مأخوذ من عبر النهـــر كمـا أسلفنا ، أى « نهر الفـرات » ، ثم انهم أضـافوا ياء النسبة عـلى (عبر) فأصبح « عبريا » ، وأول من سمى بهـذا الاسم عشـيرة سيدنا ابراهيم عليه السلام التى جاءت من شرق الفـرات الى أرض كنعان ٠ « ابرام سكن فى أرض كنعان » (١) ٠

والتاريخ يجهل نشأة اللغة العبرية من عهـدها الأول ، وغاية ما يعرفه أنها وليدة أرض كنعان ، وأنها كانت تجـرى عـلى ألسـنة قبائل الكنعانيين والفينيقيين سكان فلسطين قبل أن يسـكن أبنـاء ابراهيم تلك البلاد ٠

وكنعان اسم يشمل كل عشائر الكنعانيين ، سـكان فلسـطين وما تاخمها من بلاد سوريا ـ ذلك الجزء الذى يقع على سـكانه نعت الفينيقيين ، وقد وجد فى آثارهم عملة تشهد بذلك ٠

ومما وقع فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد : كتب ملوك الشام وفلسطين ، رسائل الى فرعون ملك مصر بالقلم المسمارى ، باللغـة

---

(١) تك ١٣ : ١٢ ٠

البابلية . وقد وجد في ثبت هذه الرسائل ألفاظ دخيلة ليست من صميم اللغة في شيء ، فقام الأستاذ « جمن *Gimmun* » بتحقيقها ، وكان أستاذا في دار الفنون في مدينة ليبزج ، فقال ان هذه اللغة هي اللغة العبرية القديمة ، وأجمع العلماء والمحققون على أن الشروح الموجودة في هذه المكاتيب هي أقدم ما عرف من آثار اللغة العبرية .

بيد أن بني اسرائيل ، لم يعرف عنهم أنهم كانوا يسكنون بلاد فلسطين في ذلك العهد ، ولكنهم كانوا أشتاتا في البادية ، بين جزيرة العرب وبلاد فلسطين (١) .

(ب) تطور اللغة العبرية :

أما تاريخ اللغة العبرية فيمر بعصريين :

١ ـ العصر الذهبي :

ويبتدىء من أول نشأة اللغة الى هجرة بابل ، والأسفار التي كتبت في ذلك العهد هي :

التوراة « سفر التكوين ، والخروج ، واللاويين ، والعدد ، والتثنية » ثم الأنبياء ، والمكتوبات « يشوع والقضاه وراعوث وصموئيل الأول والثاني ، والملوك الأول والثاني ، والمزامير ، وأسفار الأنبياء ـ يوئيل وعاموس وهوشع واشعياء وميخا وصفنيا ، وحبقوق ونحميا وناحوم وعوبديا وارميا وحزقيال » .

٢ ـ العصر الفضي :

ويبتدىء من الهجرة الى عهد المكابيين ، أي الى سنة ١٦٠ ق.م ،

---

(١) « واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن بالله واليوم الآخر » البقرة : ١٢٦ .

وفى هذا العصر جرت اللغة الأرامية مع لهجة اليهود فى أرض بابل، ولاكتها ألسنتهم ، لسهولتها وتشابه لهجتها بلهجة اللغة العبرية ، وتجد آثار اللغة الأرامية فى أسفار عزرا ونحميا وأستير ، وأسفار الأنبياء ـ يونان وحجى وزكريا وملاخى ودانيال ، وأيضا فى سفر الجامعة وبعض المزامير التى أضيفت الى مزامير داوود .

(ج) اللغات السامية :

تنقسم اللغات السامية ثلاثة أقسام :

١ ـ اللغة العربية .
٢ ـ اللغة العبرية .
٣ ـ اللغة الآرامية أو السريانية .

١ ـ اللغة العربية :

مركزها الحد الجنوبى من منطقة اللغات السامية الأخرى ، وتنسب لها اللغة الكوشية وهى لغة أهل الحبشة ، وهى مأخوذة من لغة العرب الحميريين وسائر المخطوطات السينائية[١] .

٢ ـ اللغة العبرية :

تشبه اللغات الكنعانية والصورية[٢] .

٣ ـ اللغة الآرامية :

اللغة الآرامية أو السريانية هى لغة أهل الشمال والشمال الشرقى ، وهى المنطقة التى أطلق عليها اسم (سوريت) ، وهذا

---

(١) نسبة الى جبل سيناء .
(٢) نسبة الى صور عاصمة فينيقية .

الاسم أطلق على تلك المنطقة فى عهد الحضارة النصرانية · أما اليهود فيسمونها « كسديت » أو الكلدانية ·

وسميت هذه اللغات بالسامية نسبة الى(شم) وهو سام بن نوح، وكانت اللغات السامية فى ذلك الوقت لغات أهالى فلسطين وفينيقيا وسورية وبين النهرين وأرض بابل وجزيرة العرب ، أعنى المنطقة الواقعة على شواطىء البحر الأبيض المتوسط الشرقية حتى نهر الدجلة ، والواقعة من جبال أرمنيا حتى القسم القبلى من جزيرة العرب ·

(د) طريقة الكتابة :

العبرية تكتب وتقرأ من اليمين الى اليسار كأخواتها من اللغات السامية الأخرى ·

(هـ) قواعد اللغة العبرية :

انتهى عهد كتابة الكتب المقدسة وجاء عهد المفسرين الذين عالجوا تفسير وتبيين ما حوته هذه الأسفار مما استغلق فهمه على الكافة من الناس ، ثم أخذوا من بعد ذلك فى ترجمتها الى اللغات الحية المعروفة فى البلاد التى هاجر اليها اليهود ·

وأقدم الترجمات ـ الترجمة الاسكندرونية التى بدأت فى عهد تلماى فيلدلفيوس للخمسة الأسفار الأولى ، أى التوراة ، وتمت بعد ذلك ـ وهذه الترجمة ، هى الترجمة اليونانية المعروفة بالترجمة السبعينية ·

ثم ترجمت الى اللغة الآرامية ، ثم ظهرت طائفة من علماء اليهود فوضعت الشكل ·

ولما كان القرن العاشر ، بدأ اليهود فى وضع قواعد للغة العبرية محاكاة لما كان من شأن العرب فى وضع قواعد العربية ·

(و) اللغة العربية واللغة العبرية :

الرأى عند المحققين من أصحاب علم اللغات السامية أن نصف اللغة العبرية أقدم من اللغة العربية ، والنصف الآخر أحدث منها· أما النصف الذى هو أقدم ، فهو الخاص بترتيب الجمل · وأما الحديث ، فهو ما يختص بالكلمات والأوزان ، وقد كانت اللغة العربية أسرع وأنشط فى التطور من العبرية ، وأقدر على التعبير ، وأداء صيغ التفكير ، فأوزان الأفعال والأسماء العربية أصح وأمتن منها فى العبرية · وكثيرا ما يشبه العبرى اللغة العربية العامية · خذ مثلا كلمة «عين» (أمثال ١٢:٢٠) « الأذن السامعة والعين الباصرة الرب صنعهما كلتيهما » فأنت تجدها فى العبرية على وتيرة واحدة « عاين » · أما فى العربية فعين وعينا وعين ، وجمع المذكر السالم فى العبرى غالبا (يم) « بطنيم » جمع بطم ، وهى فاكهة فى فلسطين (الفسدق البنرى) « تكوين ٤٣ : ١١ » بخلاف العربى فانه يجمع بالواو والنون والياء والنون ·

أما الثروة اللغوية فان العربية تفضل غيرها من اللغات السامية غنى واتساعا وطلاوة وحلاوة · وهذا ما يفض الاشكال القائم بين اليهود والمسلمين ، فان العرب يقولون : ان لغتهم أقدم اللغات ، وان آدم كان يتكلم العربية ، وكذلك اليهود يزعمون هم أيضا هذا الزعم ، والتحقيق العلمى له الولاية والأمر[1] ·

---

(١) الكنز فى قواعد اللغة العبرية تأليف محمد بدر طبعة سنة ١٩٢٦ ·

(ز) السامريون [1] :

وبهذه المناسبة يجمل أن أذكر شيئا عن السامريين لارتباطهم الوثيق بعلاقاتهم مع الاسرائيليين •

لقد احتدم النزاع بين السامريين واليهود ، فيزعم السامريون أنهم على حق ، وأنهم أصحاب الدين الخالص ، وآيتهم على ذلك أنهم لم يهجروا بلادهم الى بابل كما هاجر الذين يحاجونهم فى ذلك ، بل لبثوا فى أرضهم مقيمين قانتين حفظة كراما للدين •

ويقول اليهود : ليس السامريون على شيء ، وأنهم (اليهود) يعلمون ويوقنون أن أباهم حافظ للدين ، فلا يمسه سوء ، لأنه الحق المبين • وأن الله كان مدركهم وهاديهم فى مهجرهم ، ثم أنهم من بعد ذلك عادوا الى القدس بيت الله وهم على دينهم الحنيف ، قالوا : أما آباؤكم أيها السامريون فقد تزوجوا من نساء وثنيات فاختلط الدم بالدم ، واستبحتم ما حرمنا على أنفسنا ، بل لم تقف بكم الحال عند هذا الحد حتى جعلتم بناتكم حلا للوثنيين تصاهرونهم وتخالطونهم •

ولقد جمع السامريون من التوراة أسفار موسى الخمسة وكانت لهم هذه الأسفار بالعبرية بالخط العبرى القديم ، ورغبوا عن الخط المربع ولم يقبلوا الكتابة به أبدا ، وهو الذى كان يستعمله اليهود بعد هجرتهم الى بابل •

وقد ترجم السامريون أسفارهم الخمسة الى اللغة الآرامية وبلهجة سامرية بعد أن شاعت اللغة الآرامية وذاعت فى بلاد فلسطين •

---

(٢) يوحنا ٤ : ٢٠ « آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل وأنتم تقولون أن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه » •

وأضاف السامريون على الحروف المعروفة عندهم الحروف الحلقية كالمتأخرين من اليهود ·

وأدخل الكتاب السامريون أوزانا وكلمات عبرية فى ترجماتهم ، وهو ما حدا بالعلماء حين قرأوا الترجمة السامرية الى الاعتقاد بأنها خليط من العبرية والآرامية ·

٢ ـ الكتاب المقدس والعهد الجديد

كتب العهد الجديد باللغة اليونانية ، ولكن وجدت فيه كلمات آرامية مكتوبة بحروف يونانية ، كما ظهر أن بعض الانجيل كتب بالآرامى ، ثم نقل من الآرامية الى اليونانية · هذا ماكان من شأن الأناجيل الأربعة : متى ، ومرقص ، ولوقا ، ويوحنا ·

أما رسائل بولس الرسول فقد كتبت باليونانية ·

وقد ترجمت أسفار العهد الجديد الى السريانية ، فأخذ هذه الترجمة نصارى فلسطين وسوريا واستعملوها فى كنائسهم ·

وأناجيل متى ومرقس ولوقا ـ يمكن الاحاطة بها بنظرة واحدة ـ ذلك لأن محتوياتها وحوادثها يمكن ترتيبها فى أعمدة متوازية ، والنظر اليها مجتمعة ، ولهذا يطلق عليها عبارة Symoptic Gospels وقد كتبت باللغة اليونانية الدارجة Greek Koind ، ولم تكن نماذج مصقولة فى النحو أو البلاغة ·

ومن هذه المصادر كانت الترجمة الانكليزية المشهورة والمعروفة بنسخة الملك جيمس King James, Version. والتى أصبحت النسخة المعتمدة للعالم الانكليزى ونالت هذا الامتياز بتبعيتها للملك جيمس ، وهى ترجمة بعيدة كل البعد عن الدقة ·

وترجع أقدم النسخ التى لدى الكنيسة من الأناجيل الأربعة الى القرن الثالث الميلادى . أما النسخ الأصلية فيبدو أنهـا كتبت بين عامى ٦٠ ، ١٢٠ م ، ثم تعرضت بعد كتابتها لتحريف مقصود يراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التى ينتمى اليهـا الناسخ أو المطابقة لأغراضها فى المسائل اللاهوتية لأهداف خاصة ، كما تعرضت مدى قرنين من الزمان الى أخطاء فى النقل .

والنساخ المسيحيون الذين عاشوا قبل نهاية القرن الأول لا ينقلون شيئا قط عن العهد الجديد ، بل كل ما ينقلونه مأخوذ من العهد القديم ، ولسنا نجد اشارة لانجيل مسيحى قبل عام ١٥٠ م.

(ا) انجيل مرقس

يتفق الثقاة من العلماء النقاد على أن انجيل مرقس أسبق الأناجيل الأربعة فى الزمن ، ويؤرخونه مابين عامى ٦٥ ، ٧٠ م . ويقال أن مرقس هو الذى ألف انجيله من ذكريات نقلهـا اليه بطرس .

(ب) انجيل متى

تقول الرواية المأخوذ بها فى التقليد الأرثوذكسى Orthodox tradition : ان انجيل متى أقدم الأناجيل كلها ، ويعتقد ايرونيوس Irenaes أنه كتب باللغة العبرية أى الآرامية ، ويبدو أن هذا الانجيل هو مجموعة آرامية من أقوال المسيح ، والمرجح أن بولس كانت لديه وثيقة من هـذا النوع ، وذلك لأنه لم يتلق الانجيل عن المسيح شأن الحواريين ، فاستعان بهذه الوثيقة لينقل أحيانا كلمات يسوع بنصها [1] ، ولكنه لم يصل الينا الا باللغة

---

(١) كشف جرنفل Grenfell ، وهنت Hunt فى خرائب احدى المدن القديمة فى مصر ruins of oxyrhyrchus فى عامى ١٨٩٧ ، ١٩٠٣ م اثنى عشر fragments of logia =

اليونانية . ويميـل العلماء النقاد الى القول بأن هـــذا الانجيل من تأليف أتباع متى ، وليس من أقوال العشار نفســه ، وأكثر العلماء يرجعون به الى تلك الفترة البعيدة المحصورة بين عامى ٨٥ ، ٩٠ م.

واذا كان الغـرض الذى **يبتغيه متى هو هـداية اليهود** ، فانه يعتمد أكثر من غيره من الحواريين على المعجزات التى تعزى الى المسيح، ويحرص حرصا شديدا ـ يدعو الى الريبة ـ على أن يثبت أن كثيرا من نبواءات العهد القديم قد تحققت فى شخص المسيح .

(ج) انجيل لوقا

والانجيل حسب نص القديس لوقا ـ وهـو النص الذى يعزى عادة الى العقد الاخير من القرن الاول ـ يعلن لوقا فيه أنه يرغب فى تنسيق الروايات السابقة عن المسيح ، والتوفيق بينها ، وانه يهدف الى هداية الأمم [1] لا اليهود .

وأكبر الظن أن لوقا نفسه كان أمميـا [1] ، وانه كان صـديقا لبولس ، وأيضا هو مؤلف لسفر الاعمال [2] .

وقد اقتبس كثيرا من كتابات مرقس كما سبق ، واقتبس منها القديس متى [3] ، فان الانسان يستطيع أن يجد فى انجيـل متى

= بها فقرات تتفق ـ الى حد ما ـ مع فقرات مماثلة لها فى الأناجيل : ولا ترجع هذه البرديات الى ما قبل القرن الثـالث الميـلادى ، وقد تكون نسخا من مخطوطات أقدم منها لا زالت موجودة .

(١) اصطلاح للدلالة على الكفرة .

(٢) Josephus : Antiquities IV. 10.

(٣) Against Apion, p. 456.

ستمائة سند من الستمائة وواحد وستين سندا التى يشتمل عليها النص المعتمد لانجيل مرقص • ويجد أيضا ثلثمائة وخمسين فى انجيل لوقا تكاد تكون هى بنصها فى انجيل مرقص [1] •

بل أكثر من هذا نجد فى انجيل متى كثيرا من الفقرات التى توجد فى انجيل لوقا ولا توجد فى انجيل مرقص ، وهذه أيضا تكاد تكون بنصها •

ويبدو أن لوقا قد أخذ هذه النصوص عن القديس متى ، أو أن لوقا ومتى قد أخذاها عن أصل مشترك لم نعثر عليه بعد •

ويصقل لوقا هذه النقول «الاقتباسات» الصريحة بمهارة أدبية ، تحمل رينان Renan على الظن بأن هذا الانجيل أجمل ما ألف من كتب •

(د) انجيل يوحنا

والانجيل الرابع لا يدعى أنه ترجمة لحياة يسوع ، بل هو عرض للمسيح من وجهة النظر اللاهوتية بوصفه كلمة الله ، وخالق العالم ، ومنقذ البشرية ، وهو يناقض الاناجيل الاخرى Synoptic Gospels فى مئات من التفاصيل ، وفى الصورة العامة التى يرسمها عن المسيح ، وان ما يصطبغ به الانجيل ـ من نزعة قريبة من نزعة القائلين بأن الخلاص لا يكون بالايمان بل بالمعرفة ، وما فيه من تأكيد للآراء الميتافيزيقية metaphysical ideas ـ قد جعل الكثيرين من الباحثين فى الدين المسيحى فى شك من أن واضع الانجيل هو الرسول يوحنا [2] ، ويرجح أن كتابة هذا الانجيل كانت فى القرن

---

(١) Finkelstein L., Akiba, 33.
(٢) Josephus : Wars, Vol. I P. 8, 14.

الاول ، وان كاتبه هو كاتب رسائل يوحنا التى تعرض الافكار نفسها بالاسلوب نفسه .

وخلاصة القول :

وخلاصة القول أن ثمة تناقضا كثيرا بين بعض الاناجيل وبعضها الآخر ، وان فيها نقطا تاريخية مشكوكا فى صحتها ، وفيها من القصص - الباعثة على الشبهة والريبة - تماثل مماثلة واضحة ما يروى عن آلهة الوثنيين ، وكثير من الحوادث التى يبدو أنها وضعت عن قصد لاثبات تحقيق وقوع كثير من النبوءات الواردة فى العهد القديم ، وفقرات كثيرة ربما كان المقصود منها تقرير أساس تاريخى لعقيدة متأخرة من عقائد الكنيسة أو طقس متأخر من طقوسها .

ويبدو أن ما تنقله الاناجيل من أحاديث وخطب - قد تعرض لما تتعرض له ذاكرة الامين من ضعف وعيوب ، ولما يرتكبه النساخ من أخطاء أو « تصحيح وتنقيح للكتابات » .

وان الحواريين - على ما يتصفون به من تحيز وميل مع الهوى ، ومن الاخذ بأفكار معينة دينية سابقة - ليسجلون كثيرا من الاحداث ، كتنافس الرسل على المنازل العليا فى ملكوت الله ، وفرارهم هربا بعد القبض على يسوع ، وانكار بطرس ، وعجز المسيح عن اتيان المعجزات فى الجليل ، واشارة بعض من سمعوا المسيح الى ما عسى أن يكون دليلا على اصابته بالجنون ، وتشككه الاول فى رسالته ، واعترافه بأنه يجهل أمر المستقبل ، وما كان يمر به من لحظات يمتلىء قلبه فيها حقدا على أعدائه ، وصيحة اليأس التى رفع بها

عقيرته وهو على الصليب بقوله : « الهى الهى لماذا تركتنى » [1] .

وان من يطلع على هذه الاحداث لا يشك قط فى أن وراءها شخصية تاريخية حقة ، هى شخصية المسيح عيسى بن مريم ، الذى تنبأ بكل هذا ، بقوله فى انجيل برنابا : « لان الله سيصعدنى من الارض وسيغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد اياى . ومع ذلك فانه حين يموت شر ميتة أمكث أنا فى ذلك العار زمنا طويلا فى العالم ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عنى هذه الوصمة » [2] .

ويتنبأ بقوله فى انجيل يوحنا : « ومتى جاء المعزى ـ الذى سأرسله أنا اليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق ـ فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضا ، لانكم معى من الابتداء » [3]

وعن تلاميذه يتنبأ فى انجيل يوحنا : « هو ذا تأتى ساعة ـ وقد أتت الآن ـ تتفرقون فيها كل واحد الى خاصته ، وتتركونى وحدى ، وأنا لست وحدى لان الآب معى » [4] .

اذن الاناجيل الاربعة هى قصة حياة المسيح وتعاليمه كتبها تلاميذه وتابعوهم .

ثم سفر الاعمال الذى الفه لوقا « الكلام الاول [5] انشأته

---

(١) متى ٢٧ : ٤٦ (٢) برنابا ١١٢ : ٨ ـ ١٨
(٣) يوحنا ١٥ : ٢٦ ، ٢٧ (٤) يوحنا ١٦ : ٣٢
(٥) المقصود انجيل لوقا : « اذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الامور المتيقنة عندنا كما سلمها الينا الذين كانوا من البدء معاينين وخداما للكلمة رأيت أنا أيضا اذ قد تتبعت كل شىء من الاول بتدقيق أن أكتب على التوالى اليك أيها العزيز ثاوفيليس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به » لوقا ١ : ١ ـ ٤

ياثاوفيليس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به»[1] وهو تاريخ الكنيسة ونشأتها بزعامة بطرس وبولس والتلاميذ ، ثم الرسائل ومعظمها لبولس ، وهى خطاباته للكنائس التى كان يبشر فيها فى أوربا وآسيا .

ثم سفر الرؤيا ، وهو سفر نبوى كتبه يوحنا بن زبدى يتنبأ فيه عن مجئ المسيح وامتلاكه للارض مع تلاميذه الاثنى عشر .

٣ ـ الكتاب المقدس والابوكريفا

(أ) انجيل برنابا .

(ب) رسائل اكليمندس .

(ج) ترنيمة العذراء .

(أ) انجيل برنابا

اكتشاف الانجيل

عثر كريمر مستشار ملك بروسيا على نسخة لانجيل برنابا مترجمة الى اللغة الايطالية ، ولما لها من قيمة تاريخية أهداها الى البرنس يوجين سافوى ، ثم انتقلت النسخة مع سائر مكتبة البرنس الزاخرة بالآثار التاريخية والكتب العلمية الى مكتبة البلاط الملكى فى فيينا حيث لاتزال هناك حتى الآن .

وبرنابا حوارى من أنصار المسيح الذين يلقبهم رجال الكنيسة بالرسل ، والذى عرف التلاميذ ببولس بعد ما اهتدى بولس الى

---

(١) أع ١ : ١

المسيحية ورجع الى أورشليم : « ولما جاء شاول الى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ . وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ ، فأخذه برنابا ، وأحضره الى الرسل ، وحدثهم كيف أبصر الرب فى الطريق ، وأنه كلمه ، وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع »[1] .

فلعل التلاميذ ما كانوا ليثقوا ببولس بعد ما كان من عداوته لدينهم لولا برنابا الذى عرفه أولا وعرفهم به بعد ان وثق به .

ومع هذا فقد تنكر بولس لبرنابا ، ولم يحفظ له هذا الجميل ، فاختلفا اختلافا عنيفا : « ثم بعد أيام قال بولس لبرنابا لنرجع ونفتقد اخوتنا فى كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم ، فأشار برنابا أن يأخذا معهما أيضا يوحنا الذى يدعى مرقس ، وأما بولس فكان يستحسن أن الذى فارقهما من بمفيليه ولم يذهب معهما للعمل لا يأخذانه معهما ، فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر ، وبرنابا أخذ مرقس وسافر فى البحر الى قبرس ، وأما بولس فاختار سيلا »[2] .

وانعكس هذا الافتراق فى انجيل برنابا ، فجاء فى مقدمته أن بولس انفرد بتعليم جديد مخالف لما تلقاه عن المسيح ، ومن ذلك : « أيها الاعزاء ، ان الله العظيم العجيب قد افتقدنا فى هذه الايام الاخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمته العظيمة للتعليم والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر ، داعين المسيح **ابن الله** ، ورافضين **الختان** الذى أمر به الله دائما ، **مجوزين كل لحم نجس** ، الذى ضل فى عدادهم أيضا بولس ، الذى لا أتكلم عنه الا مع الأسى ، وهو السبب الذى

---

(١) أع ٩ : ٢٦ ـ ٢٨ (٢) أع ١٥ : ٢٦ ـ ٤٠

لاجله أسطر ذلك الحق الذى رأيته وسمعته أثناء معاشرتى ليسوع ، لكى تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا فى دينونة ، وعليه فاحذروا كل واحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصا أبديا »(١) •

ومع مخالفة تعاليم بولس للحق انتشرت وتأصلت فى الامبراطورية الرومانية اذ صادفت هوى فى نفوسهم وعبادتهم الوثنية التى يعتنقونها من قبل •

موقف الكنيسة من انجيل برنابا

ولعل فى سيطرة تعاليم بولس فى الكنائس وسيطرة شخصيته على التلاميذ ما دفع بعض علماء الغرب الى القول بأن انجيل يوحنا وانجيل مرقس من تأليف بولس كما تحققه دائرة المعارف الفرنسية، وكما يحققه قاموس الكتاب المقدس •

ولهذه الاعتبارات أثرها فى جعل الكنيسة تستبعد انجيل برنابا بمقتضى أمر باباوى أصدره البابا جلاسيوس فى أواخر القرن الخامس للميلاد ، أى قبل بعثة الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم •

تاريخ كتابة انجيل برنابا

يرجع تاريخ كتابة انجيل برنابا باللغة الايطالية الى ما بين منتصف القرن الخامس عشر والسادس عشر ، ومن المرجح أن النسخة الايطالية هى عينها التى اختلسها الراهب فرامرينو من مكتبة البابا سكتس الخامس الذى عاش فى أواخر القرن السادس عشر • ولاسيما

---

(١) مقدمة انجيل برنابا ٢ ـ ٩

أن نوع الورق الذى سطرت عليه النسخة الإيطاليــة انما هو من الورق الايطالى المعروف بالآثار المائية التى فيه والتى يمكن اتخاذها دليلا صادقا على تاريخ النسخة الايطالية .

والى جانب النسخة الايطالية ظهرت نسخة اسبانية فى أوائل القرن الثامن عشر تقــع فى مائتين واثنين وعشرين فصــلا ، وفى أربعمائة وعشرين صفحة ، وقد نقلها الى اللغــة الإنكليزية الدكتور منكهوس أحد أعضاء كلية الملكة فى اكسفورد ، ودفع الترجمة مع الاصل فى سنة ١٧٨٤ م الى الدكتور هوايت أحد مشاهير الاساتذة .

البراهين القاطعة على انتشار انجيل برنابا قبل الاسلام !

ان الامر البابوى ـ الذى أصدره البابا جلاسيوس الذى جلس على الاريكة البابوية سنة ٤٩٢ م ـ يبين أســماء الكتب المنهى عن مطالعتها ، وفى عدادها كتاب يسمى انجيل برنابا ، وفى هذا دليل قاطع على أن هذا الانجيل كان موجودا قبل ظهور الاسلام ، ومشهورا بين خاصة العلماء .

ودليــل ثان هو نوع الورق الذى سـطرت عليه النســخة الايطالية ، الذى هو من الورق الايطالى المعروف بالآثار المائيــة التى فيه ، والتى تدل على تاريخ النسخة الايطالية مما يؤكد شيوعه .

ودليل ثالث بشــأن الزمن الذى كتب فيــه ـ ما ورد « أجاب يسوع أنى حقا أرسلت الى بيت اسرائيل نبى خلاص ، ولكن سيأتى بعدى مسيا (١) المرســل من الله لكل العــالم الذى لأجله خلق الله

---

(١) مسيا كلمة آرامية معناها رسول .

العالم ، حينئذ يسجد لله في كل العـالم • وتنال الرحمـة حتى ان سنة اليوبيل التي تجيء الآن كل مائة سنة سـيجعلها مسيا [1] كل سنة من كل مكان » [2] •

ولعل هذا الدليل يشير الى ركن من أركان الاسـلام ، ألا وهو الحج •

مخالفة انجيل برنابا للأناجيل الأربعة :

يخالف هذا الانجيل الأناجيل الأربعة المشهورة في عدة أمور أهمها :

١ ـ قوله أن يسوع أنكر ألوهيته ، وكونه ابن الله •

٢ ـ ان الذبيح الذى عزم ابراهيم عليه السـلام على تقديمه لله انما هو اسماعيل الابن البكر لابراهيم لا اسحق **وان الموعد لاسماعيل**

٣ ـ ان مسيا ، أو المسيح المنتظر ، ليس هو يسوع بل محمـد وقد ذكر محمدا باللفظ الصريح المتكرر في فصول ضافية الذيول ، وقال أن محمدا رسول الله ، وان آدم لما طرد من الجنة رأى مسطورا فوق بابها بأحرف من نور « **لا اله الا الله ، محمد رسول الله** » [3] •

٤ ـ ان يسوع لم يصلب ، بل حمل الى السـماء ، وان الذى صلب انما هو يهوذا الاسخريوطي الخائن مسلم سيده [4] •

---

(١) مسيا كلمة آرامية معناها رسول •

(٢) برنابا ٨٢ : ١٦ ـ ١٨ •

(٣) يستنكر الباحثون الغربيـون الاشـارة بالنبـوة الصريحة عن محمد صلى الله عليه وسـلم ويتجاهلوا تطبيقهم لنبـوة صريحة عن المسيح في قول أشعياء « ها العذراء تحبل وتلد ابنـا وتدعـو اسمه عمانوئيل ـ اشعياء ٧ : ١٤ » •

(٤) « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » ١٥٧ : النساء

التعليـــق :

ان مسألة محاكمة المسيح وصلبه تتناقض مع حقائق هامة فى سياق ما جاء « بالأنبياء والأناجيل » . فسرد تفاصيـــيل لمخاوف الكهنة والكتبة من أن يسرقوا جدث المسيح من القبر ــ انمـا هو خرافة أحاطت بسيرة المسيح فى قول الـكهنة لبيلاطس : « قـد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حى : أنى بعد ثلاثة أيام أقوم ، فمر بضبط القبر الى اليوم الثالث ، لئلا يأتى تلاميذه ويسرقوه ، ويقولوا للشعب انه قام من الأموات ، فتكون الضـلالة الأخـيرة أشـر من الأولى . فقـال لهم بيـلاطس عنـدكم حراس ، اذهبـوا واضبطوه كما تعلمون . فمضوا وضبطوا القبر بالحراس وختموا الحجر »[1] .

وهذا يناقض رعاية الله لأبنائه وأنبيائه وأصفيائه فى قصـة دانيال فى جب الأسود ، وكيف حماه الله من الأسـود الجائعـة ، فظل بينها وكأنها تحرسه حتى خضع الملك الوثنى للقول «يا دانيال عبد الله الحى ، هل الهك الذى تعبده دائما قدر على أن ينجيك من الأسود ؟ فتكلم دانيال مع الملك : يا أيها الملك ، عش الى الأبد ، الهى أرسل ملاكه ، وسـد أفواه الأسـود ، فلم تضرنى ، لأنى وجدت بريئا قدامه ، وقدامك أيها الملك أيضا »[2] .

وما موقف الكاردينال بيا ــ الذى يتزعم الحركة المؤيدة لاسرائيل وصـاحب وثيقـة « تبـرئة اليهود من دم المسيح » التى نشرت تفاصيلها الأهرام فى ٢/١٠/١٩٦٤ ــ من هـذا السند الذى جاء فى انجيل متى ؟ أيهما أصدق : بحوثه ، أم ماجاء بانجيل متى ؟ .. وما جاء بانجيل متى كما يلى : « وفيمـا هما ذاهبتان اذا قوم

---

(١) متى ٢٧ : ٦٢ ــ ٦٦ (٢) دانيال ٦ : ١٦ ــ ٢٢

من الحراس جاءوا الى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ماكان ، فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا ، وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين : قولوا ان تلاميذه أتوا ليلا وسرقوه ونحن نيام ، واذا سمع ذلك عند الوالى نستعطفه ونجعلكم مطمئنين ، فأخذوا الفضة ، وفعلوا كما علموهم ، فشاع هذا القول عند اليهود الى هذا اليوم »[1] .

٤ ـ الكتاب المقدس والتراجم

(ا) نسخة الفولجاتا :

لقد كان للقديس جيروم الأثر الفعال فى الحركات الاصلاحية ، اذ قام بترجمة العهد القديم من اللغة العبرانية الىاللغة اللاتينية ، وتنقيح العهد الجديد وترجمته من اللغة اليونانية الى اللغة اللاتينية . ويعتبر هذا العمل من أكبر الأعمال الكنيسية ، وتسمى هذه النسخة **بالفولجاتا** .

وظل يعمل فيها حتى وفاته سنة ٤٢٠ م ، وقد كان الكتاب المقدس مغلقا عليه حتى عهد الاصلاح سنة ١٤١٤ م .

وهذه الترجمة قد نقحت فى سنة ١٥٩٢ ، سنة ١٩٠٧ ، ولا زالت تعتبر عمدة التراجم للكنيسة الكاثوليكية ، ومنها كانت الترجمة الانكليزية المعروفة Douai Bible

(ب) نسخة اكسفورد :

وفى سنة ١٣٧٥ م قام جون ويكلف بترجمة الفولجاتا من اللغة اللاتينية الى اللغة الانكليزية ، وعاونه فى ذلك علماء جامعة

---

(١) متى ٢٨ : ١١ ـ ١٥

اكسفورد ، وكان عمله هذا بمثابة الوميض الوهاج الذى أشعل شعلة النهضة الروحية السياسية التى اجتاحت أوربا فى العصور الوسطى حيث طالبت الشعوب المسيحية بترجمة الكتاب المقدس الى اللغة الانكليزية ونشره لتداوله بينهم ، الأمر الذى جعل الكنيسة الكاثوليكية ـ حرصا منها على النسخ المقدسة ـ تستجيب لهذه النهضة ، فكلفت الأسقف تشالور بترجمة الكتاب الى اللغة الانكليزية ترجمة تتفق ومشرب الكاثوليك ، وتمخض الأمر عن نسخة ديوى Douai Bible ٠

(ج) نسخة ديوى Douai Bible :

عكف الأسقف تشالور على ترجمة الكتاب المقدس من الفولجاتا من اللاتينية الى الانكليزية ، وذلك فى منتصف القرن الثامن عشر مع بعض التغييرات الحديثة ، وهذه التغييرات ـ فى اعتبارهم ـ لم تؤثر اطلاقا فى جوهر معانى الكتاب المقدس للمبادىء الأساسية ، وطبع العهد الجديد فى كلية ريمس سنة ١٥٨٢ ، ثم طبع العهد القديم فى كلية ديوى سنة ١٦٠٩ ، وهذه النسخة تشتمل على أسفار الابوكريفا ، وعلى تقديم من البابا ليوس الثالث عشر والبابا بيوس الثانى عشر مع تذييل للاسفار كلها بالتحقيق التاريخى ٠

(د) التراجم الى اللغات الحية :

من هذه النسخ سواء كانت باللاتينية أم بالانكليزية كانت التراجم الى اللغات ومنها اللغة العربية ٠

٥ ـ الكتاب المقدس والخط اللاتينى

ان اللغة اللاتينية تعرضت لتغيرات ضخمة فى مدى قرنين ونصف

قرن ، وهى المدة الواقعة بين (تاكتيوس سنة ٥٥ ــ ١٣٠ م ، وأغسطينوس سنة ٣٥٤ ــ ٤٣٠ م) ٠

ذلك أن انتشار المسيحية فى الغرب خلال هذه الفترة لم ينشأ عنه ادخال ألفاظ جديدة من أصل يونانى فحسب ، بل أدى أيضا الى استحداث كلمات جديدة وتعبيرات لم تكن معروفة من قبل لتلائم الآراء والمعتقدات والطقوس الدينية التى أتت بها المسيحية ٠

وقد نجم عن ذلك تغيير جسيم فى اللغة اللاتينية٠ ويبدو الفارق واضحا بين اللغة اللاتينية الفصحى ــ كما كتبها شيشرون ــ واللغة اللاتينية الجديدة أو الدارجة التى استخدمها كتاب العصر المسيحى منذ عهد ترتوليان سنة ٢٠٠ فصاعدا ، وهكذا انتهى عصر البلاغة والبيان الذى كان يمتاز به الأسلوب اللاتينى ٠

وثمة مظهر آخر من مظاهر التأخر الذى أصاب اللغة ، وبالتالى أصاب أوربا فى ذلك العصر ، هو تدهور مستوى الخط فى الكتابة وفى المخطوطات أو الوثائق الحكومية المعاصرة ٠ ففى العصور القديمة كانت الكتب تدون على مجاميع من أوراق البردى ، ولكنها منذ القرن الأول الميلادى أصبحت تدون على صفحات من الرقائق الجلدية مقطوعة على هيئة مربعات قائمة الزوايا أطلق عليها الكتب المربعة٠ ومعظم المخطوطات التى ترجع الى العصر الميروفنجى أو العصر القوطى من هذا النوع ٠

أما الخط فكان على ثلاثة أحجام ، لكل حجم منها اسم خاص به، وهى :

١ ــ الحروف الكبيرة ، وتسمى : ماجسكيل ٠

٢ ــ الحروف البوصية ، وتسمى : يونيكيل ٠

٣ ـ الحروف الصغيرة ، وتسمى : ماينوسكيل ٠

ولم يلبث أن أدى انتشار الجهل الى فساد الخط ، وتعذر قراءته، فوقع الكتاب بذلك فى أخطاء عدة ، مما أفسد الكتابة افسادا يبدو بوضوح في الترجمة اللاتينية للانجيل فى ذلك العصر [١] ٠

٦ ـ الكتاب المقدس والنسخ الخطية

(أ) نسخة الاسكندرية :

وتشمل أربعة مجلدات ضخمة ، الثلاثة الأولى منهـا للعهد القديم ، والرابع للعهد الجديد ٠ أجمع العلماء على كتابتها فى القرن الرابع الميلادى بمدينة الاسكندرية ٠

(ب) نسخة الفاتيكان :

يؤكد العلامة مونتفكون والعلامة بلانشينى أنها كتبت فىالقرن الخامس ، ولا يشبهها الا نسخة الاسكندرية ، وهى محفوظة الآن فى الفاتيكان بروما ٠

(ج) النسخة السينائية :

اكتشفها العلامة تشيدرف الالمانى ، وقد كتبت فى القرن الرابع، ولهذا الكشف كرر العلامة زيارته لدير سانت كاترين بسيناء سنة ١٨٤٤ م وسنة ١٨٥٦ م ، وأخـذ المخطوطات وأهداهـا الى قيصر روسيا الامبراطور اسـكندر ، وما زالت الى الآن محفوظة بمكتبـة بطرسبرج ، وهناك مخطوطات أخرى فى لبنسيك ٠

---

(١) ص ٨٠ جـ ٢ : من كتاب العصور الوسطى لمؤلفه ج٠و٠طسن المطبوع فى لندن سنة ١٩٣١ م) ٠

(د) النسخة السبعينية :

وهى التى استدعى لها بطليموس فيلادلفيوس سبعين من أحبار اليهود الى مدينة الاسكندرية سنة ٢٨٠ ق٠م٠ ليقوم كل منهم على حدة بترجمة التوراة من العبرانية الى اليونانية ، ثم يقابلوا بعض تراجمهم على بعض ، ففعلوا ذلك ، وأظهرت المقابلة صحة الترجمة٠

(ب) العقيدة المسيحية

١ ـ المسيحية دين الدولة ٠
٢ ـ الآباء وتطوير المسيحية ٠
٣ ـ المجامع الكنيسية ٠
٤ ـ الفلاسفة وتطوير العقيدة ٠
٥ ـ الصليب ٠
٦ ـ براءة الاسلام من هذه الشبهات ٠

---

١ ـ المسيحية دين الدولة

يرجع الفضل فى انتشار المسيحية فى ربوع الامبراطورية الرومانية الى رحلات بولس المدعو رسولا فى آسيا وأوربا ، والى كتاباته التى تحتل المكانة الأولى بين كتابات الحواريين٠

ويرجع الفضل فى تمكين المسيحية من الامبراطورية الرومانية الى اعتناق الامبراطور قنسطنطين المسيحية ، ثم اعترافه بها فى مرسوم ميلان الشهير سنة ٣٣٣ م ، وبهذا وضحت معالمها ، وبرزت تعاليمها ٠

وهذا الانتشار أو التطور جعل المثقفين يأخذون بهذه الأمور متسائلين عن العلاقة بين الله والمسيح ، محاولين تحديد هذه العلاقة كما استفسروا عن طبيعة الملائكة ، وعن المقصود بأن الخبز والنبيذ تحولا الى لحم المسيح ودمه ٠

وسرعان ما احتلت هذه المسائل جانبا كبيرا من تفكير المسيحيين عندما غدت المسيحية دينا رسميا للدولة ٠ وقد أدى هذا الى تطور فى أسلوب الدراسات اللاهوتية، وقيامها على منهاج يقتنع به المثقفون من معتنقى الديانة الجديدة ٠ وقام بهذه المهمة مجموعة من كبار العلماء ومفكرى المسيحية الذين يطلق عليهم لقب آباء ٠

٢ ـ الآباء وتطوير المسيحية

كان هؤلاء الآباء على معرفة بالفلسفة الكلاسيكية ، فأفادوا منها ـ ولاسيما من الآراء الأفلاطونية الجديدة ـ فى تأييد آرائهم ، والتدليل عليها ، وتقديم العقائد المسيحية فى صورة علمية يتقبلها المثقفون ٠

هذا الى أن هؤلاء الآباء عملوا على التوفيق بين تعاليم المسيحية من جهة ومطالب الدولة والكنيسة من جهة أخرى ٠ ومن هؤلاء الآباء وأهمهم :

١ ـ القديس كليمنت الاسكندرى فى القرن الثالث الميلادى
٢ ـ القديس جيروم حوالى (٣٣٠ ـ ٤٢٠ م)
٣ ـ القديس أوريجانوس حوالى (١٨٥ ـ ٢٥٤ م)
٤ ـ القديس أمبروز حوالى (٣٤٠ ـ ٣٩٧ م)
٥ ـ القديس أوغسطينوس حوالى (٣٥٤ ـ ٤٣٠ م)

٣ ـ المجامع الكنيسية

ترتب على الاعتراف بالمسيحية دينا رسميا للامبراطورية الرومانية نتائج بعيدة الأثر فى الكنيسة ونظامها ، وكان الجهاز الذى يحكم شئون المسيحيين روحيا يطلق عليه الكنيسة الكاثوليكية (وكلمة «كاثوليك» كلمة لاتينية ، ترادف «كوزميك» اليونانية ، ومعناها الكونية) ، وكانت الكنيسة فى أيام قنسطنين كنيسة واحدة يتزعمها الامبراطور قنسطنطين ثم بدأ هذا الجهاز يتألف من رجال الكهنوت فحسب ، وكان صراع عنيف بين الأباطرة والباباوات حول الزعامة فى العصور الوسطى ٠

وقد ظهر على رأس الكنيسة بعدئذ خمسة بطارقة فى خمس مدن رئيسية وهى :

١ ـ روما فى ايطاليا ٢ ـ بيت المقدس فى فلسطين

٣ ـ أنطاكية فى الشام ٤ ـ القسطنطينية فى آسيا الصغرى

٥ ـ الاسكندرية فى وادى النيل

وهؤلاء البطاركة يمكن تشبيههم بكبار الرؤساء الاداريين فى الامبراطورية الرومانية « كالولاة » ٠

وكان الجهاز الكنسى يتدرج من القمة الى مستوى الشعب ، بأن يتبع هؤلاء البطارقة مجموعة من رؤساء الأساقفة ، وهؤلاء الرؤساء من الأساقفة يشبهون فى نظامنا السياسى المحافظين ، ويمتد نفوذ الواحدة منهم الى عدة أسقفيات ، وهذه الاسقفيات تشمل الكنائس والأديرة والمدارس والأوقاف الخيرية ٠

وتشمل الأسقفية الواحدة عدة أبروشيات ، على كل أبروشية قسيس راع ، ويتبع الأبروشية الواحدة القساوسة المعلمون

والمبشرون والشمامسة ، ثم ينتهى هذا الجهاز ببسط نفوذه اداريا وروحيا على الشعب ٠

وهكذا ظهر هرم كهنوتى متدرج يشبه الى حد كبير هرم الوظائف الادارية فى الامبراطورية الرومانية ٠

وهذا الجهاز جعل من الكنيسة حكومة ثيوقراطية وراثية ، تستمد نفوذها من المسيح ، فهى بذلك تعتمد على العقيدة المسيحية فى سلطانها وسيطرتها على الشعب ، من الملوك الى المزارعين والعمال

ونجم عن هذا الجهاز الدقيق وعن تشبث رجال الدين بمراكزهم ان كان هناك صراع من أجل النفوذ ، دفعهم الى العمل لاستبعاد كل الشخصيات التى يتوجسون منها خيفة فى اثارة مشاكل أو منافسة على سلطان الكنيسة ٠

ومع هذا التشبث الدنيوى تعرضوا لأخطر مشكلة نجم عنها انقسام المسيحيين ـ بل الامبراطورية الرومانية أيضا ـ الى معسكرين ، وثارت البغضاء الدينية والسياسية بينهما لمدة قرنين من الزمان ٠

هذه المشكلة هى تحديد العلاقة بين المسيح الابن والاله الآب٠

المشكلة التى تعرضت لها الكنيسة :

حدث خلاف جوهرى بين اثنين من رجال الكنيسة بالاسكندرية حول تحديد العلاقة بين المسيح الابن والاله الآب ٠

فقال آريوس ـ وهو أسقف اسكندرى ـ : ان المنطق يحتم وجود الآب قبل الابن ، ولما كان المسيح الابن مخلوقا للاله الآب ،

فهو اذن دونه ، ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن يعادل الابن الاله الآب فى المستوى والقدرة ، وبعبارة أخرى فان المسيح مخلوق لا اله ، بمعنى هذه الكلمة المطلق ، والا فان المسيحيين يصبحون متهمين بعدم التوحيد وبعبادة الهين ٠

وقال أثناسيوس — وهو شماس اسكندرى — (لاحظ أيها القارىء التدرج الهرمى فى الوظائف الدينية) أن فكرة الثالوث المقدس تحتم أن يكون الابن مساويا للاله الآب تماما فى كل شىء ، بحكم أنهما من عنصر واحد بعينه ، وان كانا شخصين متميزين ٠

ويبدو أن الاثناسيوسيين أدركوا أن **المسيحية تعتمد فى دعوتها على مكانة المسيح** ، وأن أى اتجاه للتقليل من شأنه قد يؤدى الى اضعاف الدعوة المسيحية ٠

ومن الواضح أن المذهب الآريوسى كان يتفق مع منطق المثقفين لانه أراد أن يقيم العقائد المسيحية على أساس من المنطق والتعقل فى حين كان المذهب الاثناسيوسى يلائم تفكير عامة الناس من الدهماء الذين يحكمون عواطفهم قبل عقولهم ٠

وحسما للموقف دعا الامبراطور قنسطنطين الى عقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م وفيه صدر قرار بادانة آريوس أسقف الاسكندرية وتوالت بعدئذ الدعوة الى عقد مجامع يحضرها أساقفة المعمورة ليتدارسوا فيها شئون الكنيسة ، وما يرتبط بها من نظام كهنوتى، وعقيدة ، ولاهوت ٠

أشهر المجامع الكنيسية :

ومن أشهر وأهم هذه المجامع — بعد مجمع نيقية آنف الذكر — المجامع الآتية :

١ ـ مجمع صور سنة ٣٣٤ م :

فى هذا المجمع الذى عقده الامبراطور قنسطنطين صـــدر قرار بالغاء قرارات مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م ٠ وصدر قرار بالعفو عن آريوس وأتباعه ، وبقبول تعاليمه ٠

وكان هذا القرار تبرئة للمسيحية من الشرك : « **لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ، وقــال المسيح يا بنى اسرائيــل اعبدوا الله ربى وربكم ، انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار** »[١] ٠

٢ ـ مجمع خلقدونيا سنة ٤٥١ م :

أصبح رابع مجمع مسكونى دينى باغفال مجمع صور سنة ٣٣٤م وفيه اتخذ قرار بأن للمسيح طبيعتين : طبيعــة الهية ، وطبيعــة انسانية ، متحدتين اتحادا وثيقا ٠ وكان هذا القرار فى عهد البابا ليو الأول ويعتبر هذا المذهب بالمذهب الملكانى ٠

٣ ـ مجمع القسطنطينية الثانى سنة ٥٥٣ م :

فى هذا المجمع استصدر قرار بتأييد مذهب الطبيعة الواحدة ، وساند هذا التأييد الامبراطور جستنيان ، ارضاء لزوجته ثيودورا وتنكيلا للبابا فجيليوس ، وتشجيعا ليعقوب براديوس معتنق مذهب الطبيعة الواحدة ، ومؤسس كنيسة اليعاقبــة ، وقــد جاء ذكرهم بكونهم جيرانا يقيمون على مشارف الجزيرة العربية ٠

---

(١) المائدة : ٧٢

٤ ـ مجمع القسطنطينية الثالث سنة ٦٨٠ م :

وقد اتخذ هذا المجمع قرارا بادانة مذهب الطبيعة الواحـدة ، فكان هذا نقضا لقرار سنة ٥٥٣ م •

٥ ـ مجمع نيقية الثانى سنة ٧٨٧ م :

وقـد اتخـذ قرارا بادانة اللاأيقونيـة •

٦ ـ مجمع القسطنطينية الرابع سنة ٨٦٩ م :

ويعتبر هذا المجمع نقطة الانقسام الكنسى ففيه اتخذ قرار بادانة البطريرك فسوتيوس وعزله • ومن هذا الوقت بدأ الانشقاق المذهبى بين الشرق والغرب وانتهى بالانقسام التام بين المسيحيين • اذ تكون على أثره كنيستان :

كنيسة شرقية : أطلق عليها أرثوذكسية ، وتعنى مستقيمةالرأى وقاعدتها القسطنطينية •

وكنيسة غربية : بقيت على اسمها كاثوليكية ، وقاعدتها روما•

هذا بالاضافة الى مجمع كونستانس سـنة ١٤١٤ م وسـنة ١٤١٨ م ، ومجمع بازل سنة ١٤٣١ م •

وهذه المجامع دعا اليها رجال الاصلاح الكنسى ، لما رأوا عليه الكنيسة الكاثوليكية من الانحراف عن الكتاب المقدس •

وكان لهذه المجامع القوة الفعالة فى حركة لوثيروس فى أكتوبر سنة ١٥١٧ م ، ولوثيروس راهب كاثوليكى أستنار بنور الكتـاب المقدس ، وكان هذا النور بمثابة الوميض الذى كشف سـوء حالة الكنيسة والاكليروس وانحرافهم عن الحق ، فندد بصكوك الغفران وكان من الجرأة الى حد أنه عرض حياته للحرمان الكنسى وغضـبة

البابا عليه ، وعرض جسده للموت حرقا ، كان من الجرأة أن الصق معلقته المشهورة والمشتملة على ٩٥ بندا كلها تنديد بالكفر والضلال٠

ولم يقف البابا ليو العاشر مكتوف اليدين ، بل استصدرحكمين ضد هذا الراهب ، الحكم الأول بالحرمان من الحياة الأبدية والحكم الثانى باعدامه حرقا بالنار ٠

وفي وسط هذه الغضبة العارمة كان الشباب الالمانى سباقا الى انقاذ حياة هذا الراهب ، والايمان بمبادئه ، والضرب بأحكام البابا ليو العاشر عرض الحائط ، وكان هذا التصرف بمثابة التفجير الذرى الذى أصاب الكنيسة الكاثوليكية بتصدع عنيف لم تسكت عليه مدى الأيام ، فوقعت الحروب المذهبية الدامية والاضطهادات التى يندى لها جبين الانسانية ٠

ومع هذا فقد انسلخت كنيسة ثالثة أطلق الناس عليها الكنيسة البروتستانتية (أى المحتجة) ٠ وهكذا لم ينصرم عام ١٥٢١ م حتى كان على الأرض ثلاث كنائس كبرى :

١ ــ الكنيسة الكاثوليكية ، وقاعدتها روما ٠

٢ ــ الكنيسة الأرثوذكسية ، وقاعدتها القسطنطينية ٠

٣ ــ الكنيسة البروتستانتية ، وقاعدتها ألمانيا ، ثم انتقلت الى انجلترا ثم الى الولايات المتحدة ٠

ومع تعدد هذه الكنائس الكبرى كانت كل كنيسة منها تنقسم على نفسها الى عدة مذاهب ، وكل مذهب له تفكيره الخاص فى الايمان ، وكل مذهب له أنصاره ٠

٤ – الفلاسفة وتطوير العقيدة :

١ – كليمنت الاسكندرى (١٥٠ – ٢١٥) وأوريجانوس (١٨٥ – ٢٥٤ م) :

وقد تزعم هذان فلسفة مسيحية منظمة ، مقرها الاسكندرية . واعتمدا فى طريقتهما على أسس مستقاة من الفلسفة الأفلاطونية .

وقد قال فرفريوس (٢٣٢ – ٣٠٤ م) عن أوريجانوس : انه مسيحى فى أسلوب حياته ، ولكنه يونانى فى تفكيره ومنطقه .

وقد عاش أوريجانوس فى الاسكندرية ابان نهضتها العلمية ، حيث كانت تتلاقى فيها الفلسفة اليونانية ، والمانوية ، والفيثاغورية والمسيحية ، فضلا عن عقائد قدماء المصريين ، والمذاهب الشرقية المستوردة من الهند وفارس والصين .

وعلى الرغم من الاعتراف بأوريجانوس أبا من الآباء – الا أن تشبعه بالفلسفة اليونانية أدت الى اتهامه بالهرطقة التى أدانه بها مجمع القسطنطينية فى القرن السادس .

على أن تيار الأفلاطونية استمر فى تدفقه وتأثيره فى الفكر المسيحى فى القرن الرابع ، ولم يلبث أن انتقل الىالغرب عن طريق جريجورى أسقف نيسا سنة ٤٠٠ م تقريبا ، فالقديس أمبروز أسقف ميلان سنة ٣٩٧ م تقريبا .

٢ – ديونسيوس الأريوباغى :

ظهر فى القرن الخامس الميلادى ، وكان قاضيا بمحكمة أثينا العليا ، وله التأثير الفعال فى تدعيم وتطعيم الفكر المسيحى بالآراء الأفلاطونية .

ومن آثاره : « اللاهوت الصوفى » أى العلم بالله وبكل الأمور الالهية علما ذوقيا تجريبيا ٠

٣ ـ القديس أوغسطينوس (٣٥٤ ـ ٤٣٠ م) :

ومن آثاره أنه وضح مذهب القضـــاء والقدر ، ومذهب حـرية الانسان ٠

٤ ـ بيوثيوس (٤٧٥ ـ ٥٢٤ م) :

وهو من أسرة رومانيـــة شريفــة ، تدرج فى منصب الوزارة لثيودريك ملك القوط الشرقيين فى ايطاليا ٠

ومن آثاره الرسائل التى كتبها فىاللاهوت ، ولخص فيها مبادىء الثالوث ، وتجســد الأقنوم الثانى ، وتتفـق مبـادئه مع الخطوط العريضة لعلم الأخلاق الأفلاطونى ٠

٥ ـ الصليب

« وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ٠ وان الذين إختلفوا فيه لفى شك منه ، ما لهم به من علم الا اتباع الظـن وما قتلوه يقينا ٠ بل رفعـه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما » (١) ٠

(١) قصة الصليب وفلسفته :

هذه الشبهة لها ماض سحيق ، يعود الى أيام سيدنا موسى بين بنى اسرائيـل فى « برية سـيناء اذ تمـردوا على الله وتنكروا له ، فعاقبهم الله بالحيـات والعقارب » ٠ ولما صرخوا الى موسى يطلبـــون الخلاص من هـــذه الضربات أمره الله عز وجل بأن يصـــنع حيـة

---

(١) النساء : ١٥٧ ٠

نحاسية ، ويعلقها على طرف خشبة ، ويأمر التائب من بنى اسرائيل بأن يرفع وجهه لينظر اليها ، فيشفى » ٠

لكن الأجيال توارثتها كعقيدة بقوة الرغبة فى الخلاص فى هـذه الحية النحاسية ، وضاع الحق بالباطل ٠

وظل بنو اسرائيل يقيمون لهذه الحية الأنصـاب على المرتفعـات حتى جاء حزقيا بن آحاز ملك يهوذا ٠ وأراد أن يعمل ما هو مستقيم أمام الله ، « فأزال المرتفعات ، وكسر التماثيل ، وقطع الصـوارى ، وسـحق حية النحاس التى عملها موسى ، لأن بنى اسرائيـل كانوا الى تلك الأيام يوقدون لها ، ودعوها نحشتان » [١] ٠

هذا هو التاريخ الكتابى لاقامة الصليب بمثابة الاله ، من موسى سنة ١٤٠٠ ق٠م ، الى حزقيا سنة ٥٣٨ ق٠م ٠ وظلت هذه العبادة قائمة رغم أن الوصـية الالهية الثانية من الوصـايا العشر تنهى عن هذا ٠ « لا يكن لك آلهـة أخـرى أمامى لا تصـنع لك تمثـالا منحوتا ٠٠ [٢] » ٠

(ب) التاريخ السياسى للصليب :

يحدثنا عنه السير آرثر فندلاى فى كتـابه الكون المنشـور * صحيفة ٥٨ « ان اكتشاف النار كان من أهم الاكتشافات التى وصل اليها الانسان الأول فى سابق العصور ٠ لقد وجد أنه يمكنه توليـد هذه النار باحتكاك قطعتين من العصى ، ولما شاهد هذا اللهب العجيب سحر به ، وبهت الى درجة أنه عبده ، ومن ثم كانت عبادة النار » ٠

---

(١) الملوك الثانى الباب ١٨ : ٤ ٠

(٢) خروج ٢٠ : ٣ ـ ٤ ٠

* ترجمة : دكتور ع ٠ ع ٠ راضى ٠

واسرائيــل الأمة الموحــدة ـ وهى تعيش بين هؤلاء الأقوام ـ توارثت عنهم الكثير ٠

ولقد جاء ذكر العصوين بمواصفات أوحى الله بها الى عبده موسى بقوله : « وتصنع عصــوين من خشب السنط وتغشيهما بنحاس ، وتدخــل عصــوين فى الحلقات ، فتكون العصوان على جانبى المذبح حينما يحمل [(١)] » ٠

فأصبح أمر العصوين لاسرائيل مزيجا من الأمر الالهى والعبادة الوثنية ، فالعبادة الوثنية جعلت لتقريب الاله ـ الذى يتعبدون له ـ أن ترمز اليه بعصوين متعامدتين على شكل صليب ٠

وعلى هــذا أصــبح الصليب رمزا للحيــاة والتضحية منذ آلاف السنين ٠

وهذا الرمز وجد منقوشــا على الألواح الحجرية الموضــوعة فوق القبور البالغة القدم ٠

ولقد شغل الصليب مكانة دينية مرموقة فى مصر وفى آشور ، والفرس ، والهند ٠

ويقــال : ان الامبراطور قنسطنطين قد اتخــذه رمزا للايمــان المسيحى نقلا من المحورين المتعامدين للمجموعة الشمسية التى كانت جيوشه قد جاءت بها من بلاد الغال رمزا لعبادتهم الشمس ٠

وعلى هــذا يكون الصليب رمزا دينيــا قديما جــدا ، لا يمت الى المسيحية بصلة ٠

ويقــول الســير آرثر فندلاى * أيضــا فى كتابه صــخرة الحــق صحيفة ٧٢ : « حتى سنة ٦٨٠ م لم تكن الفكرة قد تبلورت حــول

---

(١) خروج ٢٧ : ٦ و ٧ ٠

* ترجمة : دكتور ع ٠ ع ٠ راضى ٠

الرمز الذى يعطى لصلب عيسى ، وقبـــل ذلك كان يرمز بحمـــل للمخلص مذرا ، فاستبدل عندئذ الحمل برجل مربوط الى صـــليب (ومذرا) هو المسيح المخلص للفرس سنة ٤٠٠ ق٠م ٠

ثم يستأنف السـير آرثر فندلاى * حديثه فى صـحيفة ٤٣ من نفس المرجع فيقول : « ولقد استـخدم الصليب منذ آلاف السـنين كعلامة على الحياة ، ففى مصر القديمة الفرعونية كان الصليب يستخدم كمركز للحياة ، حتى أنه وجد فى مدينة الأقصر بالجمهورية العربية المتحدة على جـدار معبد الأقصر كتابة قديمة تبشر بالأم العـــذراء ، والروح القدس المصرى كان يرسم قابضا على صليب أمام وجه الأم العذراء ، وفى المنظر بعد ذلك يصورونها وقد وضـعت طفلا الها ، وفى اليونان كان الصـليب يسـتخدم كمركز للحب والتضحية ٠ وكذلك الأمر فى التبت والهند » ٠

ويسترسل السـير آرثر فندلاى * فى كتابه (الكون المنشور) صـحيفة ٧٨ فيقول : « ان قصـة الصليب قيلت قبـل عيسى على الستة عشر الها مخلصـا ، وقصص حياتهم عـلى الأرض من المهـد الى اللحـد ثم البعث ـ كلهـا متشـابهة ، وكان كل ديانة ترث من سابقتها » ٠

ونتيجة لهذا نشـأت فكرة الفـداء ، فأولئك الذين يعبـدون الشمس كانوا يقدمون آلاف الضحايا للشمس ، وكان هذا العـــدد يتضـاعف عنـدما يحـــل الكسوف ، اذ كانوا يعتقـدون أن الاله الشمس غاضب ، أو أنه غير راض عـلى عباده ، وكانوا يعتقـدون عندما ينتهى الكسوف أن السبب فى انتهائه فداء أحد زعماء القبيلة للشـعب ، بتقديم نفســه ضـــحية ، وبهـــذا يعتبر ذلك الزعيم مخلصهم ومسيحهم ، ويعتبر شخصا الهيا ، حمل على نفســه عذاب شعبه ٠

---

* ترجمة : دكتور ع ٠ ع ٠ راضى ٠

وعلى هذا المنوال أحاطت بالمسيح عليه السلام مثل هذه الضلالات ، اذ قيل : أنه قد حصل على الأرض ظلام ، « ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض الى الساعة التاسعة » (١) .

وبذلك كان موته ـ كما يحققه التلمود اليهودى ـ على الطريقة المنصوص عنها فى التوراة ، بحيث رجم بالأحجار ، ثم علق جسده على شجرة • وحيطت هذه الحادثة بخرافات ومعتقدات الأقدمين الذين أنشأوها رغبة فى تهدئة الههم الشمس فى وقت الكسوف •

وليس هذا بعجيب ، فان كهنة الهند قالوا ـ فى مطلع سنة ١٩٦٢ ـ ان القيامة لابد أن تقوم ، وفسر علماء الفلك قولهم هذا بحقيقة وجود الشمس والقمر والأرض على خط واحد ، ولولا عناية الله وحفظه لخلقه لحل الدمار بالعالم ، باختلال الجاذبية التى تحفظ توازن كل كوكب من هذه الكواكب فى مساره ، ومع هذا حفظ الله الأجرام فى أفلاكها دون فقدان جاذبيتها التى تحفظها سابحة فى أفلاكها •

وأصبح الصليب معبود الأقدمين رمزا للمحورين المتعامدين للمجموعة الشمسية ، وينبغى تقديم الفدية حتى لا يقع كسوف شمس كما أشرت آنفا •

ثم أصبح الصليب فى سنة ٦٢٢ م وفى عهد الامبراطور هرقل رمزا للجيوش الصليبية ، وكان ذلك عند استيلاء الدولة الفارسية الساسانية على فلسطين وبيت المقدس سنة ٦١٧ م اذ أعد الامبراطور هرقل جيشا صليبيا لاسترداد الصليب الأعظم من يد الدولة الفارسية الساسانية الغاصبة •

---

(١) انجيل لوقا ٢٧ : ٤٥

ويبدو أن وجهة نظر الامبراطور فى تعبئة جيش صـليبى كان محاولة يائســة لرد هجوم الفـرس الذين لم يبقوا له من أملاكه سوى القسطنطينية ، وكانت هذه العلامة القوة الدافعة للنصر الرائع٠

ثم قامت الجيوش الصليبية بتنظيم حملات صليبية ضد جيوش المسلمين من سنة ١٠٩٧ ـ ١٢٥٠ ٠ هذه الحملات السبعة التى انتهت أمرها بانتصار صلاح الدين الأيوبى انتصارا رائعا سنة ١١٨٧ م ، واستيلائه على بيت المقدس ، وتطهيره من تلكم الجيوش الغاشـمة وبأسر لويس التاسع ملك فرنسا بالمنصورة سنة ١٢٥٠ م ٠

هذه هى قصة الصليب من حيث التاريخ الكتابى ، ومن حيث التاريخ السياسى ٠

هذه هى قصة الصليب التى أصبحت عقيدة ورمزا للمسيحيين٠

هذه هى قصة الصليب التى مجدها بولس المدعو رسولا ، وجعلها موضع كرازته وتبشيره بقـوله : « لأنى لم أعزم أن أعرف شـيئا بينكم الا يسوع المسيح واياه مصلوبا » (١) ٠

(ج) التاريخ الدينى للصليب :

١ ـ الشعب اليهودى يجـد مسيح الله ٠ فكيف يتأتى له أن يصلب المسيح عيسى بن مريم ؟

٢ ـ التلاميذ ينظرون اليـه كابن الله ، فكيف يتخـلى عنه الله وينادى بقوله المأثور « الهى الهى ، لماذا تركتنى ؟ » (٢) ٠

٣ ـ التباس الحوادث مما ينفى حادث الصلب عن المسيح ، وان كان قد حدث حقيقة فمن هو المصلوب ؟

---

(١) ١ كو ٢ : ٢ (٢) متى ٢٧ : ٤٦

٤ ـ موقف القرآن الكريم من هذه الفرية ، وهل الله العـــزيز الحكيم تعوزه الوسيلة لمغفرة الخطايا ؟

---

١ ـ الشعب اليهودى يمجد مسيح الله :

ان الشعب اليهـودى ـ وهو الشعب الموحـد بالله ـ يخشى الله ويخشى مسيح الله ويؤيد هذا الصراع المريع بين شـاول الملك فى مطاردته لداود النبى بغية قتله والتخلص منه • ويشـاء الله القدير أن يقع شاول فى قبضة داود الذى هرب الى الجبال ليحتمى من سطوة وبطش الملك • لقد وقع شاول الملك ثلاث مرات فى قبضـة داود ، وفى كل مرة كان يصفح عنه داود •

١ ـ « قال ابيشاى لداود : قد حبس الله اليوم عدوك فى يدك فدعنى الآن أضربه بالرمح الى الأرض دفعة واحدة ولا أثنى عليه ، فقال داود لابيشـاى : لا تهلكه ، فمن **الذى يمد يده الى مسيح الرب ويتبرأ** ، وقال داود : حى هو الرب ، ان الرب سوف يضربه ، أو يأتى يومه فيموت ، أو ينزل الى الحرب ويهلك ، **حاشـا لى من قبل الرب أن أمد يدى الى مسيح الرب** •• فقال شاول قد أخطأت » [١] •

وهـذا التصرف من داود النبى ، هو التصرف السـليم الذى تتحقق به ارادة الله (العفو عند المقدرة) ، والذى يقهـر الخصـم فيجبره على الاعتراف بخطئه كما اعترف شـاول الملك بقوله لداود عليه السلام قد أخطأت •

---

(١) ١ صم ٢٦ : ٨ ـ ٢٥ •

وعلى هذا نتبين أن الرسالة واحدة ، رسالة الله ، وكلمة الله هى واحدة ، والهدف واحد ، وهو الاشـارة الى ملك الكون ، الله جـل جلاله • وانما تختلف الطريقة وتتلون الحقيقة فى أعين النـاس على حسب اختلاف عقولهم وأزمانهم ، واذا كان عيسى أو موسى أو محمد ــ صلوات الله عليهم أجمعين ــ رسل الله يبشرون بالكلمة ، فان الله جل جلاله من ورائهم جميعا ، وأنبياء الله كمثل الكهرباء التى تسرى فى المصابيح الكهربائية ، فتشع بالضياء ، أو تسرى فى المحركات الآليـة ، فتولد الحـركة ، هـــذه الكلمة لا يمكن أن تســـير بدون أضوائه المتلألئة فى كل ســماء ، وان كانت تحجبها أحيانا سحب من صنع البشر •

٢ ــ التلاميذ ينظـرون الى المسـيح عيسى بن مريم كابن لله فكيف يتخلى عنه الله ؟

لقد ذكر الحوارى متى فى انجيله قصة التجلى للمسيح عيسى بن مريم فى الباب ١٧ : ١ ــ ٨ ، وهذا نصها للفائدة التاريخية : «وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه ، وصـــعد بهم الى جبل عال منفردين • وتغيرت هيئته قدامهم ، وأضـــاء وجهــــه كالشمس • وصارت ثيابه كالنور • واذا موسى وايليا قد ظهرا لهم يتكلمان معه ••• وفيما هو يتكلم اذا سحابة نيرة ظللتهم ، وصوت من الســـحابة قائلا : هــذا هــو ابنى الحبيب الذى به سررت له اسمعوا • ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جدا ، فجاء يســوع ولمسهم وقال : قوموا ولا تخافوا ، فرفعوا أعينهم ولم يروا أحداً الا يسوع وحده » •

والأمر الى هذا الحد لا يعدو أن يكون قصة جميلة ، لكن الأمر الخطير فى هذه القصة هو وصـية المسيح لهـؤلاء التلاميذ الثـلاثة بقوله : « لا تعلموا أحدا بما رأيتم » • (متى ١٧ : ٩) •

ولنقابل هذه الحادثة بأخرى مماثلة مع اختلاف الحالة العاطفية من المجد الى الموت ، ومن البهجة والسرور الى الكآبة والحـــزن ، وهاهي ذي القصـــة الثانية ، وقد وردت في الأناجيل الثـــلاثة : انجيـــل متى ٢٦ : ٣٦ ـ ٤٦ ، وانجيـــل مرقس ١٤ : ٣٢ ـ ٤٢ ، ثم انجيل لوقا ٢٢ : ٣٩ ـ ٤٦ .

والقصة كما وردت في انجيل لوقا : « وخرج ومضى كالعادة الى جبل الزيتون ، وتبعه تلاميذه أيضا . ولما صار الى المكان قال لهم صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة ، وانفصل عنهم نحو رمية حجر ، وجثا على ركبتيه وصلى قائلا : يا أبتاه ، ان شئت أن تجيز عني هذه الكأس ، ولكن لتكن ، لا ارادتي ، بل ارادتك . وظهر له ملاك من السماء يقويه . واذ كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة ، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الارض ، ثم قام من الصـــلاة وجاء الى تلاميذه ، فوجدهم نياما من الحزن ، فقال لهم : لماذا أنتم نيـــام ؟ قوموا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة » .

٣ ـ التباس الحوادث مما ينفي حادث الصلب عن المسيح

هذه هي القصة ، ومنها نستخلص كينونة المسيح عيسى بن‌مريم كانسان بشر ، يصلي في جهـــاد ، فينزل ملاك من السماء ليقويه ويشد من أزره ، ثم يعود الى تلاميذه ، فيجدهم ساعة هذه التجربة العظمى نياما .

ومن هنا حدث لبس في شخصية المصلوب .

(١) كان مع تلاميذه ساهرا يصلي ، وأولئك كانوا في سبات عميق نائمون .

(٢) ويتقدم يهوذا الاسخريوطى الجمع الذى يريد القبض عليه وينطق المسيح بمثله المشهور « أبقبلة تسلم ابن الانســان ؟ » [١] تقدم الجمع الذين جاءوا بمشاعل ومصابيح وسلاح ، ومن هذا يتبين أن الوقت كان ليلا دامسا « جاءوا بمشاعل ومصابيح » ٠

(٣) واذا كان الله قد وهب له ملكا ليقويه أثناء الصلاة أفما كان الأولى به أن يحقق قول المسيح : « لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يجاهدون لكى لا أسلم الى اليهود ، لكن الآن ليست مملكتى من هذا العالم » [٢] ٠

بل أكثر من هذا يتبين ـ بقراءة النص الآتى من انجيل متى ٢٧ : ٦٢ ـ ٦٦ ـ تلك الخدعة الكبرى لموضـوع القيامة على أثر الخدعة الصغرى بالصليب ، وهذا هو النص : « وفى الغد الذى بعد الاستعداد اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون الى بيلاطس قائلين : يا سيد ، قد تذكرنا أن ذلك المضل قال ـ وهو حى ـ : أنى بعد ثلاثة أيام أقوم ٠ فمر بضبط القبر الى اليوم الثالث ، لئلا يأتى تلاميذه ليلا ويسرقوه ، ويقولوا للشعب : انه قام من الأموات ، فتكون الضلالة الاخيرة أشر من الاولى ٠ فقال لهم بيلاطس : عندكم حراس ، اذهبوا واضبطوه كما تعلمون ٠ فمضوا وضبطوا القــبر بالحراس ، وختموا الحجر » ٠

هذه الفقرة يتبين منها النية المبيتة لرسول الله ، حوله تلاميذ لا حول لهم ولا قوة ، حوله تلاميذ تركوه عند المحنة ، فهذا يهوذا يسلمه ، وذاك بطرس ينكره ، وبقية التلاميذ قد تخلو عنه ساعة المحاكمة ان كان حقا هو الذى حوكم ، والحقيقة أنه لم يحاكم ، ولم يصلب ، ولم يرقد فى قبر ، ولم يقم من بين الأموات ، انما كانت

---

(١) يو ١٨ : ٣

(٢) يو ١٨ : ٣٦

الواقعة تدور فى فلك يهوذا الذى أراد الله له تنكيلا ، جزاء خيانته، ورفع نبيه اليه ، وفى هذا قال برنابا الحوارى :

« فلما كان الناس قد دعونى الله ، وابن الله ، على أنى كنت بريئا فى العالم أراد الله أن يهزأ الناس بى فى هذا العالم بموت يهوذا ، معتقدين أننى أنا الذى مت على الصليب ، لكيلا تهزأ الشياطين بى فى يوم الدينونة ، وسيبقى هذا الى أن يأتى **محمد رسول الله الذى متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله** » .

ثم نجد أن هيرودس الملك يأبى أن يقتل نبى الله بقوله : « ولما أراد أن يقتله خاف من الشعب ، لأنه كان عندهم مثل نبى » ، (متى ١٤ : ٥) ، وبيلاطس الوالى الرومانى يتبرأ من هذا الذنب العظيم بقوله : « انى برىء من دم هذا البار ، أبصروا أنتم » [١] .

١ ـ **أهو الله ؟** ان كان كاله خلص آخرين ، أما كان الأولى به أن يخلص نفسه (متى ٢٧ : ٤٢) .

٢ ـ **أهو نبى ومسيح الله ؟** ان الشريعة الموسوية تحرم القتل اطلاقا ، وقتل الأنبياء خاصة ، فكيف يستقيم هذا الادعاء مع كونه نبيا .

٣ ـ **أهو انسان مجرد من تاييد الروح القدس له ؟** وهنا يجوز أن يقتل لو كان هناك أسباب قانونية تدفع الى القتل اقتصاصا ، والمسيح عيسى بن مريم كان رسول الله ونبيه الممسوح بالروح القدس ، الذى قال: « ان الله يقدر أن يرسل اليه جيشا من الملائكة

---

(١) متى ٢٧ : ٢٤

لحمايته والله لن يتخلى عنه » وفى حادثتى التجلى وجثيسمانى انفرد بتلاميذه على الجبل تراءى له فى الأولى أنبياء الله « ايليا وموسى » ، وفى الثانية ملائكة الله ، ولعل فى حادث القبض عليه قد ظلله الله بسحابة ، ورفعه اليه ، ولم يبق الا يهوذا الذى شاءت العناية الالهية أن يكون بديلا للمسيح للموت اللعين والقرآن وحده يحسم الأمر من الصليب ·

٤ ـ موقف القرآن الكريم من الصليب :

قال تعالى : « **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم · وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما** »[١] ·

أيها القارىء المسلم ، يجب عليك أن تشكر الله بالغداة والعشى على ما وصلت اليه من هداية وتوفيق · وأنت أيها القارىء المسيحى لعلك اقتنعت بأنك تعيش فى طلاسم ، تشرك بربك ، وتقيم من الانسان ندا لله ، وتجعل من هذا الانسان كبشا للفداء لترضية الله · خبرنى بربك ، أى اله هذا الذى تعتقد أن له الملك والسلطان ترضيه هذه الذبائح أيرضيه ذبح انسان برىء ؟ انها المسيحية التى تطورت ، وأخذت من الوثنية الاغريقية ، والوثنية الفرعونية، والوثنية الفارسية ، والوثنية الهندية ، انها خليط من عقائد وثنية لحضارات أمم قد اندثرت ·

وفى هذا الظلام الدامس ـ أيها المسيحى ـ يتألق القرآن الكريم ، ليكشف لك عن الله عز وجل فهذا هو الله الذى يخبرنا عنه الرسول فى كلمة الله ، فى القرآن الكريم :

---

(١) ١٥٧ : النساء

« قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم » [1] .

فاذا كان النصارى يعتبرون موت المسـيح بن مريم لغفران الخطايا فهذا اعتبار فيه مساس بقدرة الله وبشخص الله ذاته ، وفى هذا شرك بالله وضلال مبين .

ويؤكد القرآن الكريم أن الله لا تعوزه الوسيلة لتحقيق غفران الخطايا بل كما تقره الآية الكريمة : **« قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . ان الله يغفر الذنوب جميعا . انه هو الغفور الرحيم »** .

وبهذا استطاع الاسلام أن يبرأ من كل ضلالة وفرية .

فيا أخى المسلم ، ان الاسلام دين المنطق والعقل ، لم يجعل الاسلام وساطة بين الله والانسان ، ولم يترك مقادير الناس تحت رحمة نفر منهم يلوحون لهم بسلطان الكنيسة بقولهم : « وأعطيك مفاتيـح ملكوت السـموات ، فكل ما تربطه عـلى الأرض يكون مربوطا فى السموات ، وكل ما تحله على الأرض يكون محـلولا فى السماء » ، (متى ١٦ : ١٩) .

ومن هذا نشأ بالكنيسة سر يطلق عليه سر التوبة ، ويشتمل على :

١ ـ التـوبة ٢ ـ الاعتراف ٣ ـ التأديبات الكنسية
٤ ـ صكوك الغفران ٥ ـ المطهر .

---

(١) ٥٣ : الزمر

وعلى سبيل المثال فان نص عقيدة الاعتراف ما يلى : «الاعتراف فى اللغة هو الاقرار بالشىء والتصريح به علنا ، وفى اصطلاح الكنيسة هو اقرار الخاطىء بخطاياه ـ رجلا كان أم امرأة ـ أمام كاهن الله ، اقرارا مصحوبا بالندامة والتأسف ، والعزم الثابت على ترك الخطيئة وعدم الرجوع اليها ، لينال الحل منه بالسلطان المعطى له من الله القائل : « من غفرتم خطاياه تغفر له ، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت » [1] .

٦ ـ براءة الاسلام من هذه الشبهات

ويحسم القرآن الكريم هذه الفلسفات التى انبثقت منها هذه الشبهات الآتية :

١ ـ فى قولهم المسيح عيسى ابن مريم هو جوهر الله :

هذه الشبهة لها صلة وثيقة بالفكر اليهودى عن الله عز وجل كما يصوره العهد القديم بأن الله عز وجل مماثل للحوادث فى القول « وسمعا صوت الرب الاله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار » [2] ، « ونزل الرب على جبل سيناء الى رأس الجبل . ودعا الله موسى الى رأس الجبل فصعد موسى » [3] ، « فوقف الشعب من بعيد وأما موسى فاقترب الى الضباب حيث كان الله » [4] ، « ويكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه » [5] ، « فنزل الرب فى السحاب . فوقف عنده هناك ونادى باسم الرب [6] .

---

(١) يو ٢٠ : ٢٣ (٢) تكوين ٣ : ٨
(٣) خروج ١٩ : ٢٠ (٤) خروج ٢٠ : ٢١
(٥) خروج ٣٣ : ١١ (٦) خروج ٣٤ : ٥

ولعل الله سبحانه وتعالى قد بين الأمر لعباده بقوله : **(فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)** (١) .

ومع هذا فان موسى عليه السلام أراد أن يرى الله وجها لوجه فما استطاع الى ذلك سبيلا كما قرره التوراة في القول : « فقال أرني مجدك . فقال أجيز كل قدرتي قدامك . وأنادي باسم الرب قدامك وأتراءف على من أتراءف وأرحم من أرحم . وقال لا تقدر أن ترى وجهي لأن الانسان لا يراني ويعيش » (٢) . ومع أن موسى لم يقدر أن يرى الله كما قرره القول « لا تقدر أن ترى وجهي لأن الانسان لا يراني ويعيش » (٢) ، فان أحد الحواريين تقدم الى المسيح عليه السلام بقوله « يا سيد أرنا الآب وكفانا . قال له يسوع أنا معكم زمانا هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس . الذي رآني فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب » (٣) .

من هنا تمخضت فكرة أن المسيح هو جوهر الله . واذا تأملنا فيما كتبه متى أحد الحواريين بقوله « ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه واذا اضطراب عظيم قد حدث في البحر حتى غطت الأمواج السفينة وكان هو نائما فتقدم تلاميذه وأيقظوه قائلين يا سيد نجنا فاننا نهلك » (٤) .

والقرآن وحده الفيصل . ففي قوله عز وجل : **(الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما**

---

(١) ١١ : الشورى
(٢) خروج ٣٣ : ١٨ ـ ٢٠
(٣) يوحنا ١٤ : ٨ ، ٩
(٤) متى ٨ : ٢٣

خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم) [1] .

وفى هذه الشبهة يقول الله سبحانه وتعالى وقوله الحق : **(واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ، ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ، أنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتنى به . أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شىء شهيد . ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم)** [2] .

وقوله : **(لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح عيسى ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير)** [3] .

ومن عجب أن كبير الحواريين ينفى عن المسيح شبهة كونه جوهر الله بقوله « يسوع الذى من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة . الذى جال يصنع خيرا ويشفى جميع المتسلط عليهم ابليس لأن الله كان معه » [4] .

٢ ـ وفى قولهم أن المسيح عيسى ابن مريم ابن الله :

وردت هذه الشبهة على لسان بطرس أحد الحواريين . وفيها

---

(١) ٢٥٤ : البقرة
(٢) ١١٦ ـ ١١٨ : المائدة
(٣) ١٧ : المائدة
(٤) أعمال الرسل ١٠ : ٣٨

انبثق التعليم الكنيسى بحق منح الغفران أو حرمانه عن عباد الله للكهنة فحسب • ففى القول الوارد بلسان متى « فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحى •••••• وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات» (١)
أما مرقس أحد التلاميذ السبعين فانه يقرر هذه الحقيقة بلا شبهة فيها بقول بطرس « فأجاب بطرس وقال له أنت المسيح » (٢) •

ثم يقف المسيح من هذه الشبهة بقوله قولا يجعل من الابن شخصية تتميز فى جوهرها عن الروح القدس بحيث يفهم الانسان أنهما شخصيتان متباينتان فى قوله « وكل من قال كلمة على ابن الانسان يغفر له • وأما من جدف على الروح القدس فلا يغفر له » (٣) بل يؤكد المسيح هذه النظرية بقوله : « قال لها يسوع لا تلمسينى لأنى لم أصعد الى أبى • ولكن اذهبى الى اخوتى وقولى لهم انى أصعد الى أبى وأبيكم والهى والهكم » (٤) • فهذا المجاز لن يقصد منه أن المسيح ابن الله اطلاقا • ومع هذا فالقرآن وحده الفيصل لهذه الشبهة بقوله تعالى : (**وقالوا اتخذ الله ولدا بل له ما فى السموات والأرض كل له قانتون**) (٥) • وقوله تعالى (**قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد**) (٦) •

ومع هذا فان الشريعة الموسوية صارمة ، فهى تطبق تطبيقا حرفيا بلا تأويل أو تخريج يخرجها عن حقيقة بغيتها • وفى نظر الشريعة الموسوية الانسان الذى يجعل من نفسه ابنا لله يكون مجدفا

---

(١) متى ١٦ : ١٣ ـ ٢٣ (٢) مرقس ٨ : ٢٧ ـ ٢٩
(٣) لوقا ١٢ : ١٠ (٤) يوحنا ٢٠ : ١٧
(٥) ١١٦ : البقرة (٦) سورة الاخلاص

وينطبق عليه حكم الرجم . ولهذا قال بيلاطس : « خذوه أنتم واصلبوه لأني لست أجد علة عليه . أجابه اليهود لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله »[1] .

ومع أن صرختهم كانت تدوى باعدام شبيه المسيح ، الا أن الجريمة في حد ذاتها لم تكن لتثير بيلاطس الحاكم الروماني ليصدر أمره باعدام شبيه المسيح . حتى تصايح اليهود قائلين « ان أطلقت هذا فلست محبا لقيصر . كل من يجعل نفسه ملكا يقاوم قيصر »[1] .

وهنا خشى بيلاطس على أمن الامبراطورية الرومانية وتأكيدا لحكمه أن يكون صادرا عن حيثيات لا علاقة لها بالشئون الدينية في كون المسيح ابن الله ، حيث أن هذا الاعتبار من صميم حقوق الكهنة في تطبيق شريعة موسى وتنفيذ الاعدام بالرجم . بل حيثيات تعرض أمن الامبراطورية للانهيار فأراد أن يتأكد أن الشخص الذى سيصدر حكم الصلب عليه أن علته هى كونه ملك اسرائيل اذ قال لهم « هو ذا ملككم فصرخوا خذه خذه اصلبه ، قال لهم بيلاطس أأصلب ملككم أجاب رؤساء الكهنة ليس لنا ملك الا قيصر ، فحينئذ أسلمه اليهم ليصلب ... وكتب بيلاطس عنوانا ووضعه على الصليب وكان مكتوبا يسوع الناصرى ملك اليهود »[3] . فما رأى أهل الكتاب اذن ؟ وفى هذا ينتفى القول بأن المسيح ابن الله ، وما هو الا انسان وعبد لله .

٣ ـ وفى قولهم أن المسيح عيسى ابن مريم أقنوم من الأقانيم الثلاثة :

مع أن حادثة الصليب حقيقة تاريخية ، ومع أن الذى صلب

---

(١) يوحنا ١٩ : ٦ ، ٧ (٢) يوحنا ١٩ : ١٢
(٣) يوحنا ١٩ : ١٤ ـ ١٩

كما حققه برنابا أحد الحواريين شبيه المسيح وليس المسيح ذاته ، فان مؤامرة القبض على المسيح وهو نبى الله كما أقر عن نفسه بقوله «ليس نبى بلا كرامة الا فى وطنه وفى بيته » (١) . وما جبل عليه الاسرائيليون من مناوأتهم للأنبياء كما أقره وسجله عليهم بقوله « ويل لكم لأنكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم قتلوهم . اذا تشهدون وترضون بأعمال آبائكم لأنهم هم قتلوهم وأنتم تبنون قبورهم لذلك أيضا قالت حكمة الله انى أرسل اليهم أنبياء ورسلا فيقتلون منهم ويطردون لكى يطلب من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المهرق منذ انشاء العالم . من دم هابيل الى دم زكريا الذى أهلك بين المذبح والبيت » (٢) .

وقد سبق فقرر نبى العهد القديم ايليا عن شراسة اسرائيل وبغضهم للحق وسعيهم للباطل وقتلهم للأنبياء بقوله : « غرت غيرة للرب اله الجنود لأن بنى اسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى ليأخذوها » (٣) .

وعلى هذا فقد رأى رئيس الكهنة « أن يموت واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها » (٤) . ومع هذا فان المصلوب على الصليب قد صرخ صرخة داوية قائلا : « الهى الهى لماذا تركتنى » (٥)

---

(١) متى ١٣ : ٥٧

(٢) لوقا ١١ : ٤٧ ـ ٥١ مع ملاحظة أن السيد المسيح وهو النبى المرسل من الله قد قرر فى سجل شهداء الأنبياء من دم هابيل الى دم زكريا ولم يوجه الأمر الا أنه سيموت شهيدا بالصليب مع أنه تنبأ بقوله « ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا انسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله ـ يوحنا ٨ : ٤٠ » .

(٣) ملوك أول ١٩ : ١٤

(٤) يوحنا ١١ : ٥٠ (٥) متى ٢٧ : ٤٦

ثم يستسلم المصلوب على الصليب بقوله « يا أبتاه فى يديك أستودع روحى . ولما قال هذا أسلم الروح »[1] .

وعلى هذا القياس فهناك شخصيات متباينة كل التباين فكيف بهم يقسمون الواحد الى ثلاثة ثم يجمعون الثلاثة الى واحد والقرآن وحده يفرق بين الباطل والحق بقوله تعالى : « **يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه . فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة . انتهوا خيرا لكم انما الله واحد سبحانه أن يكون له ولد . له مافى السموات ومافى الأرض وكفى بالله وكيلا** »[2]

وقوله : « **لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم** »[3] .

تعليق : صحيفة ١٦٢ عما جاء بكتاب « الكون المنشور » ص ٥٨ للسير « آرثر فندلاى » .

(والبدوى فى المناطق الاستوائية يطهر أراضيه مرة فى كل عام ، وهو يقلم غصنا على شكل الشوك أو القرن من **شجر الوقد** ذى السنوف ، ويحدث ثقبا فى غصن آخر ويدخل اليه الغصن المشذب حتى يتكون ضرب من الغبار الذى يدخن ويحترق فيستعمله فى اشعال العشب اليابس باتجاه الريح ، والنار تعم السهب فى نصف ساعة ... وكل شئ يهرب من السهب أرسلا) « النيل صحيفة ٢٢٩ لأميل لودفيج » « ترجمة : عادل زعيتر » .

---

(١) لوقا ٢٣ : ٤٦
(٢) ١٧١ : النساء
(٣) ٧٣ : المائدة

الباب الثامن

العالم قبل بزوغ الإسلام

(هو الذى أرسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله
ولو كره المشركون)[1] .

سارت الكنيسة – منذ أن أصبحت هيئة رسمية – على نهج النظام الادارى الامبراطورى ، وتطلب هذا النهج قيام شخصية عظيمة على رأسها ، تعادل فى الزعامة والقوة ما للامبراطور على الامبراطورية الرومانية بأسرها . ولعلنا نلاحظ فارقا واضحا بين الشرق والغرب ، ففى الشرق تتزعم الأباطرة الكنيسة منذ عهد الامبراطور قنسطنطين حتى غدوا يمثلون القيصرية البابوية .

ومن الواضح أن الامبراطور قنسطنطين وضع أساس هذه السياسة عندما شد من أزر المسيحية ، واعترف بها دينا رسميا للدولة ، وشيد القسطنطينية قاعدة الامبراطورية الرومانية « قيصرية بابوية » .

وكان للامبراطور الحق فى دعوة المجامع الدينية لبحث مختلف المشاكل المتعلقة بالكنيسة والعقيدة المسيحية .

---

(١) ٩ : الصف

أما فى الغــــرب فان الوضـــع يختلف عن ذلك كثيرا ، لأن الامبراطورية الغربية أصبحت ـ بعـد تقسيم العـالم الرومانى الى رومانى شرقى أو بيزنطى ، وروماني غربى ـ ضعيفة ، لا تستطيع أن تفـرض ســيطرتها على الكنيسة والدولة جميعــا كما حــدث فى الشرق ٠

ولكنها سرعان ما وجدت ضالتها المنشودة فى شخص أســقف روما الذى تحول كرسيه الى بابوية لها السيادة العليا على الكنيسة فى مختلف العالم الغربى ٠ وترجع أسباب ازدهار روما الى أهميــة المدينة ذاتها فاستغل أساقفة روما هــذه الأهمية والمكانة ، لتحقيق نوع من السمو والزعامة على باقى أسقفيات الغرب ٠

وكان التنافس على أشده بين القسطنطينية وروما ٠ فاستندت القسطنطينية على أنها قاعدة الامبراطورية السياسـية ، ومقر اقامة الأباطرة ٠ واعتمدت روما على تشريف خليفة المسيح عيسى بن مريم، وهو بطرس الحوارى ، ومكانة بطرس فى الكنيسة مكانة الصــخرة التى بها يدعم الايمان المسيحى ، لهذا قال عنه المسيح : « أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابن كنيستى » ، وبالاضــافة الى هــذا خول له المسيح حق الحل والربط ، اذ أعطاه مفاتيح ملكوت السموات ٠ وفى انجيل متى الباب ١٦ : ١٨ ، ١٩ « وأنا أقول لك أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابن كنيستى ، وأبواب الجحيم لن تقــــوى عليهـــا وأعطيك مفاتيــح ملكوت الســـموات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات ، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السماء » ٠

واذا كان هذا التشريف لبطرس زعيم الحواريين ومقدم الرسل ـ فان خلفاءه أســاقفة روما أحق النــاس بأن يرثوا عنه زعامة العالم ٠

والواقع أننا لم نعرف من أساقفة روما فى القرن الرابع وبعد عصر قنسطنطين الا نفرا ارتبطت أسماؤهم بحوادث جسام ، ومن هؤلاء البابا داماسوس ٣٣٦ ـ ٣٨٤ م الذى كتب مؤلفا استعرض فيه مكانة كرسى روما الأسقفي ، وأكد سيادة البابوية وسموها ، كما أنه عهد الى القديس جيروم بترجمة الانجيل الى اللاتينية ٠

أما خليفة البابا سيركيوس ٣٨٤ ـ ٣٩٩ م فترجع اليه أولى المراسيم البابوية من عهده ، التى تناولت مسائل معروضة على أسقف روما للبت فيها ٠

وبعد ذلك اشتهر البابا ليو الأول ٤٤٠ ـ ٤٦١ م الذى تم فى عهده الاعتراف بسيطرة البابوية على كافة الكنائس المحلية فى الغرب ٠

وفى سنة ٤٥٥ م أصدر الامبراطور فالنشيان الثالث امبراطور الغرب مرسوما امبراطوريا يقضى بخضوع جميع أساقفة الغرب للكرسى البابوى ٠

وهكذا ازدهرت البابوية حتى وصلت الى القمة فى النفوذ السياسى والدينى فى عهد البابا جريجورى الأول ٥٩٠ ـ ٦٠٤ م ٠

من هذا نجد أن الاعتراف بالمسيحية دينا رسميا للدولة استلزم قيام تنظيم جديد للعلاقة بين الكنيسة من جهة ، والدولة والمجتمع من جهة أخرى ٠ ذلك أن الامبراطورية الرومانية كان لها دين رسمى وكهنة يتمتعون بمساندة الحكومة وتأييدها ٠ ولكن رجال الدين فى العصر الوثنى لم يحاولوا التدخل فى شئون السلطة الزمنية مطلقا ، على عكس الكنيسة التى أخذت تكتسب شيئا فشيئا سلطة جديدة منافسة للسلطة العلمانية ، مما أوجد نفورا بين السلطتين الزمنية والروحية ٠

ونلاحظ أيضا أن تدخل الكنيسة فى شـئون السلطة الزمنية يمتد ويشتد بقوة تبعا لازدياد ضعف الامبراطورية الرومانية ، الذى أدى فى النهاية الى بسط سـلطان الكنيسة المطلق واحلالهـا محل الأباطرة فى تصريف شئون الدولة ٠

وهكذا أصبح الأسـاقفة يضطلعون بعبء التنظيم الادارى فى أقاليم الامبراطورية الرومانية ، فضـــلا عن قيامهم بمهام التنظيـم الكنسى ٠

ولقد كانت هنـاك مساجلات بين الأباطرة والباباوات ، نذكر منها مساجلة بين فردريك والبابا أدريان الرابع ، اذ قال فردريك ردا على رسالة البابا : « اننا نتسلم الامبراطورية من الله عن طريق انتخاب الأمراء ، وأن شريعة الله تقتضى أن يكون حكم العالم بواسطة سـيد الامبراطورية والبابوية كما قضت تعاليم القديس بطرس بأنه يجب على الناس أن يخافوا الله وأن يحترموا الملك ، وعلى هذا يعتبر كل من يقول بأننا تسلمنا التاج الامبراطورى اقطاعا من البابا ملحد ، باطل العقيدة ، لأنه يخالف أوامر الله ٠ وتعاليم القديس بطرس »٠

وبهذا استطاع فردريك أن يجعل من نفسه السيد العظيم خليفة قيصر ٠ بروسيا ١١٥٢ ــ ١١٩٠ م ٠

وقال جريجورى السابع ــ الذى تولى منصب البابوية سـنة ١٠٧٣ م ــ بشأن الـكرسى البابوى : « ان قوة الملوك مستمدة من كبرياء البشر ، وقوة رجال الدين مستمدة من رحمة الله ، ان البابا سيد الأباطرة ، لأنه يستمد قداسـته من تراث سـلفه القـديس بطرس ٠

على أن هناك مشكلة دينية كبرى ظهرت فى ذلك العصر وامتـد أثرها عدة قرون فى تاريخ غرب أوربا ، فضـلا عن شرقها ، وهـذه

المشكلة قامت حول عبادة الصور والأيقونات [1] . ومهما كان الأمر فانه يبدو أن عبادة الأيقونات انتشرت انتشارا سريعا واسعا فى القرن الثامن ، مما نشأ عنه صراع مستمر بين الأباطرة والبابوية وتطلب من الامبراطور الأيسورى ليو الثالث علاجا سريعا لهذه المشكلة ، بل هناك رأى يقول : ان الامبراطور ليو استغل هذه المشكلة للقضاء على نفوذ الأديرة اليونانية بعد أن تضخمت ثروتها. وتضاعفت ممتلكاتها المعفاة من الضرائب ، وازدادت حقوقها وامتيازاتها ومسموحاتها ، مما جعلها خطرا على الدولة [2] .

والغريب أن اثارة الحرب على الأيقونية بدأت فى الدولة الاسلامية عندما أمر الخليفة يزيد بن عبد الملك سنة ٧٢٣ بازالة جميع الأيقونات من الكنائس الواقعة داخل حدود الدولة العربية [3] ثم انتقلت الفكرة بعد ذلك الى الدولة البيزنطية ، فبدأ ليو الثالث حملة ضد الأيقونات وعبادتها سنة ٧٢٦ . وهنا لا نستطيع أن نجد تفسيرا لقوة الحركة اللاأيقونية فى الشرق وضعفها فى الغرب الا أثر العقيدة الاسلامية التى قاومت الأصنام وعبادتها ، فضلا عن تأثير اليهود الذين حرموا عبادة الصور وتقديسها [4] .

كان المرسوم الذى أصدره ليو الثالث سنة ٧٢٦ بتحريم عبادة الأيقونات حازما وشديدا ، اذ قضى بازالة جميع التماثيل والصور

---

(١) موسوعة كامبردج لتاريخ العصور الوسطى مجلد ٤ صحيفة ٦ .

(٢) تاريخ العصور الوسطى لمؤلفه ج.و.طمسون مجلد ١ صحيفة ١٤٤ .

(٣) تاريخ الدولة البيزنطية لمؤلفه ج . أوستروجورسكى صحيفة ١٤٣ .

(٤) تاريخ الامبراطورية البيزنطية لمؤلفه أ . أ . فازيليف مجلد ١ صحيفتى ٣٨٨ ، ٣٣٩ .

الدينية من الكنائس والأديرة ، وبدأ المواطنون فعلا فيازالة الصليب الكبير المقام فوق بوابة القصر الامبراطورى فى القسطنطينية ، ولم تلبث هذه الأعمال أن استفزت رجال الكنيسة لا سيما فى الغرب حيث وقف البابا جريجورى الثانى ثم البابا جريجورى الثالث موقفا عنيدا من سياسة الامبراطور اللاأيقونية حتى أصدر البابا جريجورى الثالث قرارا بحرمان الامبراطور من رعوية الكنيسة سنة ٧٣١ م [١] .

ويهمنا فى هذا المقام أن النزاع اللاأيقونى كان له أثره الخطير فى ايطاليا والبابوية وعلاقتهما بالدولة البيزنطية . ذلك أن أواسط ايطاليا وروما ورافنا وقفت جميعا الى جانب البابوية فى المعسكر الأيقونى . على حين كانت صقلية وجنوب ايطاليا فى جانب الامبراطور اللاأيقونى [٢] .

وقد رد الامبراطور ليو الثالث على قرار البابا بالحرمان من الكنيسة بأن حرم البابوية من حقوقها وأملاكها فى صقلية وجنوب ايطاليا وفصل الكراسى الأسقفية فى هذه الجهات عن سلطان البابا الدينى والقضائى ، وجعلها تحت نفوذه وسلطانه بطريق القسطنطينية [٣] .

وهكذا جاء النزاع اللاأيقونى ليزيد من حدة الشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية ، مما كان له أثر واضح فى مستقبل الحوادث التاريخية [٤] .

---

(١) تاريخ العصور الوسطى لمؤلفه ج . و . طمسون ، ص ١٤٤ جـ ١ .

(٢) موسوعة كامبردج لتاريخ العصور الوسطى ، ص١٠ جـ ٤ .

(٣) العالم الشرقى لمؤلفه س. دايهل ، ج. ماركياس ص ٢٦٧ .

(٤) تاريخ نهاية العالم القديم لمؤلفه ف. لوط ص ٣٠١ .

ولقد خلف الامبراطور ليـو الثالث ابنـه قنسطنطين الخامس (٧٤١ ـ ٧٧٥ م) الذى وجد أن طريقة العنف وحدها غير كافيـة لتحقيق سياسته اللاأيقونية وأن كثيرا من الناس استمروا يباشرن عبادة الصور والأيقونات الدينية سرا : ولهذا لجأ الى عقـد مجمـع دينى فى القسطنطينية سنة ٧٥٣ ، ٧٥٤ م لتأييد سياسته العدائية للبابا وللأيقونية [١] وكان أن قرر هـذا المجمع تحريم تصـوير المسيح بأى شكل من الأشكال لأن هذه الصور والتماثيل تعبر عن طبيعته الانسانية والالهية فى طابع مجسد بشرى ، وبذلك تطمس صفته الالهية . أما صور القديسين فقد حرم المجمع عبادتهـا هى الأخرى بدعوى أن هذه العبادة ضرب من الوثنية وعبادة البشر [٢].

وهكذا اتخذ قنسطنطين من قرارات مجمع القسطنطينية سلاحا قويا ساعده على التطرف فى اضطهاد الأيقونيين والتنكيل بالديريين بوصفهم أشـد أنصـار الأيقونية ، بل انه عمـد على هدم الحياة الديرية فى بلاده بمختلف الطـرق والوسـائل وان لم يتمكن من تحقيق هدفه [٣] .

على أن هذا المجمع لم يكن مسكونيا الا من الناحية الاسمية فقط لأن البابوية ردت على الدعوة لحضور هذا المجمع بانزال اللعنة على كل من يحضره ، وامتنع عن حضوره بطاركة أنطاكية وبيت المقدس والاسكندرية ـ الذين كانوا فى حماية المسلمين ، وبذلك لم يحضر

---

(١) موسوعة كامبردج لتاريخ العصـور الوسطى ص ١٣ ، ١٤ جـ ٤ .

(٢) تاريخ الامبراطورية البيزنطيـة لمؤلفـه أ.أ. فازيليف ص ٣٤٥ .

(٣) العصور المظلمة لمؤلفه عمان ، صحائف ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥ .

المجمع سوى ثلاثمائة وأربعين أسقفا تقريبا برئاسة بطريرك القسطنطينية [1] .

هذا هو الصراع بين الأباطرة والبابوية ، يشتد بقوة نفوذ الأباطرة ، ويضعف بضعف نفوذهم . حتى آلت القوة نهائيا الى البابوية التى استطاعت أن تفرض سيطرتها على الشعوب فى شئونهم الدينية والدنيوية .

ولعل أقوى دليل على هذا هو المجموعة التى تنسب الى البابا جريجورى السابع ١٠٧٣ـ١٠٨٥م وتعرف باسم الارادة البابوية .

وأهم موادها :

١ ـ البابا وحده هو الذى يتمتع بسلطة عالمية .

٢ ـ البابا وحده يمتلك سلطة تعيين الأساقفة أو عزلهم .

٣ ـ جميع الأمراء العلمانيين يجب أن يقبلوا قدم البابا وحده .

٤ ـ للبابا وحده الحق فى عزل الأباطرة .

٥ ـ لا يجوز عقد أى مجمع دينى عام الا بأمر البابا .

٦ ـ ليس لأى فرد أن يلغى قرارا بابويا ، ومن حق البابا وحده أن يلغى قرارات سائر الناس .

٧ ـ لا يسأل البابا عما يفعل ، ولا يحاكم على تصرفاته .

٨ ـ للبابا وحده أن يجيز لرعايا أى حاكم علمانى التحلل من العهود وأيمان الولاء التى أقسموها لحكامهم [2] .

---

(١) العالم الشرقى لمؤلفيه س.دايهيل ، ج.ماركياس ص٢٧١.

(٢) تاريخ العصور الوسطى لمؤلفه ج.و.طمسون مجلد أول صحيفتى ٤٣٩ ـ ٤٤٠ .

وهكذا كان الصراع بين الأباطرة والبابوية صراعا مريرا على حساب الكنيسة وحدها ٠

وهكذا أيضا يبدو من هذه الارادة البابوية أن البابوية آمنت ايمانا قويا بأن البابا له السلطة في حكم المجتمع المسيحى ، وأنه يعزل الملوك والأباطرة بوصفه نائبا عن القديس بطرس ٠

ولهذا وجه جريجورى السابع مجمع روما الدينى المنعقد سنة ١٠٧٥ م نحو اتخاذ قرار حاسم بشأن التقليد العلمانى هذا نصه :

« ان أى فرد من الآن فصاعدا يتقلد مهام وظيفته الدينية من أحد الحكام العلمانيين يعتبر مطرودا من هذه الوظيفة ومحروما من الكنيسة : ومن رعاية القديس بطرس ، واذا جرؤ امبراطور أو ملك أو دوق أو كونت أو أى شخص علمانى على تقليد أحد رجال الدين مهام وظيفته الدينية فانه يحرم من الكنيسة فورا »[١] ٠

هذه هى المسيحية وتداخلها فى الشئون السياسية بالاضافة الى نفوذها بعيد المدى فى الأمور الكنسية والنظم الكنسية التى تمخضت عن الأسرار السبعة التى يدين لها بالولاء والخضوع كل مسيحى ٠ وهذه الأسرار ـ من قبيل العلم بالأمر ـ هى :

١ ـ سر المعمودية (التنصير) (٢) سر الميرون (المسحة المقدسة) ٣ ـ سر الأفخارستيا (العشاء الربانى) ٤ ـ سر التوبة (الاعتراف) ٥ ـ سر مسحة المرضى

٦ ـ سر الزيجة ٧ ـ سر الكهنوت ٠

وقد اعتبرت الكنيسة التقليدية (الكاثوليك والأرثوذكس) منذ بداءتها هذه الأسرار السبعة ، ولم يستبعدها وينكرها سوى

---

(١) *Flicke : L' Europe Occidentole P·367*

البروتستانت الذين انشقوا عن الكنيسة الكاثوليكية فى القرن السادس عشر ، ولم يحصل بينهم اتفاق على عدد الأسرار ، وارتأى اتباع الكنيسة البروتستانتية أنه لا يوجد الا سران فقط وهما المعمودية والعشاء الربانى ، وحجتهم فى ذلك أن الكتاب المقدس لم يذكر أن الأسرار الكنسية سبعة اطلاقا .

ولسنا فى صدد تفنيد عقيدة ، بل بصدد مجرد التمثيل للوقوف على شيء من التعاليم الكنسية التى تقدس كتقديس كلمة الكتاب المقدس .

وامتد النفوذ المسيحى وهيمنته على أمور أخرى منها العلم مما أدى الى عدم ترك مجال الدراسات العلمية ، لأن العقيدة المسيحية ـ كما قال المعاصرون ـ تقوم على أساس الايمان ، فى حين يعتمد العلم على العقل والمنطق .

ويكفى أن يطلع المرء على كتابات مفكرى العصور الوسطى مثل القديس أوغسطينوس ليدرك مدى التأخر العلمى الذى كانت عليه بلاد الغرب المسيحية .

هذا الى أن اصرار الكنيسة على توجيه الناس الى الحياة الباطنية « الجوانية » أعمى أنظار المعاصرين عن العالم الطبيعى المحيط بهم ، فالقديس أوغسطينوس سنة ٣٥٤ ـ ٤٣٠ م يبدى دهشته من أن الناس يذهبون بتفكيرهم بعيدا الى التأمل فى ارتفاع الجبال ، أو دراسة مدارات الفلك والكواكب ، ويهملون التأمل فى أنفسهم ، بل ان القديس أوغسطينوس نفسه يهزأ من فكرة كون الأرض كروية ، تلك النظرية التى عرفها اليونان قبل ذلك بقرون ، ويصرح بأن فكرة نصف الكرة الشمالى يقابله نصف الكرة الجنوبى ، وأن

عليهما مخلوقات خلقها القدير لتدب عليها ـ انما هى فكرة باطلة هرطقية ·

والى جانب هذا الانحطاط فى التفكير العلمى انتشر الاعتقاد بالخرافات والمعجزات بين أهالى أوربا الوسطى حتى قضت هذه الشعوذة والأباطيل على البقية الباقية من المعرفة العلمية ·

(ويقول اميل لودفيج : انتشرت الرهبانية ووجدت بيئة خصبة فى مصر ، والواقع أن الألوف من أولئك المصريين كانوا من الفلاحين، وليس من المحتمل أن ينتحل الرهبانية ملايين الفلاحين مع استمرارهم على زرع حقول أجدادهم ، وقد عانى الفلاحون طائفة من المكاره مدة ثلاث آلاف سنة من عهد الفراعنة ، ومدة سبعمائة سنة من السلطان الأجنبى ، وللمرة الأولى يقول أناس من أقوياء الايمان للعبيد المضطهدين على ضفاف النيل ما ليس لديهم عنه فكر مبهم ، يقولون لهم أن الانسان فى الحياة الآخرة يحاكم على مقياس آخر فتتوقف سلامته على طهارة قلبه ، لا على أبهة ضريحه ·

وتعلن هذه البشرى السارة بلغة الفلاح لأول مرة وكان الفلاح كارها لاغريقية أفلاطون (أنصار الأفلاطونية الجديدة) ، وللاتينية عباد جوبيتر كابيتو لينوس ·

وتظهر كهنة ايزيس عزلا ، ويمكن الفقراء أن يشعلوا ثورة كالتى وقعت منذ ثلاثة آلاف سنة ، ويتصرفون فى الأمر ببراعة فيوجهون الجموع ضد الأجنبى ، ويعد الأغارقة والرومان من عبدة الأصنام للمرة الأولى لا من قبل النصارى ، بل من قبل أتباع الدور القديم بمصر ·

وظاهرة ما بعد ذلك الحين هى اختلاط الأديان ، لا اختلاط الشعوب واللغات وحده ، وأذهب الى جزيرة بلاق الصغيرة التى

يطاف حولها فى نصف ساعة ، ترى أنه كان يقام فى وقت واحد من كل يوم بشعائر يسوع وايزيس ، وينقلب معبد الملكة حتشبسوت المأتمى الى مصح يونانى ثم الى دير نصرانى ، وأذهب الى شـــواطىء بحيرة مريوط ترى زمرة يهودية كانت تحتفل فى كل خمسين يوما بعيد مشتق من أسطورة للاسـكندر حولتها البدهية (البوذية) ، واذهب الى معبد الكرنك ترى أنه استعمل كنيسة ، ويجعل النصارى الجدد بأدفو القديس أبولون من خليفة هوروس ٠

ويستمع الفلاح المصرى الى هؤلاء الرهبان الذين كانوا يقولون ان يسوع الاله ذا الهالة ليس غير أوزيرس المحول ٠

ويعترف بالنصرانية فى القرن الرابع فيفوق نصـــارى مصر مضطهديهم عنفا ، ويظهر من هؤلاء النصارى أناس بلغوا من التعصب ما يهدمون به المعابد والكتابات والتماثيل والصـور الجدارية التى لم يمسها أى شعب أجنبى فى ألوف السنين ، ويقتل من يزعم أنهم وثنيون بالمئات وتقطع تلميذة أفلاطون الحسناء ومعلمة علم الفـلك فى الجامعة ، هيباتيه ، اربا اربا وتحـرق كصنيعة للشيطان ، ولمـا نهب معبد السرابيوم من غير أن تنزل صاعقة عـلى الهدامين ، كان ذلك خاتمة لأحد وجوه العالم القديم »[1] ٠

ومما زاد الأمر سوءا أن أوربا فى العصور الوسـطى ـ وهى تعيش فى ظلمات بعضـها فوق بعض ـ تورث العـالم المخطوطات القديمة ، ومنها النسخ القديمة للكتاب المقدس ٠ هذه الثروة الهائلة ورثها العالم من تلكم الأجيال التى تفشى فيها الجهل ، ورداءة الخط وانحطاط اللغة ، والايمان بالخرافات والمعجزات ٠

---

(١) النيل ـ لمؤلفه : أميل لودفيج ـ ترجمة : عادل زعيتـر ص ٥٨٤ ، ٥٨٥ ٠

فكيف للجيل الذى بلغ فى مدى تفكيره الحر الطليق أن يصل الى التفكير فى الدوران حول الأرض ، واصابة العدو على بعد مئات الأميال من قاعدة الصواريخ دون أن تتحرك قوة للدولة المحاربة وأخيرا الى القمر ٠

كيف لهذا الجيل أن يتقبل مثل هذه المخطوطات ، ويستند اليها ، ويعتمد على صحتها ٠ اننى أرى المنطق يقول كيف نؤمن بتراث موروث من عهد تفشى فيه الجهل ، ورداءة الخط وانحطاط اللغة وهيمنة الكنيسة على الشئون الزمنية والدينية ، وتفشى المعتقدات الباطلة ، مثل صكوك الغفران ، والمطهر ، وغير ذلك مما ندد به لوثيروس الراهب الألمانى زعيم الاصلاح ومؤسس الكنيسة البروتستانتية فى القرن الخامس عشر ؟ ٠

وقد كان نتيجة لهذا كله ذلك الفساد الذى استشرى ، وعم ربوع الامبراطورية الرومانية التى تعرضت بسببه للغزو الأجنبى٠

ولذلك تعرضت الامبراطورية البيزنطية فى عهد هرقل لغزو الفرس ، ففى سنة ٦١٤ م اجتاح الفرس بلاد الشام واستولوا على أورشليم (بيت المقدس) وفى سنة ٦١٦ م استولوا على مصر ٠

ولم يشأ هرقل أن يستسلم لهذه الحروب من الجبهتين : الشرقية (بلاد فارس) ، والغربية (الآفار) ، فأخذ يعد جيوشه لمحاربة الفرس ، وأخذت الحملة التى أعدها بنفسه طابعا دينيا لاسترداد الصليب الأعظم ، وبهذا الطابع الدينى تجهزت الحملة التى مكنت هرقل من توجيه ضربة قاصمة الى الفرس ، فتقدم سنة ٦٢٦ م عبر سهول دجلة والفرات نحو قلب الامبراطورية الفارسية حيث أنزل بكسرى الثانى (٥٩٠ ـ ٦٢٨ م) هزيمة ساحقة فى ديسمبر سنة ٦٢٧ م قرب أطلال نينوى ، وعندما فر كسرى الثانى ، من

ميدان المعركة لحق به هرقل الى المدائن عاصمة الفرس ، مما أدى الى قيام ثورة داخلية أطاحت بكسرى الثانى ، وجعلت خليفته يعقد صلحا مع الامبراطور البيزنطى على العودة الى الحدود التى كانا عليها من قبل سنة ٦١٤ م ٠

على أن أحوال الدولة الفارسية لم تستقر بعد ذلك ، اذ تكاثرت الثورات والانقلابات الداخلية حتى تعاقب علـى عرش فارس ــ فى فترة تسع سنوات تالية ــ أربعة عشر حاكما ، مما فرق أوصـــال الدولة الفارسية ، وجعلها مسرحا للفتن والقلاقل الداخلية ٠

وفى ذلك الوقت تعرضت الدولة الفارسـية لغـــزو من نوع جديد ، هو غزو لسحق الوثنية فى موطنها ٠

عن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه الى كسرى مع عبد الله بن حـذافة السـهمى ، فأمره أن يدفعه الى عظيم البحرين ، فدفعه عظيم البحرين الى كسرى ، فلمـا قرأه مزقه ، فحسبت أن ابن المسيب قال : فدعا عليهم رسـول الله عليه السلام أن يمزقوا كل ممزق ٠ رواه البخارى ص ٦ جـ ٦ ٠

ذلك النوع الجديد من الغزو هو انسياب الجيوش العربية مؤمنة بربها ، ورسوله الكريم وبكتبه وملائكته وبرسله وباليوم الآخر حتى أنعم الله عليهم بنصر رائع فى موقعة نهاوند سـنة ٦٤١ م ، وبذلك دالت دولة الفرس لتصبح جزءا من الوطن الاسلامى العربى الكبير ٠

الباب التاسع

العالم فى فجر الإسلام

(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) [1] .

علمنا فيما سبق أن دولتى الفرس والروم كانتا فى شغل شاغل بالنزاع والحروب المستمرة فيما بينهما ، مما صرفهما عن الاهتمام بما يجرى فى شبه الجزيرة العربية من مولد الرسول الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سنة ٥٧٠ م تقريبا ، والحدث التاريخى للهجرة النبوية الشريفة سنة ٦٢٢ م تقريبا ، ثم ما تبع ذلك من انهاء حالة الفوضى والتفكك السياسى والنزاع القبلى التى عاش فيها العرب قرونا طويلة ، فقد أدى انتصار الاسلام الى جعل العرب أمة واحدة ، متساندة متماسكة ، تخضع لحكومة واحدة وتدين بدين واحد ، شعاره (لا اله الا الله محمد رسول الله) .

على أن رسالة الاسلام لم يقصد بها العرب وحدهم ، بل العالم أجمع . ومن ثم أصبحت مهمة الرسول بعد أن تم له توطيد دعائم الاسلام فى بلاد العرب أن يدعو الأمم المجاورة لاعتناق الاسلام قال تعالى : « **وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » [2] وقال تعالى : « **وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا** » [3] . وفى الحديث الشريف : « **وكان كل نبى**

---

(١) ٣ : المائدة (٢) ٢٨ : سبأ (٣) ٧٩ : النساء

يبعث الى قومه خاصـة ، وبعثت الى الناس كافة » • وبهذا يتضـح الفارق بينه وبين الأنبياء قبله •

وقد كتب الرسـول كتبا الى الأباطرة والملوك حوله ، يدعوهم الى الاسـلام ، دين الوحدانية • ومن كتبه كتاب رفعه الى المقوقس حاكم مصر هذا نصـه : (من محمد بن عبد الله ، أما بعـد فانى أدعوك بدعاية الاسـلام • أسـلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم القبط • **(يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شـيئا ولا يتخـذ بعضنا بعضـا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشـهدوا بأنا مسلمون)** [1] •

وقرأ المقوقس الكتاب ، ثم طواه فى عناية وتوقير ، ووضـعه فى حق من عاج • ودفعه الى واحدة من جواريه ، والتفت بعـد ذلك الى حاطب بن أبى بلتعة يسـأله أن يحدثه عن النبى ، ويصفه له • فلما فعل فكر المقوقس مليا ، ثم قال لحاطب : قد كنت أعلم أن نبيا قد بقى ، وكنت أظن أنه يخـرج من أرض العـرب ، ولكن القبط لا تطاوعنى ، وأنا أضن بملكى أن أفارقه •

وقد كان من حب الرسول لمصر ولأقباط مصر ما دفعه أن يوصى بهم خيرا بقوله : « استوصوا بالقبط خيرا ، فان لهم ذمة ورحما » • صدق رسول الله الكريم •

ويبدو أن بعض الرسـل الذين أوفدهم النبى الى ملوك الدول المجاورة وحكامها قد صادفوا اعراضا بل امتهانا ، مما جعل النبى الكريم يعد العدة ، ويأتمر بأمره تعالى : « **وأعدوا لهم ما استطعتم**

---

(١) ٦٤ : آل عمران •

من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم »[1] .

وجاهد الصحابة فى سبيل الله جهاد حق وصدق ، ونظمت الجيوش العربية دفاعا عن كيانها وكرامة دينها ومبادئها ، وشعارها فى كل هذا « **لا اله الا الله محمد رسول الله** » ، « **جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا** » ، « **ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** » ، « **وما النصر الا من عند الله** » .

وزحفت الجيوش العربية عقب سنة ٦٣٢ م تنقض على الامبراطورية الرومانية البيزنطية ، فى عهد الامبراطور هرقل ، وعلى الدولة الفارسية الساسانية فى عهد ملوكها الذين يتعاقبون واحدا تلو الآخر ، فتسحق الدولتين ، وتتحقق نبوءة الملك نبوخذ نصر فى الحلم الذى رآه وفسره له النبى دانيال ، وهذا هو تفسير الحلم : « كنت تنظر ، واذا بحجر يقطع من جبل بلا يدين هذا الحجر يسحق التمثال كعصافة تذروها الرياح » . هذا الحجر هو الأمة العربية فى شخص الرسول الكريم ، سحق حضارات الأمم السابقة ، ومنها الامبراطورية الرومانية والدولة الفارسية الساسانية وأصبح الاسلام كالجبل وعلمه « لا اله الا الله محمد رسول الله » .

وليس العجيب فى أمر الغزوات العربية الدفاعية ضد اعتداء الدول المعادية — ان العرب اجترءوا على مهاجمة الفرس والروم وهما أكبر امبراطوريتين عرفهما العالم بل التاريخ منذ فجر المسيحية حتى القرن السابع المسيحى — ليس العجيب هذا ، بل العجيب فى الأمر أن العرب غزوا فارس فى نفس الوقت الذى

---

(١) الأنفال : ٦٠

غزوا فيه امبراطورية الروم ، وأحرزوا انتصاراتهم الضخمة الرائعة على الدولتين فى وقت واحد ، اذ تحركت الجيوش الاسلامية فى صحراء فلسطين سنة ٦٢٩ م على أثر انتهاء المعارك المريرة بين الامبراطوريتين : الرومانية والفارسية ، وكأن الله قد أراد للأرض خيرا بانتصار المسلمين اذ خذل به الباطل والبطش والغرور بعد أن مهد لذلك بما كانت تعانيه الامبراطورية الرومانية من غزوات البرابرة المهاجمين لأراضيها فى البلقان ، وحركات انفصالية أخذت تقوى عند أقباط مصر ، والأراميين فى سوريا ، والأرمن عند أطراف آسيا الصغرى ، مما هدد كيانها ووحدتها تهديدا خطيرا ٠

وفى خلافة أبى بكر الصديق أمر بتسيير جيشين : أحدهما لغزو الروم ، والثانى لغزو الفرس سنة ٦٣٣ م ٠ وهكذا أخذت الجيوش العربية — بقيادة أبى عبيدة الجراح — تعمل فى الشام ضد الروم ، فى حين كان الجيش الثانى بقيادة خالد بن الوليد يعمل فى العراق ضد الفرس ٠

وقد حاول الامبراطور هرقل ارسال قوة ضاربة بقيادة أخيه تيودور لانقاذ الموقف فى فلسطين ، ولكن القائد العربى المغوار خالد بن الوليد أتى مسرعا من العراق لنجدة اخوانه بالشام ، وبذلك أمكن انزال هزيمة ساحقة بالقوات البيزنطية فى موقعة أجنادين سنة ٦٣٤ م ٠

وعندما توفى الخليفة أبو بكر الصديق خلفه عمر بن الخطاب ٦٣٤ — ٦٤٤ م الذى اتسعت فى عهده فتوحات الاسلام ، فاستولى المسلمون على دمشق سنة ٦٣٥ م ، ثم على حمص بعد قليل ، وعندئذ ثار الامبراطور هرقل ، وحشد جيشا من ثمانين ألفا من رجاله لقتال العرب ، ولكن خالد بن الوليد أنزل

بالجيوش البيزنطية عند اليرموك سنة ٦٣٦ م هزيمة جديدة ساحقة .

ولما أدرك هرقل أنه من الصعب محاربة المسلمين ترك بيت المقدس تقع فى أيدى المسلمين سنة ٦٣٧ ـ ٦٣٨ م .

ولم تكن انتصارات العرب على الفرس أقل سرعة من انتصاراتهم على الروم ، ففى سنة ٦٣٧ م كان العرب قد فتحوا العراق ، وفى سنة ٦٤١ م أحرزوا انتصارا ساحقا على نهاوند ، مما فتح الطريق أمامهم الى قلب بلاد الفرس .

ولم تجد مقاومة الفرس العنيفة فى وجه العرب الذين تم لهم القضاء على يزدجرد الثالث آخر ملوك بنى ساسان سنة ٦٥٢ م .

وبذلك اختفت الملكية الفارسية من الوجود وتم للعرب فتح فارس كلها .

وكان العرب من قوة الايمان والاستبسال فى الجهاد فى سبيل الله فى مستوى رفيع استطاعوا به فتح مصر بقيادة عمرو بن العاص سنة ٦٤١ م ، أى قبل أن ينتهوا من فتح فارس ، ويعتبر فتح مصر بالذات مثلا واضحا على مدى ضعف الدولة الرومانية البيزنطية وانحلالها سياسيا .

ولعل ما عرف عن المسلمين من تسامح مع الشعوب المقهورة جعل تلك الشعوب تدرك أن خلاصها من الاضطهاد العنصرى والدينى الذى تلاقيه على أيدى البيزنطيين لن يكون الا على أيدى هذه القوة الجديدة التى بدأت تتوغل فى الامبراطورية الرومانية المتداعية وأخذ شعب مصر يترقب زحفها الى مصر ، ويتمنى مجيئها .

(ويؤرخ أميل لودفيج) [1] انهيار الدولة الرومانية فى مصر بقوله : « لم يستطع جوستنيان أن يشمل النيل بعدله ، ولم يأل جوستنيان جهدا فى نصر النصرانيـة فحمل البـدويين والبليمى ، وزنوج جوار دنقلة أيضـا على العماد [2] ، وكان هـذا قبل ولادة محمد (*) بزمن قليل ، وما كان من نزاع بين المذاهب وضـعف فى الحكومة البيزنطية قد اجتذب الفرس مرة ثانيـة • فدام احتلالهـم الغاصمة عشر سنين ، ولكن القضاء على تلك الفـوضى كان يتطلب أمة جديدة لم يقدر على استعبادها الأشوريون والفرس والمصريون والبطالمة والرومان •

كان أولئك الناس يحملون عن يمينهم سـيوفا قصـيرة محدبة النصل فى منطق ، وكانوا يحملون عن شمائلهم سـيوفا طويلة ، وكانوا يحملون تروسـا مستديرة ، وكان النبـالة منهم يلبسـون جراميق وصدرات قصيرة وثلاثة أوشحة ملونة ملفوفة حول الخصر والصدر والرأس ، ويدخل العرب فى سنة ٦٤٠ م • أى بعد وفاة محمـد (*) بسنين ثمان ، حظيرة التاريخ والدلتا عن انطلاق دينى حربى ، يدخلها أبناء البحر والصحراء هؤلاء ، يدخلها سكان شبه الجزيرة المجاورة هؤلاء •

ويستولى عمرو بن العاص ، وكان قائدا لجيش الخليفة الثـانى عمر ، على ميناء بيلوزه ، وهليوبوليس ومدن أخرى فى الدلتـا ،

---

(١) « النيل » لمؤلفـه أميل لودفيج ترجمة : عادل زعيتـر ص ٥٨٩ ، ٥٩١ •

(٢) العماد : الاسم من عمد ، وهى فريضة كنيسية لغسـل الولد أو البنت فى الكنيسة بماء المعمودية باسم الآب والابن والروح القدس وذلك لاشهار نصرانيته •

(*) محمد : سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم •

ويقوم عمرو بن العاص ويعد نشيد ، مجدا لمصر ، بذلك العمـــل خلافا لأمر مولاه عمر ، الذى قدر عدم كفاءة أربعة آلاف فارس لذلك الفتح • ومن النادر أن تسـفر مثل تلك المخالفـــة عن مثل تلك الفائدة ، ويدوم سلطان العرب هناك تسعمائة سـنة بفضـل تلك اليد القوية •

ويلقى الفاتح حيرة فى قلوب البيزنطيين ، وتقـــوم بيزنطة بآخر محاولة لاسترداد الاسكندرية **فتجد جميع مصر مكافحة لهـا بجانب سادتها الجدد ، وتهدم أسوار الاسـكندرية بعـد أن ظلت عاصمة العالم ثلاثة قرون ثم عاصمة مصر وأهم مرافىء البحـــر المتوسط ستة قرون ، ويبدو جميع نصارى مصر أنصارا شـديدى الحمية للعـرب الفاتحين** ، الذين طردوا السـادة الأجانب فتركوا للأقباط الابن الذى هو من جوهر الآب ، ولم يكرهوهم على عبادة اله واحد ليس ذلك الابن من جوهره •

ويبنى حصن جديد ، يبنى الفسطاط بالقرب من منفيس وعلى رأس الدلتا ، وينقل نحو الشمال نقلا خفيفا فى غضون القرون الآتية ، ويغدو عاصمة مصر ، ويطلق العرب عليه اسم السيارات **مارس** التى مرت فى ساعات انشـائه الأولى من دائرة نصف نهـاره فيدعونه « **القاهرة** » •

ويقول سير أرنولد : « أن ميخائيل الأكبر اليعقوبى كان يرى فى فتح العرب المسلمين لمصر وفى انتصاراتهم المتلاحقة يد العدالة الالهية التى بعثت لتثـأر لما نال الكنيسة المصرية من تعـذيب واضطهاد » •

ولقد أسرع المصريون الى اعتنـاق الاسـلام حبـا وكرامة ، لتعاليمه الصافية ، وايمانا منهم بأن المبادىء السـامية التى يطبقها

العرب المسلمون فى سلوكهم معهم جديرة بأن تكون جزءا من حياتهم الاجتماعية .

ويسترسل أميل لودفيج [1] فيقول : عاش السلاطين على شواطىء النيل مسالمين للنصارى قرونا كثيرة ، ويقع الصراع ذات حين ، وتصعب معرفة المسئول عن ذلك ، ولا عجب ، ما دمنا لا نعرف المسئول عن الحوادث العصرية فى الغالب ، ومع ذلك يلوح أن التبعة تقع على النصارى ، لما كان من رغبتهم فى حمل الناس على اعتناق دينهم ، وهل انتهك المسلمون حرمة بيت المقدس ؟ كان المسيح خامس الأنبياء مرتبة لدى المسلمين ، وكان محمد (*) قد صرح بصحة دين اليهود والنصارى الأولين وبأن كتبهم المقدسة هى التى حرفت ، ولم يستولى العرب وخلفاؤهم على مصر حملا لها على الاسلام ، وما كان من بدئهم بالهجرة اليها قبل محمد (*) دفعهم الى تلك الأرض الخصيبة الطيبة طلبا للحب والجزية ، لا حبا لحمل الناس على دينهم ، واذ كان العرب يجهلون لغة مصر مع عدم ثقافة فانهم تركوا ادارة مصر للأقباط الذين كانوا أقدر منهم على الحساب ، ويقوم الأقباط بفتن منعا لزيادة الضرائب فى الدلتا فيبدى العرب شدة ، وتصبح اللغة العربية لغة مصر الرسمية بعد قرنين فتحل بذلك محل اللغة القبطية ، ويكون الأقباط أول من يتعلم اللغة العربية .

وكان النصارى معتدين عندما حفزهم مقصد نبيل الى الاستيلاء على القبر المقدس ، ولكن القدس لم تظل نصرانية غير ١١٣ سنة من ثلاثة عشر قرنا ثم غدت فى قبضة المسلمين نهائيا .

---

(١) النيل لمؤلفه : أميل لودفيج ، ترجمة : عادل زعيتر ص ٦١٧ .

(*) محمد : سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ولقد سار المسلمون فى نشر دعوتهم فى ضوء المبدأ الأساسى للايمان وهو (**لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى**) • وليس هناك من دليل على تقدير المسلمين للمواطنين ولو كانوا على غير دينهم وملتهم أوضح من سرعة انتشار الاسلام بين المصريين •

لقد استعادت الكنيسة القبطية فى مصر فى ظل الحكم الاسلامى قوتها ونفوذها • وأصبح الأقباط فى مصر يؤدون طقوسهم الدينية فى حرية مطلقة ، بفضل المبادىء الاسلامية النقية الصافية (**لااكراه فى الدين**) •

هذه المبادىء السامية ساعدت العرب على الاستيلاء على قبرص سنة ٦٤٨ ـ ٦٤٩ م وعلى رودس سنة ٦٥٣ م ، بل هاجموا القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية ذاتها سنة ٦٦٧ م ثم سنة ٦٧٢ ـ ٦٧٣ م ، فى حين انتهوا من غزو شمال أفريقيا بأكمله سنة ٧٠٩ م بفضل جهود موسى بن نصير •

الباب العاشر

التوسع الإسلامى وأثره

(اذا جاء نصر الله والفتح • ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا • فسبح بحمد ربك واستغفره • انه كان توابا)[1] .

كان للفتوحات الاسلامية الأثر البعيد فى البلاد التى دخلت تحت لواء الاسلام ، وظهر هذا الأثر بوضوح فى شمال أفريقيا ، اذ تحول شمال أفريقيا ومصر بأكملها من الحضارة اللاتينية الى الحضارة العربية ، ومن الديانة النصرانية الى الديانة الاسلامية •

ولا عجب أن يسارع البرابرة ــ الذين طالما كانوا أشد عنادا فى حروبهم ــ الا الاندماج فى تيار الحضارة الجديدة ، ويصبحوا مسلمين ، ولم يكن هناك أى تدخل من جانب السلطات الاسلامية الحاكمة فى عقائد المسيحيين المصريين أو كنيستهم ، ولم يحدث قط أن شكا أحد من المسيحيين من تعرض المسلمين له فى مجال نشاطه الدينى ، وفى هذا منتهى ما تصل اليه حرية العقيدة : أن تجد ــ على اختلاف منازعها ــ حماية كاملة من الدولة •

---

(١) سورة النصر

وقد ينسى الغرب الحروب المذهبية الدامية منذ عهد لوثيروس الى القرن الثامن عشر ، ويأخذ على المسلمين فى عهد الدولة الأموية حركة التذمر التى سادت أقباط مصر ، والتى لم يكن من ورائها أى لون من ألوان الاضطهاد الدينى ، فهلا أخذ على الامبراطور دقلديانوس أنه أذل المسيحيين ، وحاول ابادتهم ، حتى أن أقباط مصر ربطوا تقويمهم القبطى بهذا الاضطهاد الدينى الذى حل بهم ؟

وهل ينسى الغرب الاضطهاد الدينى السافر للعقيدة الذىجعل أقباط مصر يؤدون شعائرهم الدينية تحت الأرض أو فى أقبية بعيدين عن أنظار الرومان ؟ هل ينسى الغرب هذا كله وينسى ما حدث منذ ١٦٨٠ سنة ، شهداء ، الموافق نهاية القرن الثالث الميلادى فى عصر الامبراطور دقلديانوس .

الواقع يا غرب أن هذا التذمر الذى وقع من أقباط مصر فىعهد الدولة الأموية لم يكن وليد اضطهاد دينى ، بل كانت ترجع أسبابه الى ظروف اقتصادية بحتة اكتنفت الدولة الأموية فى فترة من فترات توسعها السياسى والعمرانى ، وأرادت أن تعتمد فى نفقاتها على دخلها القومى ، مما استلزم فرض ضرائب على الولايات الاسلامية التى كانت مصر واحدة منها ، ولم تفرض هذه الضرائب على أقباط مصر فحسب ، بل عليهم وعلى المسلمين أيضا ، وهذه هى العدالة المطلقة فى الواجبات التى تفرضها الدولة على المواطنين .

بل أكثر من هذا يا غرب ، لقد استطاعت الأمة الاسلامية ـ بعد توسعها السياسى شرقا وغربا ـ أن تقصم ظهر الأباطرة والملوك ، وأن تغسل سبعمائة سنة عاشها الغرب فىظل الامبراطورية

---

(١) شهداء التقويم القبطى .

الرومانية ، والشرق فى ظل الدولة الفارسية ، استطاع الاسلام أن يغسل عقول سكان تلكم الأقاليم مما علق بها من عقائد فاسدة وتعاليم باطلة ، وتقاليد سقيمة ، استطاع الاسلام أن يضىء عليهم كضياء الشمس فى وضح النهار ، وكفى هذه الشعوب فى هذه الأقاليم أن تتمتع بالنور الربانى الذى يشعه عليها القرآن الكريم وسنة الرسول الكريم ٠

وقد ازداد التوسع حتى بلغ سردينيا سنة ٧١١ م ، واسبانيا سنة ٧١١ ـ ٧١٣ م ٠

وأن أثر العرب والاسلام فى تاريخ العصور الوسطى لا يقف عند حد التغييرات السياسية التى أحدثوها فى أوضاع العالم المعروف ، بل يبدو هذا الأثر أشد ما يكون وضوحاً فى الميدان الحضارى ٠

والحضارة العربية الاسلامية تقوم على دعامتين أساسيتين : هما اللغة العربية ، والديانة الاسلامية ، ومازالت السرعة التى انتشرت بها اللغة العربية والديانة الاسلامية لغزا يثير حيرة المفكرين ٠

فاللغة العربية ليست باللغة السهلة القليلة التعقيد حتى يقال أن سهولتها أدت الى سرعة انتشارها من المحيط الأطلسى حتى الخليج الفارسى ، ومع هذا نجحت فى أن تبسط سيادتها على جميع البلاد التى فتحها العرب وحكموها زمنا طويلا باستثناء فارس ٠ ولم يستطع الباحثون تفسير هذه الظاهرة : ظاهرة انتشار اللغة العربية الا فى ضوء انتشار العقيدة الاسلامية نفسها ، وما تطلبته هذه العقيدة من معرفة بأصول اللغة العربية لأداء فروض الدين ٠

ويقول بيكر : « أن أوربا فى العصور الوسطى نظرت الى انتشار الاسلام من وجهة النظر الكنسية الدينية ، وكأن الكنيسة قد أفزعها

وآلمها ضياع البلاد بالشام ومصر وأعالى العراق ، وكانت كلها ترتبط بأصول مسيحية ، فراحت تفسر انتشار الاسلام فى هذه البلاد بأنه لم يتم الا بحد السيف .

وهم بهذا الادعاء يموهون على خوف ينتابهم ورهبة تسرى فى أوصالهم عند سماعهم للاسلام والعرب : وقد سجل التاريخ أنهم لم يكن لهم شأن يذكر حين احتضنتهم العاهل الرومانى الامبراطور قنسطنطين بحمايته لهم وحماية عقيدتهم ، وذلك باستصدار قانون بمرسوم ميلان سنة ٣١٣ م باعتبار أن المسيحية دين رسمى للدولة ، شأنها فى ذلك شأن الوثنية .

أما الاسلام فهو كالعملاق الذى ولد ولم يركن الى حماية دولة من الدول ، بل استمد مجده من الله الملك القهار ، فهو كالعملاق الذى يحمى ولا يهدد ، يصون ولا يبدد ، وهو فى كل هذا يحرص كل الحرص على العزة والكرامة .

ازاء هذا لا يسعنى الا أن آتى بوجهات نظر الغرب عن الاسلام وهم فئتين : فئة يتحاملون على الاسلام ، وفئة تنصف الاسلام بتحريهم التاريخ الصادق من غير تحيز .

فالفئة الأولى : غربيون يتحاملون على الاسلام .

يقول بيكر ، ويقول برنارد لويس ، مستدلين بقوله تعالى : **« لقد كان لسبأ فى مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل »** [١] .

---

(١) ١٥ ، ١٦ : سبأ

يقولون : ان انهيار سد مأرب في القرن السادس ، وما أصاب البـــلاد من تقلب الأحوال الاقتصـــادية والاجتماعية ـ دفعتهم الى الهجرة ، ولا فرق في ذلك بين الهجرات السابقة التى قام بهــــا الآراميون والكنعانيون ، والهجرات اللاحقة التى قام بها العـــرب عقب ظهور الاسلام ·

ويشاركهما فى هذا الرأى توماس أرنولد ، ويشتد تحاملا عن سابقيه فيقول : ان حركة التوســـع العـــربى كانت هجرة جماعة نشيطة ، دفعهـــا الجوع والحرمان الى أن تهجر صـــحاريها المجدبة ، وتجتاح بلاد أكثر خصبا كانت ملكا لجيران أسعد منهم حظا ·

ومن الواضح أن هذه الآراء تتضمن كثيرا من التضليل والبعد عن الحقيقة ·

ومع هذا ، فلنستمع الى الفئة الثانية الى الغربيين الذين ينصفون الاسلام بتحريهم التاريخ الصادق من غير تحيز ·

الفئة الثانية : غربيون يحققون التاريخ وينصفون الحق :

ليس أدل على انصاف المسلمين وبيان حقيقة الغرض من أقوال قادة الحرب المقهورين ، فهذا هو الامبراطور هرقل يسخط على الحاكم الرومانى ويندد بانكساره أمام جيـوش المسلمين ، فيقـول الحاكم مدافعا عن نفسه : (أنهم أقل منا عددا ، ولكن عربيا واحدا يعادل مائة من رجالنا · ذلك أنهم لا يطمعون فى شىء من لذات الدنيـــا ، ويكتفون بالقليل من الكساء والغذاء فى الوقت الذى يرغبون فيـه فى الاستشهاد ، لأنه أفضل طريق يوصلهم الى الجنة ، عـلى حـين نتعلق نحن بأهداب الحياة ، ونخشى الموت ، ياسيدى الامبراطور)·

ويتحدث بيرون ·[1] مؤكدا أن الحماسة الدينيــة وحدها هى التى أدت الى نجاح العرب فى حركتهم التوســعية ، فيقول : « ان الفــارق كبير بين الجرمان أو المغــول الذين غادروا بلادهم ومعهم نساؤهم وأطفالهم وعبيدهم ومواشيهم بغية السلب والنهب والحصول على أرض جديدة تدر عليهم من خيراتها ما يكفل لهم عيشــا رغدا ، والعرب الذين خرجوا فى أوائل القرن الســابع الميــلادى ينادون بأن لااله الاالله محمد رسول الله ، دون أن يصطحبوا معهم ســوى سيوفهم وخيولهم » ·

حقيقــة ان الفتــح الاســلامى أعقبه حــركة أخــرى للتهجير والاستيطان فى الولايات العربية الجديدة التى تم فتحها ، ولكن هذه الحركة الأخيرة لم تبدأ الا بعد أن انتهت الحركة الأولى بنحو قرنين من الزمان ، تغيرت فيهما أوضاع البلاد المفتوحة وأصبحت جزءا من الوطن العربى ·

ومع هذا فان « بيكر » (يؤكد أن النظرة السالفة التى مازال بعض المثقفين فى أوربا حتى اليوم يعتقدون صــحتها ، بعيدة عن الواقع لأن الوثائق المعاصرة كلها تثبت أن العرب لم يفرضوا دينهم على أهالى البلاد المفتوحة ، بل فرضوا سيطرتهم السياسية لا غير ، **فسيطرة العــرب السياسية هى التى انتشرت بقوة الســلاح أما الديانة الاسلامية نفسها فقد وجدت سبيلها الى قلوب عدد كبير من أهالى البلاد المفتوحة** ، بدليل ما أجمعت عليــه الوثائق من تســامح العرب المطلق مع المسيحيين واليهود على السواء ، وهو تسامح لم يخطــر على بال انســان ولم يحظ به المسيحيون واليهــود فى ظل حكامهم السابقين ·[2]

---

(١) *Pirenne : A History of Europe, P. 47*

(٢) موسوعة كمبردج لتاريخ العصور الوســطى المجلد الثانى صحيفة ٣٣٠

(ولا شك أن روح التسامى والتسامح التى عرف بها العرب ، والتى لا يوجد لها نظير فى الشرق أو الغرب فى العصور الوسطى كان لهـا أكبر الأثر فى تفهمهم للحضارات الأخرى السابقة تفهما صحيحا واضحا ، وفى تفهم الأوربيين والافريقيين لحضارتهم تفهماً مفيدا . [1]

ذلك بأن العرب لم يفرقوا فى نشاطهم الحضارى بين المسلمين وغير المسلمين ، بل سمحوا للنصارى واليهـود بالتتلمذ عليهم ، والاستفادة منهم . فأقبـل الأوربيون فى الأندلس وصـقلية ، والآسيويون فى الشام وغيرها ، عـلى دراسـة المعارف الاسلامية وترجمتها ، مما ساعد على نهضة أوربا فى العصور الوسطى .

نظرة الى التاريخ

أصبح الاسلام قويا بتضامن المسلمين ، ووقف العـالم بأمره أمام الفتوحات الاسلامية وكأنه فى لغز ، واشتغل الكثير من العلماء والمؤرخين لفك طلسم هذا اللغز .

فالعرب الذين غزوا العالم الرومانى فى القرن السابع وأوائل القـرن الثـامن كانوا أقل عددا من الجـرمان الذين تدفقـوا على الامبراطورية الرومانية من قبـل ، ومع ذلك أذابت الحضـارة الرومانية والعقيدة المسيحية تلك الشعوب الغازية فى ذاتها فتلاشت نهائيا . فى حين كان الانتصار الساحق فى الجهات التى انتزعها العـرب واسـتقروا فيها ـ مثـل الشام ومصر وشـمال أفريقيا والأندلس ـ سبيلا الى انتشار القرآن بنوره ، والاسلام بتسامحه ،

---

(١) موسوعة كمبردج أوربا العصـور الوسطى المجلد الثـانى صحيفة ٩٢ ، ٩٣

فانتصر الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا ، وما لبثت تلك الشعوب التى دانت للاسلام أن ذابت فى دين الله وصارت مع الفاتحين بنعمته اخوانا مسلمين متحابين ·

وهذه الظاهرة البارزة العظمى ليس لها سوى تفسير تاريخى واحد ، هو أن الجرمان لم يكن لديهم من الطاقات النورانية أو الحضارية ما يواجهون به القوة الرومانية والكنيسة الكاثوليكية وسطوتها الروحية والدنيوية ، فلم يلبثوا أن استوعبتهم الامبراطورية الرومانية بحضارتها ، والكنيسة بعقيدتها ، فذاب الغزاة فى المجتمع الذى غزوه ·

أما العرب فقد تقدموا وظهروا مزودين بعقيدة جديدة ، وديانة سماوية ، أدت الى تماسكهم ، وحالت دون زوبانهم فى المجتمع الجديد ، عاملين بقوله تعالى : **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ··)**[1] وقوله : **(هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ، ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما ·** [2]

لمحة من حياة محمد [3]

(أ) الرجل الكامل فى القرآن :

لقد طالما صور الكتاب فى مختلف العصور والأمم صورة الرجل الكامل · صوره الشعراء والكتاب والفلاسفة والمسرحيون · صوروا هذه الصورة فى العصور القديمة وما يزالون يصورونها حتى

---

(١) ١٠٣ : آل عمران　　　(٢) ٤ : الفتح

(٣) كتاب : (حياة محمد) ــ للدكتور محمد حسين هيكل ــ صفحات ٥٣٤ ــ ٥٣٧ ·

اليوم • مع ذلك لن نجد صورة لهذا الرجل الكامل كهذه الصورة الفذة التى وردت فى سياق سورة الاسراء ، وهى ليست الا بعض ما أوحى الله الى رسوله من الحكمة ، لا يقصد بها الى تصوير الرجل الكامل ، وانما يقصد بها أن يذكر النـاس بعض ما يجب عليهم • يقول الله تعالى :

« وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهمـا وقل لهما قولا كريمـا • واخفض لهما جنـاح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا • ربكم أعلم بما فى نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للأوابين غفورا • وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا • ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا • واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمـة من ربك ترجوها فقل لهما قولا ميسورا • ولا تجعـل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسـط فتقعد ملوما محسـورا • ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقـدر انه كان بعباده خبـيرا بصـيرا • ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا • ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشـة وساء سـبيلا • ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا • ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهـد ان العهد كان مسـئولا • وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسـطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا • ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفـؤاد كل أولئـك كان عنه مسئولا • ولا تمش فى الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبـلغ الجبـال طولا • كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها » [1] •

---

(١) سورة الاسراء ـ الآيات من ٢٣ الى ٣٨ •

أى سمو بالنفس كهذا السمو ، وأى كمال لها كهذا الكمال ، وأى طهر للذيل كهذا الطهر !٠٠ ان كل آية من هذه الآيات لتقف قارئها مامها ، مقدسا لما جمعت بين القوة والروعة وسحر البيان وسمو المعنى والاعجاز فى التصوير ٠ وليت المقام هنا يتسع لهذه الوقفات !٠٠ ولكن كيف يتسع والحديث عما تنطوى عليه هذه الآيات الست عشرة جدير بأن يستوعب مؤلفا ضخما ٠

(ب) القرآن وأدب النفس :

ولو شئنا أن نجىء بطرف مما فى القرآن فى أدب النفس ، وتهذيب الأخلاق ، لانفسح المجال الى ما لا تنفسح له خاتمة الكتاب ٠ وحسبنا أن نذكر أنه ما حض كتاب على الخير والفضل ما حض القرآن ، وما سما كتاب بالنفس الانسانية ما سما بها القرآن ، وما تحدث كتاب عن البر والرحمة ، وعن الاخاء والمودة ، وعن التعاون والوفاق ، وعن الصدقة والاحسان ، وعن الوفاء وأداء الأمانة ، وعن سلامة القلب وصدق الطوية ، وعن العدل والمغفرة ، وعن الصبر والثبات ، وعن التواضع والاذعان ، وعن الخير والمعروف ، وعن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالقوة والاقناع والاعجاز فى الأداء ، ما تحدث القرآن ٠ وما نهى كتاب عن الضعف والجبن وعن الاثرة والحسد ، وعن البغض والظلم ، وعن الكذب والنميمة ، وعن التبذير والبخل ، وعن الاعتداء والافساد ، وعن البهتان واللمز ، وعن الغدر والخيانة ، وعن كل رذيلة ومنكر ، ما نهى القرآن ، وبالقوة والاقناع والاعجاز التى نزل بها الوحى على النبى العربى ٠

وما من سورة تتلوها الا وجدت فيها من الدعوة الى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر والتوجه الى الكمال ما تسمو به نفسك غاية السمو ٠ اسمع الى قوله تعالى فى التسامح : « **وادفع**

بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون » [1] . ويقول الله تعالى : « **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم »** [2] .

لكن هذا التسامح الذى يدعو اليه القرآن لا يدفع اليه ضعف ، وانما يدفع اليه سمو الخلق وحرص على استباق الخيرات . وترفع عن الدنايا . ويقول الله تعالى : « **واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها »** [3] . ويقول تعالى : « **وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين »** [4] .وهذا صحيح فى أن الدعوة الى التسامح دعوة الى الفضل لا شىء من الضعف فيها وانما هو السمو النفسانى الذى لا تشوبه شائبة .

هذا التسامح الذى يدعو القرآن اليه عن فضل ، انما أساسه الاخاء الذى جعله الاسلام دعامة حضارته ، والذى أراد به أن يكون اخاء بين الناس كافة فى مشارق الأرض ومغاربها . والاخاء الاسلامى يتضافر فيه العدل والرحمة من غير ضعف ولا استكانة . وهو اخاء تساو فى الحق والخير والفضل غير متأثر بالعاجلة من المنافع ، بل يؤثر الآخذون به على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، والآخذون به يخشون الله ولا يخشون غيره .

وهم لذلك الاباء والأنفة . وهم مع ذلك التواضع الجم . وهم الصادقون الموفون بعهدهم اذا عاهدوا . الصابرون فى البأساء والضراء وحين البأس ، الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا

---

(١) ٩٦ : المؤمنون

(٢) ٣٤ : فصلت

(٣) ٨٦ : النساء

(٤) ١٢٦ : النحل

اليه راجعون ، لا يصعر أحدهم خده ولا يمشي في الأرض مرحا وقاهم الله شح أنفسهم ، لا يقولون على الله ولا عباده الكذب ، ولا يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ، واذا ما غضبوا هم يستغفرون ، يكظمون غيظهم ويعفون عن الناس ، يجتنبون كثيرا من الظن ولا يتجسسون ولا يغتب بعضهم بعضا ، لا يأكلون أموالهم بالباطل ، ولا يدلون بها الى الحكام ليأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم ، تتنزه نفوسهم عن الحسد وعن الخديعة وعن لغو القول وعن كل منقصة .

وهذه الصفات والأخلاق التي يقوم عليها أدب النفس ويهذب الخلق على مقتضاها ، انما تستند الى النظام الروحي الذي نزل به القرآن الكريم والذي يتصل بالايمان بالله .

صوت العشيرة المحمدية (*)

فى ذكرى ميلاد السيد المهتدى/ابراهيم خليل

للأستاذ السيد أبو الفيض قاسم مظهر

بالحب أسريت لمــا الحـــق ناداكا
وازينت بجــلال النــور دنيــاكا

بالأمس جئت لروض كنت تجهــله
واليــوم تعــرفه عمقــا وادراكا

يا تاركا دين عيسى غــير كارهه
لــكى كــرهت به افــكا وأفاكا

كرهت قوما على نهج الهدى اختلفوا
وطلسموا الفكر تعقيــدا واشراكا

وزيفــوا منطق التوحيد واختلقــوا
مناهجــا نثرت فى الروض أشــواكا

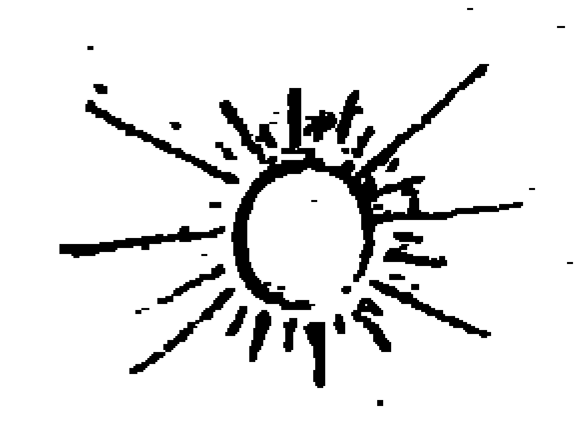
وفلســفوا كل شىء فى عقيدتهــم
حتى أضافوا لأهل الشــك شــكاكا

فرحت تغلق للشــيطان نافذة
ورحت تفتــح للرحمــن شــباكا

---

* للعشيرة المحمدية فضل يذكر بالتقدير والثنــاء والشــكر لله لما حبانى الله بهم من صــفوة مخلصة لله ولرســوله الكريم فانها لى بمثابة النور المشرق للاسلام وللمسلمين والمثل الطيب للحياة الفضلى.

سألت قلبك تستفتى مشاعره
في لهفة لم تعد تخفى بنجواكا
فكان بالحب والاعجاب منطقه
ومنطق الحق بالأسرار أفتاكا
وقال قلبك : يا ربي أنا قلق
وليس يدرك شجو القلب الاكا
سمعت صوت الهدى ينساب متئدا
اليك واغرورقت بالشجو عيناكا
أبا الخليل وهذى كنية سلفت
بها المحبة من قلب تصباكا
الرائد السيد الزاكي بفطرته
ومن يسر المنى والحق أرضاكا
أهدى اليك الرضا لما أتيت له
والبشر رف وغنى فى محياكا
أهدى اليك سلام الروح منطلقا
من بعد يأس واظلام تغشاكا
فبارك الله بالنعمى عشيرتنا
وبارك الله من بالخير سماكا



أشـــهر المراجع

١ ــ القرآن الكريم .
٢ ــ الكتاب المقدس (أ) « الطبعة الأمريكية ببيروت »
(ب) الطبعة اليسوعية
٣ ــ تاريخ الفلسفة الأوروبية فى العصر الوسيط .
للأستاذ يوسف كرم
٤ ــ أوربا العصور الوسطى « التاريخ السياسى »
للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور
٥ ــ المسيح قادم
للدكتور على عبد الجليل راضى
٦ ــ أبو بكر الصديق
للدكتور محمد حسين هيكل
٧ ــ قصص الأنبياء
للأستاذ عبد الوهاب النجار
٨ ــ حياة محمد
للدكتور محمد حسين هيكل

تنـــويه

ينبغى أن أثبت تقديرى وشكرى العميق للسـادة الأسـاتذة الذين كرموا العالم الاسلامى بمؤلفاتهم وترجماتهم ، الذين وضعوا بين يدى نصوصا بعضها فرنسى وبعضها انجليزى لم يكن يســيرا حصولى عليها وكتبهم المشار اليها بقائمة المراجع وفيها ترجمة لتلك النصوص .

ابراهيم خليل احمد

الإجازات العلمية

والوظائف الكهنوتية للمؤلف

١ ـ دبلوم كلية أسيوط الأمريكية ـ أسيوط ـ سنة ١٩٤٢

٢ ـ دبلوم كلية اللاهوت الانجيلية المشيخية ـ القاهرة ـ سنة ١٩٤٨ م (١).

٣ ـ تم تعييني قسيسا راعيا لكنيسة باقور الانجيلية ـ محافظة أسيوط ـ مركز أبو تيج في سنة ١٩٥١ م.

٤ ـ تم تعييني قسيسا أستاذا للعقائد والاسلام ـ بكلية اللاهوت بأسيوط سنة ١٩٥٣ م.

٥ ـ تم تعييني قسيسا مبشرا ، وسكرتيرا عاما للارسالية الألمانية السويسرية بأسوان ـ محافظة أسوان ـ في سنة ١٩٥٤ م. وظللت أعمل حتى اعتزلت الخدمة الدينية في سنة ١٩٥٥ م.

---

(١) ممن تقلد وظائف حكومية المستشرق السويسري (دكتور كومب) مدير مكتبة بلدية الاسكندرية ومنظم مكتبة جامعة الاسكندرية . كان حائزا على دبلوم كلية اللاهوت من باريس . ثم تخصص في اللغة الأشورية ونال درجة دكتوراه.

ومن دراساتي في كلية اللاهوت الانجيلية من اللغات : اللغة العبرية ، واللغة اليونانية .

فهرس

الباب السابع

الباب الثامن

الباب التاسع

الباب العاشر

كلمة ثناء وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

«ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى» (١)

ان من يمن الطالع وبشائر تقارب المفاهيم الدينية هى أن تجد من أهل الكتاب أمة ترعى القيم الاسلامية ، وتسهر على نشرها واذاعتها .

واذا كان السيد الدكتور نظمى لوقا قد انتزع اعجاب وتقدير السادة المسلمين لكتاباته الاسلامية المشرقة عن الرسول الكريم وعن نساء النبى صلى الله عليه وسلم . فانه جدير بالثناء والتقدير السيد الأستاذ رؤوف نعمان ـ مدير عام مكتبة الوعى العربى بالفجالة بالقاهرة ـ الذى التزم مشكورا بنشر كتابى :

١ ـ محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والانجيل والقرآن .

٢ ـ المستشرقون والمبشرون فى العالم العربى الاسلامى .

والذى عهد بتنفيذ طبعهما الى مطبعة العالم العربى ، أولئك الذين بذلوا بدورهم مجهودا موفقا ومشكورا فى اخراج الكتابين بما يليق بهما بين كتب الدعوة الاسلامية .

فالى السادة مدير مكتبة الوعى العربى ، ومدير مطبعة العالم العربى تحية وتقديرا منى ومن كل مسلم يلمس الأمانة الخالصة لوجه الله فى الكتابين المشار اليهما .

وفى هذا مثل رائع للاستقرار السياسى فى الجمهورية العربية المتحدة ولحرية العقيدة عملا بقوله تعالى : « **لاإكراه فى الدين قد** تبين الرشد من الغى » (٢)

ذو القعدة سنة ١٣٨٤
مارس سنة ١٩٦٥

المؤلف
ابراهيم خليل احمد

---

(١) ٨٢ : المائدة
(٢) ٢٥٦ : البقرة

مطبوعات المؤلف

المستشرقون والمبشرون فى العالم الاسلامى
طبعة أولى
الناشر مكتبة الوعى العربى

تحت الطبع

١ ـ الروح القدس : بين النصرانية والاسلام

٢ ـ القرآن الكريم وموقفه من الأنبياء

٣ ـ اسرائيل فتنة الأجيال

« قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك ... ولكن يكون حينما تجمح أنك تكسر نيره عن عنقك »

(سفر التكوين ٢٧ : ٣٥ ، ٤٠)

مطبعة العالم العربى
٢٣ شارع الظاهر بالقاهرة
تليفون ٩٠٦٧٠٦

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة الوعي العربي

٥ شارع كامل صدقى ـ الفجالة

الثمن ٢٥ قرشا

مطبعة العالم العربى
٢٣ شارع الظاهر ـ القاهرة
تليفون ٩٠٦٧٠٦

